

جامعة بيرزيت
كلية الآداب
برنامج علم الاجتماع

قرية بيت جبرين في الذاكرة الجماعية

مقدمة من الطالب:

تيسير محمود عيسى عمرو

إشراف:

د. شريف كناعنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم الاجتماع

جامعة بيرزيت – فلسطين

2007 م



جـامعـــــة بـيـرزيــت
كـلـيـــــــــة الآداب
برنــامـج علــم الاجتمـــاع

قريــة بيت جـبـرين فـي الـذاكــرة الجماعيـــة

مقدمة من الطالب:

تيسير محمود عيسى عمرو

إشراف:

د. شــريف كـنـاعنــة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم الاجتماع

جامعة بيرزيت – فلسطين

2007 م

Birzeit University

Faculty Of Arts

The Department of Sociology and Anthropology

Beit-Jibreen Village in Palestinian Collective Memory

Submitted By:

Taysir Mahmoud Issa Amro

Supervisor:

Dr. Sharif Kanaana

Co- Supervisor:

Dr. Majdi Al-Maliki

Dr. Zuhair Al-Sabbagh

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master degree in the Dep. of Sociology and Anthropology, The Faculty Of Arts, Birzeit University – Palestine

2007

قريــة بيت جـبرين في الـذاكــرة الجماعيـــة

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

تيسير محمود عيسى عمرو

تاريخ المناقشة:

2007/5/26م

لجنة المناقشة:

د. شريف كناعنة- رئيساً..............................

د. مجدي المالكي- عضواً ....

د. زهير صباغ- عضواً ....

جامعة بيرزيت – فلسطين

2007 م

المحـــتويـــات

الإهداء

إلى الذين رووا بدمائهم الطاهرة ثرى هذا الوطن

إلى كل اللاجئين والمهجرين في الوطن والشتات

إلى ذكرى أمي طيّب الله ثراها

إلى أبي أطال الله في عمره

إلى زوجتي وأبنائي

أهدي هذا العمل المتواضع



أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور شريف كناعنة الذي لم يألُ جهدا في تقديم النصح والمشورة لي خلال فترة إعداد هذه الدراسة ومنحني الكثير من وقته وعلمه، كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة النقاش ممثلة بالدكتور مجدي المالكي والدكتور زهير الصباغ الذين استنرت بملاحظاتهم القيمة، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى السيد بسام الشوابكة والسيد وليد الحموز والسيد مخلص العزة الذين ساعدوني كثيرا في إتمام المقابلات وخاصة في عملية الاستدلال على كبار السن، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ طلال أبو شيخة الذي قام بالتدقيق اللغوي للدراسة. واخيراً اتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني الى كل من ساهم في أن يرى هذا العمل النور.

ملخص:

هذه الدراسة هي محاولة للبحث والكتابة في مجال الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين، وقد شـكّل اللاجئون الذين هُجروا من قرية بيت جبرين عام 1948 ويقيمون الآن في مخيمي الفوار قضـاء الخليـل وبيت جبرين/العزة في بيت لحم مجتمعاً للبحث، وكان الهدف الأساس من إجراء الدراسة هو الوقوف على مخزون الذاكرة الجماعية عند ثلاثة أجيال من اللاجئين بدءاً بجيل الآباء أو ما يعـرف " بجيـل النكبـة " ومروراً بجيل الأبناء ثم جيل الأحفاد. وللحصول على البيانات الإمبريقية من مصادرها الأولية فقد تم مقابلة ستين لاجئاً ولاجئة موزعين بالتساوي على هذه الأجيال وذلك بعد أن تم إعداد خطـة للمقابلـة تضـمنت مجموعة من المحاور التي ارتبطت بشكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما كانت عليه في القريـة قبـل النكبة وكذلك بتجربة الاقتلاع والتهجير التي مرّ بها الأهالي بعد أن أُحتلت قريتهم عام 1948.

وانطلقت الدراسة من فرضية أساسية تقول: " بأن عملية انتقال الذاكرة الجماعية من جيل إلـى جيـل خلال الثمانية والخمسين سنة الماضية قد رافقها إخفاقات، وبالتالي فان مخزون الذاكرة الجماعية قد تراجع بشكل ملحوظ عند الأجيال التي تلت جيل النكبة أو الآباء ليصل إلى حدِّه الأدنى لدى جيل الأحفاد ".

وبالإضافة إلى هدف الدراسة الأساسي – سالف الذكر – فقد هدفت الدراسة كذلك إلى قياس أثر بعض المتغيرات المستقلة الأخرى على مخزون الذاكرة الجماعية عنـد اللاجئـين كمسـتوى التعلـيم، والنـوع الاجتماعي، ومكان السكن، وأية متغيرات أخرى قد تظهر خلال تحليل المقابلات، أيضا فقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الأطر والقنوات التي تتم من خلالها عملية انتقال وتوريث الذاكرة الجماعية من جيل إلى جيل وأثر بعض المتغيرات المستقلة على عملية الانتقال والتوريث هذه والقنوات المستخدمة في ذلك.

وقد جاءت النتائج التي تم التوصل إليها لتدعم صحة الفرضية وتؤكدها، حيث أظهرت غالبية المقابلات مع اللاجئين وجود فروق جوهرية بين الأجيال الثلاثة في غالبية محاور الذاكرة الجماعيـة التـي جـرى التركيز عليها في الفصلين الثالث والرابع من الدراسة، فتميز الآباء [جيل النكبة] بمخزون كبير من الذاكرة الجماعية مقارنة بالأجيال الأخرى، كما انطوى هذا المخزون على الكثيـر مـن القصـص، والصـور،

والدلالات، والمعرفة، والتسلسل في سرد الأحداث، وفي المقابل فقد تراجع هذا المخزون بشكل ملحوظ كما ونوعاً بين اللاجئين من الجيل الثاني[الأبناء]، أما الأحفاد فقد انخفض مخزون الذاكرة الجماعية عندهم إلى درجة أنه أصبح هناك فروق جوهرية بينهم وبين الأبناء.

أيضا فقد أظهرت نتائج الدراسة بأن هناك أثر لبعض المتغيرات المستقلة وخاصة متغيري الجنس ومستوى التعليم على مخزون الذاكرة الجماعية عند اللاجئين. أما متغير مكان السكن فلم يكن له تأثير يذكر بين اللاجئين، وفي الوقت نفسه فقد برز متغير آخر لم يكن بالحسبان وكان له بعض الأثر على عدد من محاور الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين وهذا المتغير هو " الانتماء العائلي".

وأخيرا، فقد أظهرت النتائج بأن الرواية الشفوية كانت هي القناة المركزية من بين القنوات الأخرى التي يجري من خلالها انتقال الذاكرة بين اللاجئين، وبالإضافة إلى الرواية الشفوية فقد أظهرت النتائج كذلك أن التراث الشعبي وزيارة القرية برفقة الآباء ووسائل الإعلام واقتناء بعض الوثائق وخاصة المتعلقة بملكية الأرض[الطابو] ومطالعة بعض الكتب التي تتحدث عن القرى المدمرة هي عبارة عن قنوات ومصادر أخرى – لكنها ثانوية – تضاف إلى الرواية الشفوية ويجري من خلالها استقاء الذاكرة الجماعية وانتقالها من جيل إلى جيل.

Abstract:

This dissertation is an attempt to study the collective memory among Palestinian refugees forced to leave Beit-Jibreen village in the year 1948 and live now in Al-Fawwar refugee camp near Hebron and in Al-Azza refugee camp near Beit Lehem. The main Purpose of this study is to investigate the collective memory of three generations of refugees, starting with the first or the Nakbah generation through the sons generation to the grandchildren generation. Interviewed 60 refugees distributed equally among the three generations. An interview plan was constructed which included several themes including economic and social life as they were in the village before the Catastrophe, and the experience of the eviction and the destruction of the village, which was occupied in 1948.

The study deats mainly with the basic hypothesis which states: That transmitting the collective memory from generation to generation during the past 58 years has not been very successful. So the storage of the collective memory decreased obviously in the generation which followed the Catastrophe generation to reach the minimum among the third generation.

In addition to the Basic aim of the study as mentioned, the study aimed to measure the effect of some other independent variables such as education, gender, place of residence and any other variables which may appear during the interviews. The study also aimed to discover the ways and channels for transmitting the collective memory.

The results support the hypothesis and confirm it. All the interviews with the refugees revealed essential differences among the three generations in all aspects of the collective memory which are found in chapters three and four of this study. The fathers' generation (Catastrophe generation) are distinguished by a huge storage of collective memory compared with the other two generations. This storage included a large amount of stories, images and general information.

The memory contents of the second generation has decreased both in quality and quantity.

The contents of the third generation's memory has been vastly and significantly reduced.

The results also showed a significant influence of such variables as gender and education on the collective memory storage for the refugees. The place of residence has no influence on collective memory. Another variable which was not originally taken into consideration namely, clan affiliation turned out to have a strong influence on memory.

Finally the results revealed that oral narration was the central channel among other channels for transferring memory among refugees. In addition to the oral narration the result revealed folklore, visiting the village with the children, media, owning documents related to land ownership, and reading books about the demolished villages, are also significant factors in the preservation of the refugees' collective memory.

مقدمـــة:

لقد شهد العالم في الآونة الأخيرة، وبالتحديد منذ بداية التسعينات من القرن الماضي عملية اســتنهاض وإنعاش للذاكرات الجماعية لدى الشعوب والجماعات الإنسانية المختلفة، خاصة تلك التي رأت في خطــاب العولمة الموحد مصدر تهديد لهويتها الثقافية والقومية، وبالتالي فإن هذا الاهتمام بمجال الذاكرة الجماعية قد جاء في سياق مجموعة من التحولات العالمية على مختلف المستويات التي كان أبرزها انهيار المنظومــة الاشتراكية وبروز نظام القطب الواحد أو ما يعرف بالنظام العالمي الجديد ومسعاه الدؤوب إلــى فــرض منظومة جديدة من العلاقات الدولية القائمة في الأساس على فرض الهيمنة والسيطرة الاقتصادية والثقافيــة على مختلف شعوب العالم. وفي هذا الصدد يقول إدوارد سعيد:

"إن الاهتمام بالذاكرة ودراستها أو على وجه التحديد بماض مرغوب فيه ويمكن استعادته هــي ظــاهرة محملة ومشحونة برزت خصوصا مع نهاية القرن العشرين حيث التغيرات المربكة في مجتمعات كبيــرة تفوق التصور، ذات تجمعات بشرية منتشرة وقوميات متنافسة"(سعيد، 2001 :96).

إذا لايمكن الفصل بين هذه الظاهرة (ظاهرة الاهتمام المتزايد بدراسة الــذاكرة ومحاولــة إنعاشــها) وسياق التحولات الدراماتيكية التي شهدها العالم في العقدين الأخيرين والتي تمخض عنها بــروز خطــاب العولمة بطابعه المهيمن واللاغي للخصوصيات الثقافية بهدف تهيئة الظروف التي تضمن لقوى العولمة من فرض سيطرتها الاقتصادية والثقافية على العالم.

إلى حد كبير يمكن الاعتماد على ما سبق في تفسير كثافة الأعمال المنشورة في السنوات الأخيرة والتي تناولت مجال الذاكرة الجماعية من خلال أشكال متعددة من الكتابة والبحث كان أبرزهــا الســير الذاتيــة والمقالات الصحفية كذلك بعض الدراسات السوسيولوجية والانثروبولوجية التي تركــزت أهــدافها حــول البحث عن مكونات الهوية والذاكرة الجماعية في المخيال الجمعي للناس من خلال الاعتماد علــى روايــة الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم، وقد برز في هذا المجال كل من بندكت اندرسون، وادوارد سعيد، وهوبسباوم وغيرهم.

والشعب الفلسطيني هو أحوج ما يكون إلى مثل هذه الدراسات التي تتناول مجال الذاكرة الجماعية وذلك نظرا إلى خصوصية الحالة الفلسطينية الناتجة عن حالة الاستلاب الكولنيالي وما ترتب عليها من محاولات لاغتيال الذاكرة الجماعية الفلسطينية من خلال العديد من السياسات المنظمة والممنهجة والتي كانت النكبة والاقتلاع الجماعي للفلسطينيين من قراهم ومدنهم وتدمير العديد من الشواهد المادية التي تشير إلى العلاقة الطبيعية لهذا الشعب بأرضه إلا تعبيرا واضحا وجليا عن أهداف المشروع الصهيوني في فلسطين الذي عمل على دعم هذه السياسات من خلال اختلاق وتلفيق ذاكرة جماعية لدى اليهود تقوم على أساس نفي الآخر. إذا فهناك مجموعة من التحديات القائمة والتي تستوجب ضرورة إنعاش الذاكرة الجماعية الفلسطينية.

والمكتبة الفلسطينية تحتوي على عدد من الأبحاث والدراسات السابقة – وهذا ما سوف نأتي عليه بتفصيل أكثر لاحقا– التي تأتي في سياق دراسة الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين الفلسطينيين وخاصة تلك السلسلة من الدراسات التي صدرت عن جامعة بيزيت– مركز دراسة وتوثيق القرى الفلسطينية المدمرة، وما صدر أيضا عن مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني – شمل، بالإضافة إلى المؤسسات البحثية الأخرى، كذلك الدراسات التي نفذت من خلال عدد من الباحثين والأكاديميين الفلسطينيين، إلا أن هذه الأبحاث والدراسات وإذا ما نظرنا إلى حجم الموضوع وأهميته لا تسد الثغرة العلمية في هذا المجال وخاصة أن هذه الدراسات قد أغفلت جوانب مهمة أو أنها لم تعطها الاهتمام الكافي وهي ذات صلة قوية جدا بمجال الذاكرة الجماعية، فغالبية هذه الدراسات كانت عبارة عن دراسات وصفية كما أنها ركزت في الغالب على الجيل الأول أو ما يعرف بجيل النكبة وقلما كان هناك تركيز على الفئات العمرية الأصغر سناً، صحيح أن هذا الجيل [جيل النكبة] هو الذي شهد الأحداث وكان بعضه مؤثراً فيها وبالتالي يمكن ان تكون معرفتة ودرايتة بما حدث اكثر من الاجيال الاخرى ولكن في المقابل فإنه من الأهمية بمكان أن تستمر الرواية وتبقى متماسكة عبر الأجيال وهذا ما لا يمكن معرفته إلا من خلال التعرف على مخزون الأجيال الأخرى

من الذاكرة الجماعية وهذا أيضا يستدعي بالضرورة البحث في الآليات والقنوات التي تنتقل من خلالها هذه الذاكرة وتتوارث عبر الأجيال وهو أمر لا شك بأنه أهمل هو الآخر من قبل الدراسات السابقة.

إذا نحن مدعوون إلى القيام بدراسات جادة تأخذ بالحسبان جميع الجوانب التي لم تأخذ حقها في الدراسات السابقة، ويحدونا الأمل بأن تكون هذه الدراسة كمحاولة متواضعة لسد بعض من هذه الثغرات التي تم الإشارة إليها كونها تبحث بالإضافة إلى ما تختزله ذاكرة الأجيال عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بيت جبرين ما قبل النكبة كذلك ما تضمنته هذه الذاكرة من صور ومشاهدات ومعلومات عن لحظة التشرد والاقتلاع، فهي أيضا تبحث في الأطر والقنوات التي تنتقل عبرها هذه الذاكرة وتورث للأجيال المتعاقبة.

هذا ولم يأت اختيار إجراء الدراسة على اللاجئين المهجرين من قرية بيت جبرين وليد الصدفة، هذا مع قناعتنا بأن كلّ تجمع سكانيّ فلسطينيّ تم تدميره وتهجير أهله منه هو بحاجة إلى هذا النوع من الدراسات، فمهما تشابهت التجربة إلا أنه يبقى هناك هامش كبير من الخصوصية على الأقل في ذاكرة اللاجئ عن قريته – وهذا بحد ذاته أمر مهم – والأحداث التي مرت بها وأدت إلى اقتلاعه وتشريده منها، إلا أن اختيار أي باحث لإجراء دراسته عن قرية دون غيرها يحدده إما عامل ذاتي خاص بالباحث كأن يكون أحد الذين شردوا من هذه القرية وهذا ما نلمسه في كثير من الدراسات التي تناولت القرى الفلسطينية المدمرة، أو أن هناك عاملا موضوعيا يدفع باتجاه إجراء الدراسة على قرية ما دون غيرها، وإما العاملين معا، والذي حدث في هذه الدراسة هو أنه اختلط الذاتي بالموضوعي لينتج عن ذلك دافع قوي لدى الباحث دفع باتجاه أن تكون جموع اللاجئين الذين هجروا من قرية بيت جبرين ويعيشون الآن في مخيمي الفوار، وبيت جبرين، أو العزة هم مجتمع الدراسة على اعتبار أنهما التجمعان الرئيسيان اللذان يتواجد فيهما لاجئي قرية بيت جبرين الموجودين في فلسطين، فبعد أن تم تحديد الموضوع العام للدراسة ألا وهو الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين وكان لا بد من تحديد اللاجئين الذين سيكوّنون مجتمع الدراسة، حيث أول ما تبادر إلى ذهن الباحث هو قرية بيت جبرين، وسبب ذلك هو أن ما تكوّن لدى الباحث من معرفة عن هذه

القرية سواء من خلال بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عنها وأبرزت أهميتها على مر العصور، أو من خلال أهلها الذين تربط الباحث ببعضهم علاقات جيدة، هذا بالإضافة إلى المشاهدة شبه اليومية بحكم قرب المسافة للمعاناة التي تعيشها نسبة كبيرة من أهالي القرية الذين انتهى بهم المطاف في مخيم الفوار، وهم في ذات الوقت مثال صادق لتجربة الشتات واللجوء التي تعرض لها غالبية الشعب الفلسطيني إبان النكبة في العام 1948.أيضا فإن قرب الباحث من المخيمات التي يقبع فيها جزء كبير من اللاجئين الذين هُجّروا من بيت جبرين من شأنه أن يسهل عمل الباحث وخاصة في ظل سياسة الحصار والإغلاق التي تنتهجها سلطات الاحتلال الإسرائيلي التي تحول دون سهولة التنقل بين المناطق المختلفة، بالتالي فإن اختيار بيت جبرين وأهلها المهجرين لم يكن اختيارا عشوائيا وإنما كان له ما يبرّره مع إعادة التأكيد على أن هذا الاختيار لا يعني قطعا أن هناك قرىً مدمرةً لا تستحق أن نجري عليها دراسة أو بالأحرى دراسات من هذا النوع، ولكن هناك بعض الأولويات والاعتبارات – كما أسلفنا – قد تحكم الباحث وموضوع البحث في هذا الشأن.

وبيت جبرين هي قرية فلسطينية تقع شمال غرب مدينة الخليل تم تدميرها وتشريد أهلها منها عام 1948 وحالها في ذلك كحال ما يزيد عن 400 [1] قرية فلسطينية أخرى دمرت وشرد سكانها منها، ويعيش غالبية أهالي القرية اللاجئين في الوقت الحاضر– إذا استثنينا من هم خارج فلسطين– في مخيمي الفوار جنوب الخليل ومخيم بيت جبرين أو ما يعرف بمخيم العزة في بيت لحم. ولن نتحدث هنا كثيرا عن بيت جبرين ليبقى الحديث عنها من خلال ما تفيض وتزدحم به ذاكرة أهلها من معلومات وصور وأحداث، وهذا ما سيجري تناوله في الفصلين الثالث والرابع من الدراسة.

وتعد هذه الدراسة عبارة عن مشروع بحثي يتناول مجال الذاكرة الجماعية لدى لاجئي القرية فيما يتعلق بطبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في القرية قبل نكبتها عام 1948 وكذلك فيما يتعلق

1 هناك تباين واختلاف بين المصادر حول عدد هذه القرى والتجمعات ولكن غالبية المصادر الفلسطينية أوردت أرقاماً تجاوزت ال 400 قرية وموقع، فمثلا: ورد في الكتاب الموسوعي لوليد الخالدي418 قرية، وعبد الجواد صالح ووليد مصطفى 472 قرية، وذكر الدكتور شريف كناعنة في كتابه الشتات الفلسطيني هجرة أم تهجير بأنها تزيد عن ال 400 قرية، أما الدراسات الإسرائيلية فقد أوردت أرقاما أقل من ذلك، فتحدث بني موريس عن 369 قرية وإسرائيل شاحاك عن 383 قرية.

بتجربة التهجير والاقتلاع كما استوعبها وأحس بها جيل النكبة وتتخيلها وتعرف عنها الأجيال الأخرى من اللاجئين، أيضا سوف تتناول الدراسة أهم الأطر والقنوات التي تنتقل من خلالها الذاكرة الجماعيـــة عبـــر الأجيال المتعاقبة من اللاجئين.

فصـــول الدراســـة:

تقع الدراسة في ستة فصول رئيسية، يتناول الفصل الأول بعض القضايا النظرية المتصلة بمجال الذاكرة الجماعية وقد تم التركيز في هذا الفصل على مفهوم الذاكرة الجماعية كذلك أهم الأطر النظرية التي ساعدت على تبلور وتطور هذا المفهوم، أيضا فقد تم التطرق إلى علاقة الذاكرة الجماعية بالتاريخ كونها العلاقة التي استحوذت على اهتمام كل من المؤرخين والسوسيولوجيين من خلال سعيهم الدؤوب لإبراز التداخلات كذلك التناقضات بين المجالين، وأخيرا كان لا بد من بعض التوضيحات النظرية المتعلقة بمكونات الذاكرة الجماعية، كذلك الأطر والقنوات التي تنتقل من خلالها هذه الذاكرة وتورَّث للأجيال، وهنا تم الاستناد إلى ما جاء به بعض المنظّرين والكتّاب الذين كانت لهم بصماتٌ واضحةٌ في هذا المجال مثل هوبسباوم وادوارد سعيد، ومحمد دكروب، وجروس (Gross) وغيرهم، إضافة إلى ذلك فقد تم تناول بعض الدراسات السابقة في هذا المجال وخاصة تلك التي قام بها بعض الباحثين الفلسطينيين وذلك في محاولة لإبراز أهم المحاور التي ركزت عليها هذه الدراسات كذلك المحاور التي تم إغفالها، علاوة على ذلك فقد تم التطرق لبعض الدراسات العالمية التي أمكن الوصول إليها في هذا الاتجاه، وخاصة تلك الدراسات التي تناولت شعوبا مروا بتجربة مشابهة للتجربة التي مر بها الشعب الفلسطيني.

وأما الفصل الثاني فقد اختص بتوضيح الإجراءات المنهجية المتعلقة بالدراسة كالمنهج البحثي والأدوات التي تم استخدامها في جمع البيانات الإمبريقية، كذلك فقد تم في هذا الفصل توضيح أهمية الدراسة وتحديد الأهداف الرئيسية التي قامت من أجلها من خلال طرح عدد من الأسئلة التي توخينا الإجابة عليها من خلال النتائج التي توقعنا أن تنتهي إليها الدراسة مع العلم أنه تم اقتراح فرضية أساسية كإجابة

أولية مقترحة على سؤال الدراسة الرئيس إلى أن تظهر النتائج وتؤكد أو تنفي هذه الفرضية، وفي نهاية الفصل تم التعريف بمجتمع الدراسة والعينة المختارة وبعض خصائصها الديمغرافية.

وأما الفصل الثالث فقد خصص للحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في القرية قبل النكبة كما اختزلتها الذاكرة الجماعية لأجيال اللاجئين، وهنا تم تحديد مجموعة من المتغيرات المستقلة كالعمر، والجنس، ومكان السكن، ومستوى التعليم، وذلك لقياس أثر هذه المتغيرات على مخزون الأجيال الكمي والنوعي من الذاكرة المتعلقة بهذا الموضوع، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الفصل قد استهلّ بتمهيد يحتوي على التعريف بالقرية(بيت جبرين) من خلال بعض المراجع والدراسات التي تحدثت عن هذه القرية وخاصة فيما يتعلق بالمساحة وعدد السكان وبعض المعلومات التاريخية المتعلقة بالقرية والتي قلما تجد لها مكانا في الذاكرة الجماعية.

والفصل الرابع تم تخصيصه لما يمكن أن نطلق عليه المحطة المركزية أو المكان الأساس في الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين ألا وهي تجربة الاقتلاع والتهجير التي مر بها أهالي القرية إبان النكبة عام 1948، وهنا تم التركيز على الظروف والأحداث التي مرت بها القرية بشكل عام في ذلك الوقت وأدت إلى تهجير السكان منها بالإضافة إلى ما تفيض به ذاكرة اللاجئ من صور ومشاهدات تمحورت حول ذاته في محاولة لإبراز البعد الذاتي في الموضوع، وكيف اختزل هذه التجربة في الذاكرة؟. وفي هذا الفصل أيضا تم تحديد بعض المتغيرات المستقلة وهي نفسها التي حددناها في الفصل الثالث وذلك لقياس مدى تأثيرها على مخزون الذاكرة في هذا الاتجاه (النكبة والتهجير).

وفيما يتعلق بنقل الذاكرة الجماعية من جيل إلى جيل فقد تم تخصيص الفصل الخامس لهذا الغرض، وذلك للتعرف على أهم الأطر والقنوات التي تنقل من خلالها الذاكرة الجماعية من جيل إلى جيل، وكما هو الحال في الفصلين الثالث والرابع فقد تم تحديد العمر، والجنس، ومستوى التعليم، ومكان السكن كمتغيرات مستقلة لقياس تأثير هذه المتغيرات على نوع الأطر والقنوات المستخدمة في عملية نقل الذاكرة الجماعية،

كما تطرّق هذا الفصل أيضا إلى بعض الاقتراحات التي قدمها اللاجئون فيما يتعلق بحفظ الذاكرة ونقلها للأجيال حتى لا تدركها مفاعيل النسيان.

والفصل السادس والأخير خُصّص لمناقشة النتائج ولتلخيص ما تم عمله في هذه الدراسة وأهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها وكذلك الآفاق التي ظهرت في مجال دراسة الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين على ضوء النتائج التي تمخضت عنها الدراسة.

وأخيرا فقد اشتملت الدراسة على مجموعة من الملاحق وهي عبارة عن قائمة بأسماء جميع اللاجئين الذين أجريت معهم المقابلات وبعض البيانات التعريفية الخاصة بهم، وهناك ملحق آخر بعيِّنة من المقابلات التي تمثل جميع الفئات العمرية، كذلك بعض الصور الفوتوغرافية لعدد من المواقع والأبنية التي ما زالت قائمة في بيت جبرين، أيضا هناك بعض الوثائق التي استطعنا الحصول عليها بالإضافة إلى خارطة للقرية يظهر فيها أهم المواقع، والأماكن، والطرق التي كانت موجودة قبل عملية التدمير التي تعرضت لها القرية بعد تهجير أهلها منها عام 1948، وخارطة أخرى تظهر فيها القرية والقرى المحيطة فيها التي تم تدميرها هي الأخرى عام 1948.

الفصـــــــل الأول

الإطار النظـــري للدراسة

تعد الذاكرة الجماعية بأنها حلقة الوصل بين الأمم السابقة واللاحقة من خلال انتقالها وتوارثهـــا عبـــر الأجيال المتتالية، وهي من أهم الأسس التي اعتمدت عليها الأمم الحديثة في بلورة وصياغة هويتها الثقافية والحضارية، وبالتالي فهي من أهم المكونات الأساسية لثقافة المجتمع، ومن هنا بزغت أهمية هذا الموضوع من قبل السوسيولوجيين والانثروبولوجيين من خلال التركيز على المفهوم وعلى المحددات المرتبطـــة بـــه مثل: الهوية، والانتماء، والفلكلور، والبنية الاجتماعية، والاقتصادية، والإثنيـــة، باعتبـــار أن "**استحضـــار الماضي وإعادة توظيفه في الحاضر عامل مهم وأساسي في تماسك الجماعـــات والهويـــات**" (**Gross, 2002:342**).

من هنا فقد عمد الباحثون في هذا الحقل إلى دراسة الذاكرة الجماعية من زوايا مختلفة كـــان مـــن ضمنها النشاطات المختلفة التي يقوم بها أفراد المجموعة الواحدة، والوثائق والفلكلور والببلوغرافيا، كمـــا ركزت بعض الدراسات على التاريخ الشفوي للمبحوثين (Grodzinky, 2001:1-2).

وفي هذا الفصل سوف يتم تناول لبعض القضايا النظرية المرتبطة بالذاكرة الجماعية، حيث سيتم الحديث في البداية عن المفهوم وجذوره النظرية، ومن ثم سيتم التعرف على بعض الدراسات الامبريقية فـــي هـــذا المجال وأهم النتائج التي توصلت إليها، وبما أن هناك جدل دائر حول العلاقـــة بـــين الـــذاكرة الجماعيـــة والتاريخ فسوف يتم التطرق إلى أهم التقاطعات وكذلك التباينات بين المجالين، أيضا سوف يكـــون هنـــاك محور نظري خاص بأهم مكونات الذاكرة الجماعية الفلسطينية، ولأن عمليـــة انتقـــال الـــذاكرة الجماعيـــة وتوارثها بين الأجيال تأتي ضمن أهداف الدراسة فسوف نأتي أخيرا على ذكر أهم الأطر والقنـــوات التـــي تنتقل من خلالها الذاكرة الجماعية بين الأجيال.

1:1. مفهوم الذاكرة الجماعية:

تعود الجذور النظرية للمفهوم في الأساس إلى عالم الاجتماع الفرنسي دوركهايم الذي ركز على قوة العلاقة والتماسك بين أفراد المجتمع في حديثه عن تقسيم العمل في المجتمعات التقليدية والحديثة وعن الفكر الجمعي لهذه المجتمعات ومن ثم واصل بعض المفكرين من أمثال هوبسباوم (Hobsbawm) ذلـك مـن خلال التركيز على المراكز الاجتماعية والتركيبة الاجتماعية، ولقد أورد هذا المنظر في حديثه عن المفهوم طبوغرافية المناطق المقدسة في فلسطين وتأثيرها على الأوضاع السياسية في المنطقة متوجا فكرته بكتاب عن العلاقة بين الذاكرة الجمعية والذاكرة التاريخية بعدها جاء كارمنهايم بنظريته عن المعرفة وتحدث عن الأجيال وعن دور الناشئة في الحفاظ على الهوية الثقافية(schwartz, 1996:275-281).

وعن التحولات الاجتماعية والثقافية التي حصلت في أوروبا ودرجة معرفة الناشئة وتوارث الـذكريات فقد أشارت Zerubavel في كتابها Social Memories بأن إعادة الماضي ليس صفةً فردية بقدر ما أن الفرد مندمج بمجموعته وهويته المركزية، من هنا فإن الذاكرة يتم مراجعتها من خلال نظام مركـزي ذي مستويين، المستوى الأول: يتم من خلال ماضي الذكريات التي ينقلها الآباء لأبنائهم، والمسـتوى الثـاني: يتطرق إلى ديناميكية الذاكرة بمعنى: كيف نحصل على الذاكرة؟ وطـرق استحضـارها مـن المصـادر المختلفة؟.(Zerubavel, 1996:283-289).

وفي خضم النقاش الدائر حول مسألة توظيف الذاكرة الجماعية لخدمة أغراض سياسية معينـة يقـول ادوارد سعيد:

"**بأنه من الملفت للانتباه المقارنة بين شكل الذاكرة الحديث الطيع غير الثابت بطريقة ما وبين فن الذاكرة المنسق الصارم في العصر القديم الكلاسيكي كما وصفه فرنسيس ييتس" (سعيد، 2001: 96).** وفي نفس السياق يكمل سعيد القول: "**بأن الذاكرة الحديثة تخضع لإعادة التنظيم الملفق وانتشاره من منطقـة إلـى أخرى" (سعيد، 2001: 96).** بالتالي فهي منظمة ومرتبة ترتيبا توظيفيا لخدمة أهداف فكريـة وسياسـية

معينة ولا تراعي بذلك التسلسل التاريخي للأحداث. ويرى ماهر الشريف بأن مفهوم الذاكرة الشفهية – كما يسميها هو:

" بأنه خطاب شفهي تتبناه جماعة ما تبعا للموقع الاجتماعي لإنتاجهم، إنه يعكس التغيرات التي طـرأت على حياة الجماعة، ويعبر عن الحاجة إلى إعادة تعريف هوية أصيلة ينظر إليها على أنها فـي خطـر " (الشريف، 2004: 128).

من الواضح أن الشريف ركز على الروايات الشفوية التي يتناقلها أفراد الجماعة، بينما يمكـن أن تشـتمل الذاكرة الجماعية على أوعية وحافظات أخرى بالإضافة إلى القصص والحكايات والروايات مثل المتحـف والصور وغيرها من الشواهد المادية، ولكن على أية حال فإن الدراسات والأدبيات التي تناولـت الـذاكرة الجماعية قد انصب اهتمامها وتركيزها في الأساس على ما يختزله المخيال الجمعي للناس مهملـة بـذلك الحافظات المادية الأخرى. ويلاحظ كذلك بأن الشريف قد أعطى أهمية اكبر للهويـة الطبقيـة لأعضـاء الجماعة من الهوية القومية وفي هذه الحالة يمكن أن يشتمل المجتمع على عدد من الذاكرات الجماعية كـل منها مرتبط بطبقة اجتماعية معينة. هناك جانب من الصحة في ذلك ولكن في الوقت نفسه لا يمكن إغفـال وجود بعض الرموز والتجارب والمحطات التي يتفق عليها جميع أفراد المجتمع، بالتالي يمكن القول: بـأن هناك ذاكرة جماعية يختص بها جميع أعضاء الجماعة القومية المعينة بصرف النظر عن الموقع الطبقي أو أية فروق وتمايزات أخرى بينهم مع عدم إغفال إمكانية وجود ذاكرات جماعية فرعية تخص كل منها فئـة اجتماعية معينة داخل المجتمع ولكنها بمجموعها تندرج في سياق الذاكرة الجماعية العامة التي تتميز بهـا امة معينة عن باقي الأمم.

وفي سياق الحديث عن المفهوم أيضا هناك من حاول ربط الذاكرة الجماعية بالايدولوجيا وهذا ما قد أشار إليه عزمي بشارة ، " **حيث يمكن أن تقوم** [حسب اعتقاده] **الذاكرة الجماعية في لحظـة تاريخيـة محددة بدور الايدولوجيا لطائفة أو قومية ما وخاصة عندما يتعرض عقد الجماعة للانفـراط "(بشـارة ، 1997: 46)**. ويمكن أن يحدث ذلك من خلال الاعتماد على الذاكرة الجماعية فـي استحضـار التـاريخ

المشترك والرواية القومية والرموز المشتركة التي تفضي إلى تماسك الأمة وحشدها حول أهداف وتطلعات مشتركة. فمما لاشك فيه بأن الرموز والدلالات التي تشتمل عليها الذاكرة الجماعية لها الأثر الأكبر على عقلية الجماعة وسلوكها وهذا ما تحدث به كورنيليوس كاستورياديس الذي أكد على دور "**عالم الدلالات وأهميته في الإبقاء على تماسك المجتمع، وهذا العالم من الدلالات هو الذي يسمح بتصور المجتمع في هويته الذاتية" (كاستورياديس، 2003: 503-504).**

يلاحظ بأن تصور كل من بشارة وكاستورياديس يقتربان إلى حد كبير من الواقع الفلسطيني، فقد شكلت النكبة عام 1948 لحظة الانفراط أو كما يصفها محمد غنايم "**بالانهيار النهائي للمجتمع الفلسطيني ككيان سياسي واجتماعي "(غنايم، 2001: 9).** بالتالي فالفلسطينيون هم بحاجة إلى إعادة بناء الماضي والحفاظ عليه من خلال إعطاء الأهمية لعالم الرموز والدلالات الخاصة بهم وإنعاشها في الذاكرة لتمنح القوة لروايتهم القومية في مواجهتها للرواية الأخرى لترقى بذلك إلى مستوى الايدولوجيا التي تحدث عنها بشارة.

وبما أن الدراسة التي نحن بصددها تقتضي الوقوف عند تعريف واضح وعملي لمفهوم الذاكرة الجماعية حتى يتسنى الإيفاء بالغرض المطلوب في الإجابة على التساؤلات الرئيسية التي قامت من أجلها الدراسة – التي سوف يتم إيرادها لاحقا في الفصل الثاني – فيمكن تحديد مفهوم الذاكرة الجماعية الذي سوف يتم الاعتماد عليه لغرض هذه الدراسة كالاتي – علما بأن هذا التعريف يعود للباحث وليس لأي مصدر آخر- :

" **بأنه عبارة عن مجموع القصص والحكايات والروايات والصور والرموز والمعلومات التي تحتوي عليها مخيلة اللاجئ فيما يتلعق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في القرية قبل اللجوء، كذلك ما تختزله هذه المخيلة من صور ومعلومات للأحداث الدرامية التي واكبت النكبة وأدت إلى اقتلاع وتهجير الناس من مدنهم وقراهم في تلك اللحظة التاريخية".**

وهذا ما سوف يتم التعرف عليه من خلال مجموع المقابلات المعمقة التي سوف تجرى مع ثلاث عينات قصدية من اللاجئين والتي تمثل ثلاث فئات عمرية أو ثلاثة أجيال بدءاً بجيل النكبة(الآباء) ومروراً

بالجيل الثاني (الأبناء) وانتهاءً بالجيل الثالث(الأحفاد) وذلك للوقوف على أهم التغيرات والتحــولات – إن وجدت – التي طرأت على مخزون الذاكرة بين الأجيال المتعاقبة، وهذا ما سيتم توضيحه بصورة تفصيلية أكثر من خلال الحديث عن منهجية الدراسة.

2:1. أبحاث ودراسات في مجال الذاكرة الجماعية:

على الرغم من حداثة الاهتمام بمجال الذاكرة الجماعية إلا انه أصبح مجالا يستهوي عدداً كبيراً مــن المفكرين والباحثين للكتابة والبحث فيه، وسنكتفي هنا بالوقوف عند بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت مجال الذاكرة الجماعية لدى بعض الشعوب والجماعات الإنسانية التي مرت بظروف مشابهة للظروف التي مر بها الشعب الفلسطيني هذا بالإضافة إلى بعض الدراسات الفلسطينية الرائدة في هذا المجال.

ومما لا شك فيه بأن الشعوب التي تعرضت إلى محاولات الإبادة وأصبحت تشعر بأن هويتها الثقافية والحضارية باتت مهددة كانت أحرص من غيرها على محاولة استحضار تراثها الحضاري من لغــة وأدب وتراث ديني ورموز ودلالات، وهذا ما نلمسه مثلا لدى بعض الجماعات الاثنية المنتشرة في عالمنا العربي مثل الأرمن والأكراد وما إلى ذلك من الإثنيات الأخرى التي عملت بشتى الوسائل المتاحة لإعــادة تأكيــد هويتها القومية وخصوصيتها الثقافية عبر وسائل كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصـــر إعــادة إحيــاء الرموز الحضارية لهذه الجماعات وإطلاق المحطات الفضائية التي تعمل على إبراز التراث الثقافي الخاص بهذه الجماعة أو تلك. وتشير الدراسات إلى انه كلما كانت الجماعة الاثنية منطوية على نفســها وانفتاحهــا على الثقافات الأخرى محدودا كانت ذاكرتها الجماعية أقوى وهذا ما أشارت إليه دراســة دونالــد ميلــر ولوران تيورانا التي هدفت إلى قياس درجة تناقل الذاكرة الجماعية من الأجداد إلى الآباء ومــن ثــم إلــى الأبناء لدى الأرمن المشتتين في أقطار مختلفة من العالم بعد ما حدث لهم على يد الأتراك في بداية القــرن الماضي حيث يعزو الباحثان قوة الذاكرة الجماعية لدى أبناء الطائفة الارمنيــة لعــدم اخــتلاطهم كثيــرا بالجنسيات الأخرى وعدم تبادل الزيارات مع الآخرين والتواصل مع أبناء الجالية نفسها، كل ذلك أدى إلى

تعزيز هويتها الجماعية وتناقل التاريخ الارمني بكافة دقائقــه (D.Miller & L.Touryan ,1991: 30-37).

وفي ذات السياق تشير دراسة ليزا مالكي عن لاجئي قبائل الهوتو في تنزانيا الفــارين مــن الابــادة الجماعية على يد قبائل التوتسي أن هناك اختلافاً كبيراً فيما يتعلق بالهوية الجماعية بين اللاجئين القــاطنين في مخيم مي شامو الضخم الذي أقيم في منطقة معزولة لإيواء اللاجئين وبين اللاجئين المقيمين في المناطق الحضرية وبالتحديد في منطقة كيغوما حيث بينت الدراسة بأن اللاجئين المقيمين في المخيم قــد صـــاغوا مفاهيما بالغة القوة وشديدة النقاء حول هويتهم الجماعية بحيث لا تدع مجالا للفروق الفردية بينمـــا كانـــت الهويات لدى اللاجئين في المدن شديدة الفردانية بسبب سعيهم للاندماج في المجتمـــع التنزانـــي (بـــاومن، 1994: 9).

وأما فيما يتعلق بذاكرة الهلوكوست فهي كانت أوفر حظا من غيرها من الذاكرات المرتبطـــة بالإبـــادة الجماعية في العصر الحديث، حيث امتلكت العديد من الوسائل والأساليب – سنذكرها لاحقا في الحديث عن انتقال الذاكرة الجماعية – التي ساعدت على تمركزها في المخيال الجمعي الإسرائيلي وهذا ما أشارت إليه دراسة هاورد شومان (Schuman) بعنوان: "الحفاظ على الماضي: دراسة في الذاكرة الإسرائيلية" وقــد شملت الدراسة عينة مكونة من 2800 مبحوث ومبحوثة من المجتمع الإسرائيلي شـــاملة فئـــات عمريـــة مختلفة، وأهم ما توصلت إليه الدراسة هو أن أبرز حدثين يتذكرهما الإسرائيليون ويستحوذان على اهتمامهم هما الهلوكوست وإقامة دولة إسرائيل، وفيما يتعلق بالهلوكوست فقد توصلت الدراسة إلى انه لا توجد فروق تعزى إلى بعض المتغيرات المستقلة كالجنس ومستوى التعليم في درجة المعرفة والتذكر وعملية وصـــف الحدث، وفسرت الباحثة ذلك الاهتمام بالمحرقة (الهلوكوست) بسبب مركزيـــة المفهـــوم فـــي المؤسســـات التعليمية والمدارس الدينية والنشاطات اللامنهجية للطلبة في هذا المجال كزيارة مراكز الإبادة وإحياء ذكرى الإبادة سنويا (Schuman, 2002:103).

وقد وجهت انتقادات كثيرة من قبل بعض الكتاب والمفكرين وبضمنهم بعض الإسرائيليين للكيفية التي وظفت بها ذكرى الهلوكوست من قبل الصهيونية، فيذكر أوري رم في إحدى مقالاته أن هناك اتجاها في إسرائيل يقول:

"بأنه قد جرى في إسرائيل استغلال ذكرى الهلوكوست بصورة نفعية وسياسية ولهذا فقد عرضت فقط من زاوية "عبرتها" الصهيونية وذلك على حساب التماثل الإنساني مع الضحايا وعلى حساب استخلاص العبر الكونية". ويقود هذا الاتجاه كل من: دان دينر، هنري فاسرمان، عيديت زرطل، روت فيرر وموشيه تسوكرمان (رم، 1997: 218).

وفي السياق نفسه يضيف الصحفي الإسرائيلي توم سيغف في كتابه المليون السابع، " **أن الحكومة الإسرائيلية استخدمت الهلوكوست عن عمد بوصفها طريقة لتعزيز الهوية القومية الإسرائيلية بعد سنوات من عدم الاكتراث بها (سيغف، كما يظهر عند ادوارد سعيد، 2002: 95)**. ويكمل سعيد القول: "**بأنه من الأهمية بمكان أن لا ننسى الصلة الراسخة تماما في الوعي اليهودي المعاصر بين الهلوكوست وتأسيس إسرائيل بوصفها جنة اليهود"(سعيد، 2002: 99)**. وفي المقابل تقوم إسرائيل والدوائر الصهيونية بمهاجمة كل من يحاول التقليل من أهمية الحدث أو يشكك في عدد الضحايا، أو حتى من يحاول وضعه في السياق التاريخي العام في تلك الفترة ومن يجرؤ على فعل ذلك فهو متهم بمعاداة اليهود والسامية، وهي (إسرائيل والصهيونية) تعمل بقواها السياسية والإعلامية كافة لإبقاء الحدث على أنه الأبرز والفريد من نوعه في التاريخ البشري برمته من خلال أَسْطَرَة الذكرى ورفعها من مستوى الواقع إلى مستوى الحدث الميثولوجي.

ومن الدراسات العالمية الأخرى التي تناولت مجال الذاكرة الجماعية دراسة قام بها جروس (Gross) وهدفت هذه الدراسة إلى معرفة الكيفية التي يحافظ من خلالها الاستوائيون على هويتهم الثقافية والدينية عبر الأجيال، وقد دلت نتائج الدراسة على أنهم [الاستوائيون] يعتمدون في ذلك على مجموعة من الأساليب

والطرق ومنها استخدام الفلكلور ورواية القصص الشعبية، وفي المجال الديني فقد حرصوا علـــى تشـــييد المعابد والمؤسسات الدينية وإقامة المهرجانات في المناسبات الدينية(Gross, 2002:342-350).

وأما بالنسبة للدراسات الفلسطينية فهناك بلا شك مجموعة من الدراسات القيمة في هذا المجال، لكن وعلى الرغم من الاهتمام الملحوظ لدى الكثير من الشعوب والجماعات الإنسانية بهذا النوع من الدراسات، بقيت المكتبة الفلسطينية تعاني من نقص ملحوظ في هذا المجال حيث اقتصرت الكتابة في هذا الموضوع على المقالات والسير الذاتية والأعمال الوصفية التي تناولت حياة الفلسطينيين قبل اللجوء وفي المخيمات، مع ضرورة عدم إغفال وجود بعض الدراسات الجدية التي حاول معدوها تسجيل الذاكرة الجماعية الفلسطينية من خلال الرواية الشفوية للاجئين الفلسطينيين سواء أكانوا في الوطن أو في الشتات، وتعد دراسة نافز نزال بعنوان "الخروج الفلسطيني من الجليل في العام 1948" الدراسة الرائدة في هذا المجال، حيث حاول من خلال هذه الدراسة التعرف على الأسباب الحقيقية التي دفعت الفلسطينيين في منطقة الجليل إلى مغادرة مدنهم وقراهم وذلك في سياق الرد على الرواية الصهيونية التي ادعت بأن القادة العرب هم الذين أمروا الفلسطينيين بالخروج (Nazzal, 1978:1)، بالتالي فان دراسة نزال حاولت تسجيل الذاكرة المتعلقة بلحظة الخروج من منطقة الجليل والظروف والمتغيرات والقوى التي ادت الى تهجير السكان العرب عن قراهم.

وفي ذات السياق لابد من الإشارة إلى سلسلة الكتيبات التي صدرت عن مركز أبحاث جامعة بيرزيت في إطار مشروع "توثيق القرى الفلسطينية المدمرة " بإشراف الدكتور شريف كناعنة التي شملت (24) أربعاً وعشرين قرية فلسطينية مدمرة، وتعد محتويات هذه الكتيبات – كما وصفها معدوها – بأنها عبارة عن "**مواد أولية قدمها رواة من أهالي هذه القرى وتم تدوينها وتبويبها وربطها ببعضها بطريقة تحفظ للأجيال القادمة صورة حية ومباشرة عن أسلوب الحياة في القرى الفلسطينية في النصف الأول من القرن العشرين**" **(كناعنة والكعبي، 1991 :6)**. وبعد الاطلاع على عدد من هذه الكتيبات يتضح بان الهدف الاساسي منها كان عبارة عن عملية تأريخ شفوي للقرى المدمرة، وفي هذا السياق يشير كناعنة ومحاميد: "

انه بعد سنوات قليلة سيكون السكان الذين هجروا من تلك القرى وهم في سن النضوج، سيكونون قلة يصعب العثور عليهم، ومع ذلك الجيل ستضيع المعلومات عن تلك القرى وستصبح مجرد اسماء على الخرائط القديمة " (كناعنة ومحاميد، 1987 :3).

وقد ساهم انتشار هذه السلسلة من الدراسات "القرى الفلسطينية المدمرة " في زيادة الاهتمام بفكرة الاعتماد على الرواية الشفوية لدى عدد من الباحثين والمهتمين الفلسطينيين في توثيق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في فلسطين خلال النصف الأول من القرن الماضي، إضافة إلى توثيق الأحداث العسكرية التي واكبت النكبة وأدت إلى اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم. أيضا هناك مساهمات جادة في هذا المجال قدمتها روزماري صايغ من خلال دراساتها عن اللاجئين الفلسطينيين في لبنان وخاصة تلك الدراسة التي أجرتها على عينات من اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات لبنان عام 1980 بعنوان: "الفلاحون الفلسطينيون:من الاقتلاع إلى الثورة" وتلك الدراسة التي تناولت فيها النساء الفلسطينيات في بعض المخيمات الفلسطينية في لبنان وهي بعنوان:"نساء المخيمات الفلسطينية:رواة للتاريخ".وتتوصل الصايغ في نهاية الدراسة الى نتيجة مفادها:

" انه يمكن اعتبار كتابة تاريخ القرية، والمدينة والمخيم في السنوات الأخيرة كمحاولة لاستعادة هذه الأمكنة التي اختفت فعلياً بسبب الهدم أو النسيان ولو استعادة نصية. وهذه المحاولة تخلق مكاناً لتجارب اللجوء التي كان من الممكن أن تمحى كلياً مع التركيز على أهمية دور النساء في رواية التاريخ بصفتهن عنصراً غنياً في التاريخ الوطني وحذفه سيترك تاريخنا ناقصاً وعاجزاً عن شرح إمكانيات استمرار نضال الشعب الفلسطيني بالرغم من كل شيء " (صايغ، 1998 :58).

ولا ننسى أيضا بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن بعض أبناء القرى المدمرة أنفسهم كأن يكتب الباحث عن قريته كما فعل مثلا يعقوب أبوغوش عندما كتب عن قريته "عمواس" مع أن دراسته جاءت ضمن سلسلة الدراسات عن القرى المدمرة التي صدرت عن مركز دراسة وتوثيق المجتمع

الفلسطيني في جامعة بيرزيت، كذلك ما كتبه محمد أبو فضة عن قريته " عجور"، وآخرون غيرهم لا مجال لحصرهم هنا.

وأخيرا فلا يمكن التقليل من أهمية تلك الدراسات التي جاءت في إطار سلسلة التاريخ الشفوي التي يقوم عليها مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، تلك التي صدر عنها حديثا دراسة عبد الفتاح القلقيلي بعنوان "الأرض في ذاكرة الفلسطينيين:اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين"، التي حاول فيها تسجيل الذاكرة الشعبية عن الارض الفلسطينية كمفهوم مركب حيث اعتمد في ذلك على ذاكرة الرواة الذين تمت مقابلتهم في اطار " برنامج التأريخ الشفوي – مشروع مخيم جنين" وكان ذلك في الفصل الخامس والاخير من دراسته، اما الفصول الاخرى فكانت عبارة عن مراجعة لبعض الدراسات والادبيات التي تحدثت عن مفهوم الارض عند الفلسطينيين وكذلك عند اليهود والصراع بين الطرفين على الارض، ومن ثم تناول الواقع الفلسطيني الناجم عن اقتلاع الفلسطينيين من ارضهم والحلول المطروحة لمشكلة اللاجئين (القلقيلي،2004 :17-18). واخيرا، تجدر الاشارة الى الدراسات التي قام بها د.عادل يحيى التي اعتمدت هي الأخرى على الرواية الشفوية للاجئين الفلسطينيين.

ولكن هذه الدراسات – الدراسات الفلسطينية – بمجملها قد اعتمدت في الأساس إما على ذاكرة الكاتب أو الباحث نفسه في بعض الحالات أو على جيل النكبة كمصدر أساسي للذاكرة التي تم توثيقها حول القرية والأحداث التي مرت بها وأهلها الذين شردوا منها، ولا شك بأن كبار السن الذين عاشوا في القرية وشهدوا أحداث النكبة يتمتعون بذاكرة قوية في هذا المضمار، فقوة تأثير الحدث عليهم وعلى مجرى حياتهم بشكل عام منذ اقتلاعهم جعل منه محطة مركزية في ذاكرتهم وظل محفورا بها، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا عن الأجيال التي تلتهم والأجيال القادمة ؟

من هنا تأتي أهمية إجراء دراسات علمية منظمة تتناول مخزون الذاكرة الجماعية لدى أجيال اللاجئين الفلسطينيين والأطر والقنوات التي تنتقل من خلالها هذه الذاكرة عبر الأجيال، كذلك فإنه من الأهمية بمكان أن تتناول هذه الدراسات اللاجئين الفلسطينيين في مختلف مناطق اللجوء والشتات وأن لا تقتصر على

مناطق بعينها فمكان إقامة اللاجئ والسياق السياسي والاجتماعي الذي يعيش فيه أيضا له من الأهمية كمتغير مستقل قد يؤثر على محتوى الذاكرة التي تسكن في مخيلة اللاجئ ورؤيته فيما يتعلق بتوريث هذه الذاكرة لأبنائه. فالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها اللاجئ الفلسطيني في لبنان تختلف عن تلك الظروف التي يعيشها هذا اللاجئ في الأردن أو في غزة والضفة الغربية، واللاجئون القاطنون في المخيمات يعيشون ظروفاً مختلفة عن الظروف التي يعيشها اللاجئون القاطنون في المدن والقرى وهكذا ....

3:1. الذاكرة الجماعية والتاريخ:

تبدو الذاكرة الجماعية كما يصفها المؤرخ الفرنسي جاك لوغوف J.Le.Goff بأنها:

" أسطورية بشكل أساسي، مشوهة، تخلط الأزمنة ولكنها على كل حال هي حالة المعيش للعلاقة التي لا تنتهي بين الماضي والحاضر.ومهما يكن، فإنه من المرغوب فيه أن يقوم الخبر التاريخي الـذي ينتجه المؤرخون المحترفون بتصحيح التاريخ التقليدي المغلوط " (لوغوف، كما يظهر عند كوثراني، 2000: 26).

ولوغوف بذلك فإنه يشكك في مصداقية الذاكرة الجماعية كمرصد للمعرفة عن الماضي وفي الوقت نفسه يعطي أهمية اكبر للتاريخ الذي يكتبه المؤرخون المحترفون كما يسميهم هو، وفي المقابل هناك من يعتقد بوجوب عدم إغفال المعرفة التاريخية والاجتماعية التي تتكون من خلال الذاكرة الجماعية وفي هذا السياق يشير محمد دكروب إلى الذاكرة الجماعية بوصفها:

" النمط الحاسم لسيرورة المعرفة، فإنها بهذا المعنى ليست مجرد حالة من الإبداع الخيالي الهادف لتحقيق وتجسيد عناصر التوازن الحضاري المفقود، بل إضافة لذلك فهي تشكل قيمة حقيقية واقعية انطلاقا من وظيفتها المميزة القائمة في المحافظة على العادات والقيم والمعتقدات " (دكروب، 1984: 25).

ويبدو أن دكروب يختلف كثيرا عن لوغوف فهو إضافة إلى عدم إنكاره الجانب الخيالي والأسطوري في الذاكرة الجماعية فإنه أعدها مخزنا يختزن الكثير من المعرفة حول المجتمع قد يلجأ إليها المؤرخون والانثروبولوجيون والسوسيولوجيون في لحظة معينة.

ويضيف وجيه كوثراني إلى ذلك بقوله: " **إن الذاكرة غالبا ما تخترق الخطاب التاريخي مهما اتسعت وتحصنت عدة ذاك الخطاب من ناحية المنهج والطرائق " (كوثراني، 2000: 26)**، وفي المقابل يرى لوغوف " **بأن التاريخ يضيء الذاكرة ويساعدها على تصحيح أخطائها " (لوغوف، كما يظهر عند كوثراني، 2000: 26)**، إذا فإننا نقف أمام رأيين مختلفين إلى حد ما فكوثراني يرى بان الذاكرة الجماعية تمتلك من القدرة على التأثير في التاريخ والكيفية التي يتناول فيها التاريخ الماضي وخاصة تلك المحطات التاريخية التي تستهوي الذاكرة الجماعية، أو بمعنى أدق فإنه يمكن لهذه الذاكرة أن تتدخل في صياغة بعض الأحداث التاريخية بالشكل الذي يناسب المضمون الفكري والسياسي والأخلاقي لتلك الذاكرة. فهل أن التاريخ الذي كتبه المستشرقون عن بلاد الشرق وشعوبها كان موضوعيا أم أن مواقفهم المسبقة عن الشرق التي شكلتها ذاكرتهم قد تدخلت في الكيفية التي تناولوا فيها هذا التاريخ؟ وهل ما كتبه المؤرخون الصهاينة عن مجريات الأحداث في فلسطين خلال النصف الأول من القرن الماضي كان موضوعيا؟ أم تمت صياغته بطريقة تتلاءم مع الذاكرة التي اختلقتها الصهيونية لدى اليهود حيال فلسطين وشعبها؟.

يمكن الإجابة عن هذين السؤالين بجملة سهلة مفادها بأنه لايمكن فصل البحث التاريخي عن مجال الذاكرة الجماعية. وهذا ما أكد عليه الباحث الإسرائيلي أوري رم حيث يقول:

" إن البحث التاريخي – القديم والجديد على حد سواء – ليس في مقدوره أن يكون مقطوع الصلة بالذاكرة الجماعية، وأن نطاقي الوعي التاريخي، وهما "التاريخ" (بمفهوم البحث) و"الذاكرة " (بمفهوم الأسطورة) متشابكان ومجهودهما المتواتر للانفصال محكوم عليه بالسيزيفية " (رم، 1997: 222).

وفي هذا السياق يرى إدوارد سعيد بأن: " **الاستشراق كان نتاجا لقوى ونشاطات سياسية معينة ، وانه مذهب سياسي مورس إراديا على الشرق ، لأن الشرق كان اضعف من الغرب الذي ساوى بين الشرق**

وبين ضعفه" (سعيد،1981 :37)، وفي ذات السياق يقول ابراهيم عبد الكريم في كتابه " الاستشراق وأبحاث الصراع لدى اسرائيل " :

" تغلب على الاستشراق الغربي الجديد محدداته وبواعثه السياسية والبراغماتية، وتسخيره للتغلغل في المنطقة العربية والعالم ، والسعي الى اجتثاث العوامل التي يمكن ان تعيق هذا التغلغل ، وهو ما يمثل " نَعْوَةً " للاستشراق التقليدي في الغرب ، الذي كان في احد جوانبه منهلا للمعرفة ومصدرا لتكوين الصور الذهنية او الواقعية عن الشرق" (عبد الكريم، 1993 :49).

وهناك الكثير من المستشرقين الصهاينة وبعض الاوروبيين المتعاطفين مع المشروع الصهيوني الذين سخروا دراساتهم وابحاثهم لخدمة اهداف هذا المشروع في فلسطين ومنهم – على سبيل المثال لا الحصر – :يعقوب بارت الذي يعد من غلاة الصهيونية، وريتشارد غوتهيل، ودافيد بانت، ولورنس اوليفانت وهو صهيوني لا يدين باليهودية وشغل في فترة من حياته منصب وزير خارجية بريطانيا، واصدر كتابا سنة 1880 بعنوان " أرض جلعاد " الذي تضمن بين صفحاته موقفا سلبيا واضحا إزاء عرب فلسطين ، وحسب ما جاء في هذا الكتاب فإن البدو الذين وصفهم بأنهم مولعون بالحرب يجب أن يطردوا ، اما العرب الفلاحون فيجب ان يستمالون ويوضعون في اراضٍ خاصة بهم كالهنود الحمر في اميركا الجنوبية ، ويمكن إستعمال بعض الفلاحين العرب كيد عاملة رخيصة تحت اشراف يهودي(الشريف، 1985 : 140-141).

والفلسطينيون في هذه المرحلة هم أحوج ما يكون إلى انعاش الذاكرة الجماعية الفلسطينية والخروج برواية فلسطينية قوية ومتماسكة قادرة على مواجهة الرواية الاخرى التي لفقت وحوّرت الاحداث بما يتلائم مع اهدافها في فلسطين، والتاريخ الرسمي لا يمكنه ان يسد الثغرة في هذا المجال فهو – كما يصفه عزمي بشارة – :

" بات يكتب ضمن سياق تسوية لا تتضمن الذاكرة التاريخية، أي لا تتضمن الاعتراف بذاكرة الظلم والغبن الذي لحق بسكان البلاد الأصليين، تحول إلى منقلب عليها، فالذاكرة تتعارض مع حساباته البراغماتية الحاضرة، وسياسة اليقظة تتعارض مع شاعريتها" (بشارة، 1997: 47).

وفي نفس السياق يرى عادل يحيى " **أن الروايات الشفوية**[التي تعد جزء من الذاكرة الجماعية] **تخدم كمكمل، وربما كمصحح للتاريخ المكتوب الذي عادة ما يعبر عن وجهة نظر النخبة التي تحتكر عمليات الأرشفة والتوثيق والكتابة التاريخية**"**(يحيى، 1998: 11)**. بالتالي فإنه أصبح من الأهمية بمكان القيام بدراسات جدية تتناول مكونات الذاكرة الجماعية الفلسطينية وكل ما تختزله في أوعيتها من صور ودلالات وتجارب وخبرات ومحطات تفضي في نهاية المطاف إلى صناعة رواية قوية ومتماسكة تتناقلها الأجيال اللاحقة، لأن الاعتماد على التاريخ مصدراً وحيداً لاغناء المعرفة وتكوين المواقف والاتجاهات نحو الأرض التي تم استلابها والقرية التي تم تدميرها قد ينعكس ذلك بالسلب على الذاكرة الجماعية الفلسطينية ويفضي إلى تناقض في هذه المواقف والاتجاهات.

4:1. مكونات الذاكرة الجماعية الفلسطينية:

تعد الذاكرة الجماعية بمثابة بناء تتداخل في تكوينه الكثير من العناصر، وتعد اللغة من أهم هذه العناصر المكونة للذاكرة، وعندما نتحدث عن اللغة فان ذلك يعني النص اللغوي المكتوب والمقروء والمحكي، فهذا النص وبغض النظر عن شكله فهو يشتمل على دلالات ورموز ومفردات وصور ومجازات تدخل بشكل أساسي في تكوين الذاكرة، "**فاللغة** [وكما يصفها الياس خوري] **هي مستودع الذاكرة الجماعية** " **(خوري، 1990: 219)**. إذاً فإن عملية بناء الذاكرة وإنعاشها يتطلب في الوقت نفسه عملية إحياء النصوص اللغوية وخاصة ما يتعلق منها بالأدب من شعر وقصة ورواية حيث إنها بمجملها تعكس الواجهة الثقافية للأمة، وهذا ما اعتمدت عليه الدولة القومية الحديثة في مسعاها إلى تأسيس نفسها في المخيال الجمعي للناس، حيث عملت على بعث الحياة في لغاتها، وفي هذا السياق يشير بندكت اندرسون إلى دور المثقفين من معدي القواميس والأدباء في اللغات المحلية في تشكيل قوميات أوروبا في القرن التاسع عشر(اندرسون، 1999: 76). فإلى حد كبير يمكن القول إن هناك جدلية قائمة في العلاقة بين اللغة والذاكرة الجماعية، فعملية إنعاش الذاكرة تتضمن إعادة الاهتمام باللغة التي تفترضها الجماعة بأنها لغتها القومية وذلك للمحافظة على موروثها الثقافي وإن إحياء الموروث اللغوي من نصوص دينية وأدبية

وتاريخية قد يعزز قوة الذاكرة وإمكانية انتقالها عبر الأجيال، وكلاهما، الذاكرة واللغة، يعــدان مــن أهــم العناصر المكونة للهوية القومية لأي جماعة بشرية.

وإذا ما ألقينا نظرة على الإنتاج الأدبي الفلسطيني المتصل بعملية إنعاش الذاكرة الجماعية نجد أن هناك الكثير من الأعمال الشعرية والروائية كتلك الأعمال الروائية لغسان كنفاني والشعرية لمحمــود درويــش وغيرهم من الأدباء الفلسطينيين الذين تركوا بصمات واضحة في هذا المضمار، ولكن هناك سؤال يطــرح نفسه على الدوام، وهو من الذي يقرأ هذا الأدب ؟ الإجابة تأتي بشكل عفوي، فالذين يقرؤون هم المثقفون. إن الإجابة على هذا التساؤل تقودنا للحديث عن المكونات اللغوية التعبيرية الرمزية والتي يتناقلهــا النــاس خلال أحاديثهم ومسامراتهم كالقصص والحكايات الشعبية فهي أيضا تشتمل على رموز ودلالات وصــور تاريخية قد تسد الثغرة لدى من لا تستهويه قراءة الأدب المكتوب أو لدى من لا يحالفه الحظ في الحصــول على التعليم.

بالتالي فإن ما تتناقله الأجيال المتعاقبة من خلال الرواية الشفوية، من مأثورات شعبية (شعر شــعبي، وحكايات، وأمثال شعبية ...الخ) فإنها تدخل بشكل أساسي في تكوين مبنى الذاكرة الجماعية، ونرى أيضــا أن رواية الأحداث التاريخية (الرواية الشفوية للحدث) تعد هي الأخرى من المكونات الضرورية للــذاكرة حيث أنها تنطوي على عملية تشكيل صور تاريخية عن أبطال معينين أو أحداث بعينها وهي الأعمال نفسها التي يصفها سيمون روجر بأنها عبارة عن " **فعل مقصود يحاول تشكيل الذاكرة الاجتماعية**" **(روجر، كمــا يظهر عند الصدة، 1998: 362)**. كذلك فإن الطقوس والمواسم الاحتفالية التي تجــرى فــي المناســبات المختلفة بقصد إحياء ذكرى معينة أو الاحتفال بمناسبة معينة، هي أيضا تدخل في صــميم بنــاء الــذاكرة الجماعية، فعلى سبيل المثال تساهم عملية إحياء ذكرى النكبة التي يحرص اللاجئون الفلســطينيون علــى إحيائها والتذكير بها في كل عام في رفد الذاكرة الجماعية بصور تاريخية عن الكارثة التي حلت بالشــعب الفلسطيني حينذاك أي في العام 1948. فمن خلال هذه الأعمال التذكيرية يمكن للاجئ الفلسطيني الذي لم يعايش الحدث بأن يتخيله، حيث تتكون في ذاكرته مجموعة من الصور والتخيلات لأحداث درامية جعلــت

منه لاجئا مجردا يعيش في المخيم. وأما أولئك الذين عايشوا تلك الأحداث أو شاركوا في صنعها فقد تساعدهم هذه الأعمال التذكيرية على نفض الغبار عن تلك الصور التي سكنت ذاكرتهم منذ أن تم اقتلاعهم وتهجيرهم.

مما لاشك فيه بأن النكبة تحتل المكان الأساسي في الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين الفلسطينيين، ولكن إلى حد كبير يمكن القول بأن عملية إحيائها وما يرافق ذلك من طقوس تذكيرية مختلفة إنما ينسحب أيضا على جميع المناسبات الأخرى، خاصة تلك المناسبات المتصلة بالأحداث الكارثية المؤلمة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني من مجازر وعمليات تهجير واقتلاع. بالتالي فإن الأعمال التي تهدف إلى إحياء ذكرى أو مناسبة معينة لها من الأهمية بمكان ليس فقط في تكوين الذاكرة الجماعية فحسب وإنما أيضا في إنعاشها وتوريثها للأجيال القادمة، فهي – الأعمال الاحتفالية والتذكيرية- من شأنها "**أن تؤسس لما يجب أن تحتويه الذاكرة الاجتماعية**"**(الصدة، 1998: 362)**. وفي ذات السياق يمكن اعتبار منظومة العادات والتقاليد المرتبطة ببعض المناسبات الاجتماعية كالطقوس الاحتفالية التي تمارس في الأعراس والأعياد تندرج هي الأخرى في بناء الذاكرة الجماعية لما تنطوي عليه من رموز ودلالات مؤثرة في عقل الجماعة وسلوكها، فهناك الكثير من العادات والتقاليد تمارس في هذه المناسبات كانت سائدة في القرية قبل الاقتلاع والتهجير ويجري إعادة استحضارها في المخيم، فإلى حد معين يمكن اعتبار ما يجري في هذا السياق هو عملية إعادة إنتاج للقرية في المخيم وبالتالي تبقى صورة القرية ماثلة في مخيلة اللاجئ.

وبالإضافة إلى جنوح الذاكرة الجماعية نحو الأسطورة أحيانا- وهو ما أشرنا إليه في مكان سابق من هذا الفصل -، فهي أيضا يمكن أن تشكل مصدرا مهما للمعرفة التاريخية والاجتماعية، وهذا ما أشار إليه محمد دكروب – وقد أوردنا في موضع سابق ما قاله بهذا الصدد – كذلك روزماري صايغ في ورقة بحث لها بعنوان " نساء المخيمات الفلسطينية كرواة للتاريخ "، والتي اعتبرت فيها " **الرواية الشفوية كمصدر لمعرفة التاريخ الفلسطيني**" **(Sayigh, 1998:42)**، وفي ذات السياق تقول سوزان سلوموفكس أن " **كتب الذاكرة تعتبر جزءاً من تصورات الحياة اليومية ولكنها أيضا تعرف من قبل معديها وقرائها بأنها تأريخ**

للقرية " (slyomovics, 1998:1). بالتالي فإن ما يعرفه الآباء والأجداد الذين عاشوا في القريـــة عـــن قريتهم ومحيطهم الاجتماعي كذلك معرفتهم بتفاصيل بعض الأحداث التاريخية التي شهدها ويجري تداولها وتناقلها بين الناس تشكل بمجملها عنصرا مهما من العناصر التكوينية للذاكرة الجماعية، مع ضرورة عدم إغفال ما يمكن أن يطرأ على هذه الذاكرة من ضعف أو تآكل قد يؤثر على مصداقية المعرفة التي تحتـــوي عليها ولكن وبدون شك تبقى هناك بعض الخيوط التي يمكن الإمساك بها للوصول إلى المعرفة.

5:1. انتقال الذاكرة الجماعية وتوارثها عبر الأجيال:

تفيد بعض الدراسات بأن:

" تعاقب السمات الحضارية عبر التطور التاريخي الطويل يمكن له أن يتم عبر طريقتين: إما بشكل إرادي وواع، نتيجة للتأثير الذي يمارسه كل جيل على أفراده بواسطة التربية على سبيل المثال، وإما بشكل تلقائي لا إرادي أو لا واع بواسطة الذاكرة الجماعية "(دكروب، 1984 :29) .

وهذا يعني – حسب اعتقاد دكروب – بأن الذاكرة الجماعية مستقلة عن الوعي والإدراك، ويقترب هذا الطرح إلى حد ما من ما طرحه أحد أتباع فرويد وهو أدلر (Adler):

" فكما فرض فرويد "اللاشعور الفردي" فإن أدلر فرض ما دعاه كذلك "اللاشعور الاجتماعي" وهو لا يختلف في مظاهره وآثاره عن اللاشعور الذي يكون العقل الفطري عند الفرد فكما أن الفرد لا يعتبر وحدة مستقلة بل جزءا من الوحدة الاجتماعية التي يعيش فيها، كذلك عقله يجب أن نعتبره جزءا من عقل المجتمع نفسه"(عطية الله، 1945: 258 –259).

إن ما أورده دكروب وأدلر يفيد بأن انتقال الذاكرة الجماعية يتم بطريقة لا واعية وبالتالي فهي عملية غير مقصودة، يمكن الإتفاق جزئيا مع هذه الآراء، وخاصة التي تتم من خلال سلوكيات التقمص والتماهي التي يمارسها الصغار حيال الكبار(الأبناء تجاه الآباء) عندما يقلدونهم في بعض المواقف، ولكن لا يمكن الجزم بأن كل العمليات التي يتم مـــن خلالها انتقال الذاكرة عبر الأجيال هي عمليات لا واعية أو غير مقصودة،

فهناك أشكال أخرى من الذاكرة يتم استحضارها بشكل واع ومقصود وتتم عملية نقلها بشكل مدروس ومخطط له، وفي هذا السياق يقول ادوارد ســـعيد:

" إن اختلاق التراث هو منهج لاستخدام الذاكرة الجمعية بشكل انتقائي من خلال التلاعب بقطع معينة من الماضي القومي وذلك بطمس بعضها وإبراز بعضها الأخر بأسلوب توظيفي بكل ما في الكلمة من معنى" (سعيد، 2001 :95).

وهذا يعني بأن هناك جزءاً من الذاكرة الجماعية يتم استحضاره وإنعاشه عن وعي وإدراك بالإضافة إلى ذلك فهم يبحثون أيضا عن الآليات التي تضمن نقل هذه الذاكرة إلى الأجيال المتعاقبة حتى يتم تحقيق الهدف الذي استحضرت من أجله، وأكثر ما يتجلى ذلك من خلال الإعلام الموجه والنظام التربوي.

وإذا ما تناولنا الأطر والقنوات التي يتم من خلالها انتقال الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين الفلســطينيين نجد بأن بعض أشكال هذه الذاكرة يتم نقله وتوريثه للأجيال بطريقة غير مخطط لها، وإنما تأتي من خـــلال محافظة اللاجئين على بعض عاداتهم وتقاليدهم التي كانت سائدة في القرية قبل اللجوء، وفي هذا الســياق يقول محمد عودة:

" فبعد الهجرة إنشغل اللاجئون بإعادة بناء القرية في المخيم حسب التنظيم الاجتماعي العائلي للمحافظة على العلاقات الاجتماعية، وليتمكنوا من الصمود أمام رداءة أوضاعهم المعيشية الناتجة عن تدمير الحالة الاقتصادية"(عودة، 2000:124).

وبما أن منظومة القيم والعادات والتقاليد تدخل بشكل أساسي في تكوين الذاكرة الجماعية، بالتالي فإنه من الطبيعي أن يتم انتقال بعض ما تختزنه الذاكرة من خلال توارث وانتقال هذه العادات والتقاليد، أيضا هناك بعض الحكايات التي يرويها الآباء للأبناء والأحفاد تأتي بشكل عفوي كتعبير عن رفضهم للواقع المعـــاش وكمحاولة لتذكير أبنائهم وأحفادهم بماضيهم الأفضل عندما كانوا يملكون الأرض ويفلحونها، وهـــي حالـــة نكوصية مرتبطة بالصدمة التي تعرض لها الفلسطينيون بعد النكبة.

ولكن إذا ما نظرنا إلى هذه الأشكال [اللاواعية] من تناقل الذاكرة نجد بأنها من الممكن أن تتأثر ببعض المتغيرات التي يمكن أن تنعكس على قوة هذه الذاكرة وقدرتها على الانتقال من جيل لآخر، فالعادات والتقاليد والقيم المتوارثة المسئولة عن نقل بعض أجزاء هذه الذاكرة قد تتغير وتتبدل مع مرور الوقت فهي ليست بمنأى عن مجمل التحولات والتطورات التي يمر بها المجتمع بشكل عام، أيضا فإن الكبار الذين عاشوا التجربة قد لا يتحدثون لأبنائهم إلا عندما يرغبون في الحديث بمعنى أن الحديث مع الأبناء عن الحياة في القرية قبل التهجير والأحداث التي واكبت النكبة تخضع في كثير من الأحيان إلى الحالة النفسية اللاجئ، والصغار ليسوا دائما مستعدين (نفسيا وذهنيا) لتقبل أحاديث الكبار، والسؤال هنا، هل تبقى الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين رهينة لهذه الأشكال وهذه القنوات من الانتقال؟.

لا ننكر وجود بعض الأطر والمؤسسات الفلسطينية المنبثقة عن الأحزاب والتنظيمات الفلسطينية قد أدركت إلى حد ما حجم المسؤولية وراحت تنظم بعض الأنشطة والفعاليات الوطنية والشعبية التي يمكن أن تساعد في انتقال الذاكرة، وأكثر ما تتجلى هذه الأنشطة والفعاليات من خلال إحياء بعض المناسبات والتذكير ببعض الأبطال والشهداء والمجازر. إلا أن هذه الفعاليات تظل مرتبطة بأيام محدودة من السنة، كذلك فهي تهتم بجوانب محددة جدا من الذاكرة وبالتالي فهي لا يمكن أن تفضي إلى عملية تواصل واستمرار في انتقال الذاكرة. ولكن، وفي خضم الصراع الدائر بين روايتين تحاول كل منهما نفي الأخرى، تبرز الحاجة لدى الفلسطينيين إلى ضرورة البحث عن وسائط وقنوات أخرى من شأنها أن تؤمن عملية انتقال الذاكرة للأجيال، وخاصة أن الرواية الأخرى قد نجحت إلى حد كبير في استعطاف بعض الحكومات وخاصة في الغرب، حيث ساعدها في ذلك المال والإعلام الضخم، هذا بالإضافة إلى الكيفية التي وظفت بها الصهيونية ذاكرة الهلوكوست هناك، وعلى ذكر الهلوكوست فقد أورد د.جوني منصور في إحدى مقالاته التي تناولت هذا الموضوع (33) ثلاثاً وثلاثين طريقة ووسيلة يتم من خلالها الترويج والتوظيف لهذه الذكرى، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، إصدارات متعددة من الكتب والمقالات والدراسات والمواقع الالكترونية والإنتاج للأفلام السينمائية وإقامة النصب التذكارية،..الخ. (منصور، 2001 :69).

إن ما جرى من عمليات تدمير شامل ومنظم للقرى الفلسطينية بما كانت تشتمل عليه من شواهد مادية وآثار كانت تشير بوضوح إلى أسبقية الشعب الفلسطيني على هذه الأرض وحقه الطبيعي فيها، كذلك استهداف العديد من المؤسسات الفلسطينية التي تعنى بالوثائق والمحفوظات كتدمير مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت عام 1982، ويضاف إلى ذلك محاولة استهداف بنية العقل الفلسطيني من خلال محاولات التدخل المستمرة في المناهج التدريسية والمطالبة بتغييرها. إنما يشير كل ذلك إلى استهداف الذاكرة الجماعية الفلسطينية من خلال تدمير ما يمكن تدميره من أوعية وحافظات لهذه الذاكرة، بالتالي فقد أصبح هناك ضرورة ملحة لمأسسة عملية انتقال الذاكرة الجماعية وتوريثها للأجيال القادمة من خلال مؤسسات متخصصة في حفظ الذاكرة الجماعية ونقلها، لان الارتهان إلى الوسائل والأساليب التقليدية المتبعة حتى الآن في نقل الذاكرة لا يمكنها مواجهة التحديات القائمة التي تستهدف هذه الذاكرة. وأما من الناحية النظرية وبشكل عام يمكن القول بأن من أهم المصادر والقنوات والأطر التي قد أشار إليها بعض الكتاب والباحثين والتي يتم من خلالها عملية تناقل الذاكرة الجماعية بين الأجيال المتلاحقة للجماعات الإنسانية المختلفة فهي على النحو التالي:

أولا:التنشئة السياسية: يرى المراقبون أن التنشئة السياسية للفرد وللطفل على وجه الخصوص من ابرز الجوانب التي تنقل بها ثقافة المجتمع بشكل عام والثقافة السياسية بشكل خاص من جيل إلى جيل، فالتنشئة السياسية حسب روي هي"المعتقدات والمشاعر المتعلقة بنقل الثقافة السياسية إلى الأجيال المتعاقبة وبناء على ما سبق يميز الباحثين بين اتجاهين رئيسين لهذا المفهوم: اتجاه أول يهتم بصياغة شخصية الفرد طبقا لنموذج معياري مسبق وذلك بهدف تعميق منظومة القيم والتوجهات الشائعة والمستقرة في ضمير المجتمع، مما يضمن ديمومتها واستقرارها مع الزمن وهذا يتحقق عن طريق التلقين، أما الاتجاه الآخر فيعنى بتنمية مدركات الفرد وتعزيز قدراته وبناء هويته الخاصة به وهذا يتم عن طريق المؤسسات الحداثوية مثل الأحزاب (الزيات، 2002: 16-19). ويرى الباحثون أن نجاح عملية التنشئة السياسية وفعالياتها يعتمد على مؤسسات التنشئة السياسية ومن هذه المؤسسات:

1-الأسرة: تعد الأسرة من أقوى الجماعات الاجتماعية والأكثر تأثيرا على حياة الطفل، وعن طريقها يتعلم أساليب المجتمع والثقافة، وتكتسب الأسرة أهميتها التربوية وتأثيرها الفعلي في شخصية الفرد لاعتبـــارات كثيرة من ضمنها أن معظم الأصول الأولى للاتجاهات يكتسبها الطفل عن طريق التعليم خـــلال الســـنوات الأولى مع أسرته.

2- مؤسسات التربية والتعليم: تعد المدرسة وغيرها من مؤسسات التعليم الرسمي ذات أهمية خاصة فـــي عملية التنشئة بشكل عام وإعداد الأجيال الجديدة للمواطنة، وتكتسب المدرسة أهميتها في إعداد الناشئة نظرا لطول الفترة التي يقضيها الطفل في المدرسة، وطبيعة النظام المدرسي، ونمط العلاقات السائدة فيه، ونوعية المعلم وعلاقته بتلاميذه، ونوعية المنهاج الدراسي ومحتواه وأسلوب نقله إلـــى التلاميـــذ.(الســـيد احمـــد، 1986:191-195).

3- المؤسسة العسكرية(الجيش): إضافة إلى التدريب العسكري الذي يخضع له الجنود، هناك أيضا عملية تثقيف وتعبئة سياسية تمارس داخل المؤسسة العسكرية من خلال دائرة مختصة في الجيش لهذا الغـــرض وهي ما يطلق عليها وخاصة في بعض الجيوش العربية بدائرة التوجيه السياسي والمعنوي.

4- الأحزاب السياسية:تساهم الأحزاب السياسية في صياغة الثقافة السياسية للمجتمع من خلال برامجهـــا ومبادئها وعمليات التوعية السياسية التي تقوم فيها، فبالإضافة إلى التأثير الذي تمارسه هذه الأحزاب علـــى الأعضاء المنتمين إليها من اجل ملائمة توجهاتهم السياسية والفكرية مع الايدولوجيا التي يتبناها الحـــزب، فهي أيضا تحاول التأثير في الرأي العام (أبرش، 1998 :230-231).ومما لا شك فيه بأن الأحزاب ذات النزعة القومية يكون تركيزها أكثر من الأحزاب السياسية الأخرى على بعض محطات الذاكرة الجماعيـــة على اعتبار أن هذه المحطات تساهم أحيانا في تعزيز الانتماء القومي أو التعصب القومي لدى الجمهور.

ثانيا: الفلكلور كأسلوب لحفظ الذاكرة الجماعية وكحلقة وصل بين الأجيال: يعرف المختصون في التراث والفلكلور الشعبي الفلكلور بأنه الإنتاج العفوي المعبر عن شعور وعواطف وحاجات وضمير أبناء الشعب بشكل عام، وهو ينتقل من جيل إلى جيل، وهو من أهم العناصر في تكوين الهوية الجماعيـــة للشـــعب أو

الأمة، ولقد دلت بعض الدراسات وخصوصا في المناطق الاستوائية أن الفلكلور قد لعب دورا كبيــرا فــي حفظ وتقوية الذاكرة الجماعية لدى أفراد المجتمع الاستوائي (Gross, 2002:342-350). ويرى الباحثون أن تفعيل دور الفلكلور في الحفاظ على الهوية الجماعية يجب أن يتم عن طريق عدة عمليات من ضــمنها إيجاد الرموز وتعميمها على أفراد المجتمع وإيجاد استراتجيات تمكن أفراد المجتمع من تداول هذه الرموز(كناعنة، 2003: 198-171).

ثالثا: العلاقة الجدلية بين الهوية الجماعية والذاكرة الجماعية:- يرى الباحثون أن من أبرز العوامل التي تعزز الهوية الجماعية هي الذاكرة الجماعية، حيث إنها تجعل الأفراد يعيشون تجاربهم بطــرق متشــابهة، ويعطون المعاني نفسها لهذه التجارب، وخصوصا إذا كانت هذه الجماعة مهددة بالإقصاء وهذا ما يحصــل عادة في مجتمعات الشتات ومع الأقليات الاثنية، حيث تعمل هذه التجمعات على تنمية المشــاريع القوميــة وتنمية الحس المشترك بين أفراد المجموعة لإدامة الذاكرة الجماعية حول الوطن المفقود، وبالتــالي فــإن الذاكرة الجماعية ترتبط بدقة العلاقة بين المكان والجغرافيا، وتظهر هذه الحالة في الذاكرة الفلسطينية فــي الحديث عن بيارات البرتقال وشجر الزيتون، حيث أصبحت شجرة الزيتون الرمز العظيم للوطن (شــولز، 2003: 26؛ الشوا، 2003 :210-211).

رابعا: التاريخ الشفوي كأحد الركائز الأساسية لتناقل الذاكرة الجماعية وتوارثها: والتاريخ الشــفوي قــد يعكس إلى حد كبير صورة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأي مجتمع في مرحلة تاريخية معينــة ويمكن أيضا أن يسد بعض الثغرات التي لم يلتفت إليها التاريخ المؤرشف والمكتوب أو أنه تركهــا عــن قصد، وهو ما اعتمد عليه عدد من الباحثين الفلسطينيين في هذا المجال مثل عادل يحيى الذي تبنى في ذلك رأي جان فانسينا الذي عرف التاريخ الشفوي بأنه:

" منهج بحث يُعنى بدراسة الماضي من خلال الكلمة المحكية في الذاكرة والمنقولــة مشــافهة ويشــمل نوعين: الأول هو التراث الشفوي أي دراسة الماضي البعيد من خلال الروايات الشــفوية الشــائعة فــي مجتمع معين، والمنقولة مشافهة عبر عدة أجيال، أو جيل واحد على الأقل، أما الثاني فهو تاريخ الحيــاة

والذي يعني دراسة الماضي القريب من خلال روايات شهود العيان، أي روايات النـــاس الشــفوية عــن أحداث حياتهم وخبراتهم ومشاهداتهم (فانسينا، 2002: 10، كما يظهر عند يحي).

وبالإضافة إلى يحيى فهناك عدد آخر من الباحثين الفلسطينيين الذين اعتمدوا على الروايـــة الشــفوية فـــي أبحاثهم ودراساتهم عن اللاجئين الفلسطينيين مثل روز ماري صايغ و د. شريف كناعنة وغيرهم.

خامسا: كما سبق وأشرنا فإن هناك مجموعة من الطرق الأخرى التي تم توظيفها في مجال تناقل الذاكرة الجماعية والمتمثلة في: إصدار الكتب والمقالات والدراسات والاراشيف والمواقع الالكترونيـــة والصـــور الفوتوغرافية وإنتاج الأفلام وعمل النصب التذكارية التي تعنى بالذاكرة الجماعيـــة للجماعـــات البشـــرية المختلفة.

هذا من الناحية النظرية أو ما أوردته بعض الكتب والدراسات في هذا المجال، وأما واقع الحال لـــدى اللاجئين الفلسطينيين الذين هجروا من قرية بيت جبرين فإن الدراسة وبالإضافة إلى القضية الأساسية التي قامت على أساسها والمتمثلة في الولوج في ثنايا ومنعطفات الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين المهجرين مـــن القرية وخاصة فيما يتعلق بحياتهم الاقتصادية والاجتماعية قبل التهجير كذلك الـــذاكرة المتعلقـــة بلحظـــة التهجير فسوف يتم التعرف على أهم القنوات والطرق الدارجة بين اللاجئين التي تتم بواسطتها عملية انتقال الذاكرة الجماعية.

الفصـــــل الثـــــاني

منهجــيـــة الدراســــــة

2 :1. استراتيجية الدراسة:

مما لا شك فيه، بأن مجال الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين يحتاج إلى الكثير مـن الدراسـات النظرية المنظمة التي تستند على منهج البحث العلمي حتى يتسنى الخروج بنتائج وبيانـات تضـيف إلـى المعرفة العلمية في هذا المضمار وتساعد في تأسيس فضاء عام للذاكرة الجماعيـة الفلسـطينية، وبمـا أن البيانات والمعلومات التي سوف يجري جمعها من المبحوثين ترتبط إلى حد كبير بمشاعرهم وأحاسيسـهم وتختص بتجربة تم اختزالها في الذاكرة من قبل كل لاجئ كما أحس بها أو سمع عنها من الآخرين، وليس بالضرورة أن تتشابه الأحاسيس سواء فيما يتعلق بنوعها أو بدرجة شدتها وتأثيرها على من مروا التجربة بنفسها، بالتالي فإن هذا النوع من البيانات لا يمكن تكميمها أو التعامل معها من خلال أسئلة وعبارات مقفلة داخل استبانة، من هنا فإن المنهج الكيفي الذي يراعي هذه الاعتبارات ومن خلال تقنية المقابلة المعمقة مع المبحوث، كذلك الملاحظة بالمشاركة يمكن إلى حد كبير الحصول على بيانات ومعرفة علمية أدق وتنطوي على مصداقية أكثر من أي منهج بحثي آخر فيما يتعلق بهذا النوع من البيانات. وفي هذا الفصـل سـوف يجري توضيح أهم القضايا المنهجية المتعلقة بالدراسة.

2:2. أهميـــة الدراسة:

لقد أكد الكثير من المشتغلين في العلوم الاجتماعية وبالتحديد ممن كتبوا عن الذاكرة الجماعية والهوية على أهمية ما تختزنه مخيلة الجماعة من رموز ودلالات وتمثلات ومعرفة عن الماضي في المحافظة على وحدة الجماعة وتماسكها، وإعادة إنتاج الانتماء إليها، وفي هذا السياق يقول كاستورياديس: " **إن ما يبقـى المجتمع متماسكا هو تماسك عالم دلالاته " (كاستورياديس، 2003:504)**، وبالإضافة إلى الجانب الرمزي والأسطوري للذاكرة الجماعية وأهميته في تعزيز الهوية والانتماء لدى الجماعة، فهناك أيضا جانب معرفي وهو ما أشير إليه في الإطار النظري عندما جرى الحديث عن علاقة الذاكرة الجماعية بالتاريخ، وكذلك في

باب الحديث عن مكونات الذاكرة الجماعية، وكنا قد أوردنا في حينه مجموعة من الآراء لبعض المفكــرين والباحثين في هذا الاتجاه التي تدعم هذا التوجه. كما أن هذه المعرفة التي أمكن الحصول عليها من خــلال ما تفيض به أوعية الذاكرة الجماعية وخاصة الرواية الشفوية التي تعكس إلى حد كبير معرفة المجتمع لذاته ولتاريخه، وكذلك عمليات التغيير التي مر بها والتحولات والتطورات التي جرت عليه، وفي الوقت نفســه فهي تمثل جزءا لا يتجزأ من العملية الإبداعية لإعادة إنتاج الذات وإعادة بنائها وعاملا مكونا للفضاء العام للذاكرة الجماعية والهوية (جيوسي، حنفي، 2004 :8).

وفي هذا السياق يشير صالح عبد الجواد في تقديمه لكتاب صفحات من الذاكرة الفلسطينية:

" إن جميع التذكرات الشفوية وتوثيقها عمل هام للغاية فهو يحفظ خبرات وتجارب كانت ستغيب في طــي النسيان، ويكتسب هذا العمل أهمية إضافية في المجتمعات التي تقل فيها عملية التدوين والتأريخ كحــال مجتمعنا وتترك الأمور اعتمادا على ذاكرة بدأت تفقد الكثير من مواقعها في عصر احتل فيــه التلفزيــون والفيديو المكان الذي شغلته الذاكرة الشعبية عبر القرون حيث كانت الروايات تتناقل من جيل إلى جيل في المضافات والدواوين والبيوت(عبد الجواد، 1995: 3).

إن ما سبق يدفعنا إلى القول بأنه قد أصبح من الأهمية بمكان ضرورة إعطاء أهمية أكبر لمجال الذاكرة الجماعية الفلسطينية من خلال القيام بدراسات منظمة تتناول مكونات هذه الذاكرة ومقوماتها بالإضافة إلــى آليات وقنوات انتقالها وتوريثها للأجيال اللاحقة. وعلى الرغم من المخاطر التي قــد أحاطــت بالــذاكرة الجماعية الفلسطينية منذ أن بدأ المشروع الصهيوني تجلياته على أرض فلسطين وحتى يومنا هذا من خلال الاستهداف المنظم لأوعية الذاكرة الجماعية في مسعى منه إلى تدمير هذه الذاكرة حتى تبقى هناك روايــة واحدة أحادية الجانب تلفق الأحداث وتعمل على تحويرها بما يتلاءم مع أهداف هذا المشروع في فلسطين، وكما أشير إليه في الإطار النظري بأن هناك بعض الدراسات التي أنجزت في هذا الاتجاه إلا انه بقي مجال الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين بحاجة إلى دراسات نظرية أخرى وخاصة فيما يتعلق بالجوانب التي أغفلت في الدراسات السابقة وكنا قد أشرنا إليها في مكان سابق من الفصل الأول.

بالتالي فإن أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها تحاول سد جزء من الثغرة العلمية والمعرفية في هذا الاتجاه، والتي تكونت بسبب عدم وجود دراسات كافية كانت قد تناولت مجال الذاكرة الجماعية الفلسطينية وذلك بالنظر إلى ما يشكله هذا الموضوع من أهمية بالنسبة للفلسطينيين على مختلف المستويات حيث انحصرت غالبية الأعمال المنشورة في هذا المجال على بعض الدراسات التي تناولت جوانب محددة من الذاكرة الجماعية وأغفلت جوانب أخرى لا تقل أهمية عن الجوانب المدروسة وخاصة ذلك الجانب المتعلق بانتقال الذاكرة عبر الأجيال المتلاحقة من اللاجئين، هذا إضافة إلى أن غالبية ما كتب في هذا السياق كان عبارة عن عدد من المقالات الصحفية وبعض الأعمال الوصفية، ومجموعة من السير الذاتية لبعض المثقفين الفلسطينيين ورجالات السياسة الذين تجاوزوا حياة المخيم وعاشوا لجوءاً أقل ظلمة وقسوة، وبالتالي فإن هذا النوع من الأعمال الكتابية المشار إليها لا يمكنها أن تعكس تجربة اللجوء الفلسطيني على حقيقته.

إذا فقد أصبحت هناك حاجة ملحة للقيام بدراسات منظمة تبحث في مجال الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين الفلسطينيين بمختلف فئاتهم العمرية، وأن لا تقتصر على تلك الفئة التي عاشت حدث النكبة حتى يتسنى لنا التعرف على آليات انتقال الذاكرة الجماعية وقنواتها عبر الأجيال، ومستوى النجاح الذي تحقق في توريث الذاكرة للأجيال من خلال الأطر والقنوات الدارجة بين اللاجئين وكذلك الوقوف على حجم التآكل الذي لحق بمخزون هذه الذاكرة ، ولا يمكننا الوصول إلى حقيقة ما آلت إليه عملية النقل الجارية ورصيد الأجيال من الذاكرة الجماعية إلا من خلال الدراسات المنظمة، ويحدونا الأمل في أن يتم تصنيف هذه الدراسة بعد إعدادها ضمن هذا النوع من الدراسات.

3:2. مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

بعد مرور ثمانية وخمسين عاما على تدمير قرية بيت جبرين وتهجير أهلها منها ورحيل الغالبية العظمى عن الحياة من اللاجئين الذين شهدوا حياة القرية وعاشوها بتفاصيلها وشهدوا المكان وبقيت مشهديته حاضرة في مخيلتهم بعد أن هجروا منه، وشهدوا تلك اللحظة العنيفة التي أسفرت عن اقتلاعهم من

القرية لينتهي بهم المطاف في المخيم. فبعد مرور هذه السنوات الطويلة وقرب زوال جيل بأكمله الذي لطالما عدّه الكثيرون في السابق الحاضن الأساسي لمخزون الذاكرة الجماعية حينما استهدفت العديد من الحافظات والشواهد المادية الأخرى لهذه الذاكرة، فإن السؤال الأهم – **وهو ما سنعدّه السؤال الرئيس لهذه الدراسة** – الذي أخذ يبرز في الآونة الأخيرة نظرا لهذه الظروف والمتغيرات التي أحاطت بمستقبل الذاكرة الجماعية ومصيرها هو:

" هل نجح جيل النكبة في نقل وتوريث ما اختزنته ذاكرتهم من معرفة، وقصص، وحكايات، وصور...الخ، تختص بطبيعة الحياة التي عاشوها في القرية قبل التهجير وكذلك بتجربة الاقتلاع والتهجير التي تعرضوا لها عام 1948 إلى أبنائهم وأحفادهم، وأن الأبناء والأحفاد بدورهم قد التقطوها ولديهم القنوات والآليات التي تمكنهم من نقلها إلى الأجيال القادمة؟. أم أن هناك إخفاقات قد انتابت عملية الانتقال هذه وأن الزمن وبما سيحمله من تحولات وتغيرات سينال من هذه الذاكرة إذا لم يتم تدارك الأمر؟.

وحتى تتضح أكثر عملية الإجابة على التساؤل الرئيس الذي أسلفنا طرحه، فإن الدراسة تسعى أيضا للإجابة على مجموعة التساؤلات الآتية:-

1- ما هو شكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية في قرية بيت جبرين قبل النكبة كما تبدو في الذاكرة الجماعية لدى أهلها اللاجئين؟

2- كيف تبدو تجربة التهجير والاقتلاع من القرية وما رافقها من أحداث عسكرية ومحطات تنقُّل ولجوء في الذاكرة الجماعية لدى أهالي القرية؟

3- إضافة إلى متغيّر العمر الذي تناوله سؤال الدراسة الرئيس، فهل هناك أثر لبعض المتغيرات الأخرى كالجنس، ومستوى التعليم، ومكان السكن، أو أية متغيرات أخرى قد تظهر خلال عملية التحليل على مخزون الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين من حيث الكم والنوع؟

4 – ما هي أهم الأطر والقنوات التي تتم بواسطتها عملية انتقال الذاكرة الجماعية وتوريثها للأجيال المتعاقبة من اللاجئين، وما هو أثر بعض المتغيرات المستقلة كالعمر، والجنس، والمستوى التعليمي، ومكان السكن في تحديد نوع هذه الأطر والقنوات التي يستقي منها اللاجئون ذاكرتهم الجماعية؟

4:2. فرضية الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها:

" أن عملية انتقال الذاكرة الجماعية وتوارثها عبر الأجيال الثلاثة (الآباء، والأبناء، والأحفاد) من لاجئي القرية قد انتابتها بعض الإخفاقات، وأن مخزون الذاكرة الجماعية(قصص، وحكايات، وتمثلات، ودلالات، ومعرفة....الخ) المتعلق بطبيعة الحياة التي كانت سائدة في القرية وبتجربة الاقتلاع والتهجير التي تعرض لها أهالي القرية إبان النكبة عام 1948، يتآكل تدريجيا كلما قل عمر اللاجئ ليصبح أقل ما يكون عليه لدى جيل الأحفاد ".

فكما أُشير إليه في أماكن عدة من المقدمة والإطار النظري فإن منطق هذا الافتراض يقوم على أساس أن لاجئي الفئة العمرية الأولى [جيل الآباء] قد عاشوا حياة القرية قبل اللجوء، وعاشوا كذلك تجربة الاقتلاع والتهجير بحواسهم جميعا، بل إن بعضهم لم يكن مجرد شاهدٍ على هذه الأحداث وإنما أيضا كان فاعلا أساسيا في صنعها، ويضاف إلى ذلك بأن تجربة الاقتلاع التي مر بها الآباء قد غيرت مجرى حياتهم كليا وقطعتهم عن ماضيهم وهذا بحد ذاته كافٍ لأن تترسخ وتتجذر صورة تلك الأحداث في مخيلتهم لعظم الأثر الذي تركته في نفوسهم، وأما الأبناء فقد كانوا قريبين زمنيا من حدث النكبة وآثاره المباشرة على حياة اللاجئين ولكنهم لم يذوقوا مرارة الاقتلاع كما ذاقه الآباء لبعدهم المباشر عن الحدث كما أنهم لم يشهدوا حياة القرية بتفاصيلها وإنما سمعوا عنها والمشارك ليس كالمستمع، لذا فإنهم [الأبناء] يتمتعون بمخزون جيد من الذاكرة الجماعية ولكنه لا يرقى إلى ذلك المخزون الذي يتمتع به الآباء نظرا للأسباب التي ذكرناها، وبما أن المصدر الأساسي الذي يستقي منه اللاجئون الذاكرة الجماعية هو الرواية الشفوية من كبار السن، فإن هذه الذاكرة قد ضعفت عندما وصلت إلى الأحفاد نظرا لما أحدثته مفاعيل الزمن في

رواية الكبار وكذلك رحيل غالبية الآباء عن الحياة وبالتالي فقدان غالبية الأحفاد لأهم مصدر من مصـــادر الذاكرة الجماعية، ويضاف إلى ذلك بأن هذا الجيل [الأحفاد] قد كثرت اهتماماتـــه فـــي الآونـــة الأخيـــرة وأصبحت الفضائيات والإنترنت أكثر جاذبية له من الحكايات والروايات.

كما أن هناك دراسات قد أنجزت في هذا المجال وتوصلت إلى بعض النتائج التي تدعم هذا الافتراض، ومنها مثلا الدراسة التي قام بها مركز دراسات اللاجئين في جامعة إكسفورد بعنوان " الأطفال المراهقـــون في الأسرة الفلسطينية: العيش في ظل تأثير النزاعات طويلة الأمد والهجرة القسرية "، وأهم ما توصلت إليه هذه الدراسة هو أن تناقل الذاكرة يقل مع غياب جيل وظهور جيل جديد، فالجيل الأول لديه ذاكرة مركزية عن النكبة، أما الجيل الثاني فهو أقل معرفة عن فلسطين، والجيل الثالث يعـــرف اســـم القريـــة الأصـــلية وبخلاف ذلك فان معرفته ثانوية ومبهمة (إكسفورد، 2001: 27).

5:2. أداة البحـــث:

يعتمد الباحث في هذه الدراسة بشكل أساسي على المقابلة المعمقة التي تعد من أفضل التقنيات البحثيـــة التي يمكن استخدامها في جمع البيانات السردية المكثفة، وقد تم إعداد خطة منظمة ومرتبة لهـــذه المقابلـــة [ملحق رقم 1] بحيث اشتملت على مجموعة من النقاط والمحاور المتصلة بأهداف الدراسة والبيانات المراد جمعها مع مراعاة وجود مرونة في إمكانية تقديم أو تأخير نقطة معينة إذا اقتضت الحاجة، وبما أننا نقـــوم بدراسة حالة[لاجئي قرية بيت جبرين] فإنه قد تم الاعتماد كذلك على الملاحظة بالمشاركة، وهي أيضا من الأدوات البحثية الضرورية لهذا النوع من الدراسات، فهناك الكثير يمكن ملاحظته وهو في الوقـــت نفســـه مرتبط بمجال الذاكرة الجماعية وخاصة تلك الأشياء المتعلقة بالزي الشعبي وبعض العادات والســـلوكيات لدى اللاجئين، وإضافة إلى هذه التقنيات والأدوات البحثية فقد لجأ الباحث أيضا إلـــى الاســـتعانة بـــبعض التقنيات المادية الأخرى كجهاز تسجيل وسجل للملاحظات المشاهدة.وهنا تجدر الاشارة الى ان الباحث قد استعان ببعض الاشخاص من المخيمين اللذان شكلا مجتمع الدراسة والذين ابدوا استعدادهم للمساعدة مـــن اجل الوصول للمبحوثين والمبحوثات وخصوصا من الجيل الاول نظرا لقلة عددهم.

6:2. مجتمع الدراسة والعينة:

نظرا لعدم وجود مصادر ثابتة ودقيقة يمكن الاعتماد عليها في التعرف علـــى الأمـــاكن والتجمعـــات السكانية التي يتوزع عليها أهالي بيت جبرين في فلسطين بعد تهجيرهم ونسبة تواجدهم في كل تجمع فقــد لجأ الباحث إلى إجراء عدد من المقابلات الأولية التمهيدية مع بعض لاجئي القرية الــذين لــديهم إطـــلاع ومعرفة في هذا الجانب حيث أفادت هذه المقابلات بأن غالبية أهالي بيت جبرين الموجودين في فلســطين يتواجدون الآن في مخيم الفوار جنوب الخليل ومخيم بيت جبرين أو ما يعرف بمخيم العزة في بيــت لحـــم وأن هناك أعداداً قليلة أخرى تتوزع على بعض القرى والمدن والمخيمات الأخرى في فلسطين مثل قرى: إذنا، وترقوميا، وحلحول، وبيت أولا ومخيم العروب قضاء الخليل، ومخيمي الدهيشة وعايدة قضاء بيــت لحم، ويضاف إليهم بعض الأسر القليلة التي تسكن في مدينة رام الله وبلدة بيرزيت ولكنها لا تشكل تجمعات رئيسية للاجئي قرية بيت جبرين كما هو الحال بالنسبة لمخيمي الفوار وبيت جبرين/العزة.

وبالتالي فإن مجتمع الدراسة يتكون من اللاجئين الفلسطينيين الذين تم تهجيرهم من قرية بيت جبـــرين ويعيشون الآن في مخيم الفوار في محافظة الخليل ومخيم بيت جبرين/العزة في بيت لحم – وهما التجمعان السكانيان الرئيسان اللذان يعيش فيهما لاجئو القرية– والذين تزيد أعمارهم عــن (15 عامـــا) مـــن كـــلا الجنسين.

وأما عينة الدراسة، فقد تم اختيارها بطريقة قصدية تراعي التوزيع المناسب لهذه العينات علـــى مختلـــف المتغيرات المستقلة التي اشتملت عليها الدراسة، وتكونت العينة من ستين(60) مبحوثا ومبحوثة مـــوزعين على ثلاثة أجيال أو ثلاث فئات عمرية وذلك على النحو التالي:

الفئة الأولى (الآباء): وهم الذين ولدوا في القرية وعاشوا فيها على الأقل (12) عاما، وفي هذه الحالة فإن أعمارهم تقع في الفئة العمرية (70 سنة فأكثر). وعندما ترد كلمة الآباء أو جيل النكبة أو الجيـــل الأول أو الفئة العمرية الأولى في الدراسة فإنها بمجموعها تعني الفئة العمرية نفسها.

الفئة الثانية (الأبناء): وهم الذين ولد بعضهم في القرية ولكنهم عاشوا فيها أقل من (12) عاما، بالتـــالي لا يمكنهم تذكر حياة القرية ومجريات الأحداث لحظة الاقتلاع بشكل واضح كما هو الحـــال بالنســـبة للفئـــة

العمرية الأولى، وهناك من ولد منهم في المخيم بعد اللجوء، وتقع أعمارهم في الفئة العمرية (من 40 سنة إلى 69 سنة). وبالإضافة إلى كلمة الأبناء فإن الجيل الثاني أو الفئة العمرية الثانية تفيد نفس المعنى.

الفئة الثالثة (الأحفاد): وهم الذين ولدوا جميعا في المخيم، وتقع أعمارهم ما بين (15 سنة إلى 39 سنة).ويعرفون في الدراسة إضافة إلى الأحفاد بالجيل الثالث أو الفئة العمرية الثالثة.

وهنا تجدر الملاحظة بأنه تم التوقف عند عمر 15 سنة ولم يتم تناول الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ذلك لأن عملية انتقال الذاكرة الجماعية لديهم تكون غير واضحة المعالم، فهم لا يمتلكون الوعي الكافي بأهمية الذاكرة، أيضا فإن كبار السن لا يهتمون كثيرا في نقل الذاكرة بطريقة مقصودة ومخطط لها إلى الأطفال الصغار، صحيح أن عملية انتقال الذاكرة وتوريثها للأبناء تأخذ في بعض الأحيان أشكالا عفوية يتلقاها الصغار في أعمار مبكرة ولكنها تبقى عملية محدودة، وبالتالي لا يمكن إصدار الحكم على محتوى هذه الذاكرة ومضمونها، كذلك على عملية انتقالها من جيل لآخر بأنها عملية ناجحة أو لا أو أن هذه الذاكرة قوية وحيّة أو أنه يعتريها بعض الثقوب عندما يكون الطرف المتلقي طفلا صغيرا لا يتجاوز أل(15) سنة. وبالتالي فقد اقتصرت العينة على الذين تزيد أعمارهم عن (15) عاما.والجدول التالي يبين أهم الخصائص الاجتماعية للعينة:

جدول رقم (1)

جدول يبين الخصائص الاجتماعية للعينة، 2006.(أعداد ونسب مئوية)

المتغيرات		العدد	النسبة المئوية
العمر	من 15-39 سنة	20	%33.33
	من 40-69 سنة	20	%33.33
	70 سنة فأكثر	20	%33.33
مكان السكن	مخيم الفوار	42	%70
	مخيم بيت جبرين(العزة)	18	%30
مستوى التعليم	أمّي	14	%23.33
	مرحلة أساسية	17	%28.33
	مرحلة ثانوية	14	%23.33
	دبلوم	6	%10
	بكالوريوس فأعلى	9	%15
الجنس(النوع الاجتماعي)	ذكور	30	%50
	إناث	30	%50

يشير الجدول رقم (1) إلى أن هناك تساوياً بين الفئات العمرية الثلاث في العينة، كــذلك تســاوٍ بــين الذكور والإناث ولم يأت ذلك صدفة وإنما كان مقصودا وذلك حتى يتســنى التعــرف علــى اثــر هــذه المتغيرات– إن وجد – (العمر، والنوع الاجتماعي) على المتغيرات التابعة للدراسة بشكل لا يــدع مجــالا للشك بسبب صغر حجم العينة، وأما فيما يتعلق بمكان السكن فقد تم توزيع أفراد العينــة علــى التجمعــين السكانيين اللذان شكلا مجتمع البحث بما يتناسب مع عدد اللاجئين الذين ترجع أصولهم إلــى قريــة بيــت جبرين في كل منهما، حيث أفادت بعض المقابلات التمهيدية كذلك مديري المخيمين وبعــض المؤسســات العاملة هناك كاللجان الشعبية في المخيمين بأن عدد أهالي بيت جبرين الذين يتواجدون في مخــيم الفــوار يساوي ضعف أو يفوق بقليل عددهم في مخيم بيت جبرين (العزة) بالتالي فقد تــم توزيــع العينــة علــى التجمعين بما يتناسب مع عددهم في كل مخيم، إذا فقد كانت العينة هي عينة قصــدية بمــا يتعلــق بهــذه المتغيرات(العمر، والنوع الاجتماعي، ومكان السكن).

وأما فيما يتعلق بمتغير المستوى التعليمي فقد جاءت النسب المئوية المتعلقة بهذا المتغير والمبينــة فــي الجدول بمحض الصدفة حيث كان يتم التوجه إلى الشخص المنوي مقابلته دون معرفــة مســتوى تعليمــه مسبقا، ويلاحظ بأن هناك ارتفاعاً في نسبة الأميين وهذا الارتفاع يعزى في الأساس إلى خصــائص الفئــة العمرية الأولى (70 سنة فأكثر) حيث إن غالبيتهم أمّيّون.

هذا وقد تم إعداد خطة تشتمل على مجموعة من المحاور والنقاط المتعلقة بموضوع الدراسة وبعــض الأسئلة –إذا احتاج الأمر– مع إمكانية تقديم أو تأخير بعض النقاط والمحاور المعدة سلفاً حسب الحاجة ليتم طرحها من خلال المقابلات مع اللاجئين وفي الوقت نفسه فلا يمكن إغفال ما يرويه اللاجئ ويكون خارج سياق هذه المحاور والأسئلة التي تم أعدادها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مجموعة الأسئلة والمحاور التي تم إعدادها تشترك فيها جميع الفئات العمرية ولكلا الجنسين مع الأخذ بالاعتبار بعض الفروقات الموجودة بين هذه الفئات التي تتطلب بعض التغييرات في الصياغة وبعض المفردات بما يتلاءم مــع طبيعــة الأعمــار والقدرات الذهنية لكل فئة مع الإبقاء على المضمون الذي يحتوي عليه السؤال أو محور النقاش، مع العلــم أن لغة الحديث مع اللاجئين بشكل عام خلال المقابلات كانت بالعامية الدارجة بين اللاجئين فــي مجتمــع البحث.

الفصــــــل الثالـــث

من الـــذاكـــرة:الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بيت جبرين قبل النكبة

1:3. تمهـــــيد:

قبل أن نغوص في أعماق الذاكرة لتعود بنا إلى الوراء ثمانية وخمسين عاما إلى قرية بيت جبـــرين قبل عام 1948 لنتعرف من خلالها أسلوب الحياة فيها، والكيفية التي كان أهالي القرية يديرون من خلالهـــا حياتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية، وسنتعرف أولا على بعض المعلومات التـــي وردت فـــي كتـــب التاريخ والجغرافيا عن قرية بيت جبرين على مر العصور، فهناك بعض المعلومات والبيانـــات يحـــرص المؤرخون والجغرافيون على تدوينها، وفي المقابل فإن الذاكرة وبما أنها انتقائية بطبيعتها فهي تسقطها من أوعيتها أو أنها تأخذها بعمومية ولا تراعي الدقة والموضوعية العلمية فيها، فمثلا عندما نتحدث عن تعاقب الحضارات في بيت جبرين على مر العصور فإن الذاكرة الجماعية في هذه الحالة قد لا تراعي التسلســل الزمني لتعاقب هذه الحضارات، فمن السمات التي تميزت بها الذاكرة الجماعية عن التاريخ – وهـــو مـــا أشرنا إليه في الفصل الأول من الدراسة – بأنها تخلط الأزمنة أيضا عندما نتحدث عن المساحة والســكان في بيت جبرين وما إلى ذلك من موضوعات في هذا السياق فإن الذاكرة لا تستهويها الأرقـــام أو بعـــض البيانات العلمية الدقيقة، بالتالي فإننا سنتحدث هنا عن بعض هذه القضايا من خلال التاريخ والجغرافيا ولكن باقتضاب حتى لا يكون ذلك على حساب الهدف الأساسي الذي قامت من أجله الدراسة والذي يرتكز بشكل أساس على الذاكرة وليس على التاريخ، وفي المقابل فسوف نقوم بنبش الذاكرة الجماعية لأهالي القرية من خلال تفحص الروايات للبحث فيها عن أي شيء له علاقة بهذه الموضوعات ليتم إضافته على ما تزودنا به الكتب والمراجع في هذا الشأن وفي الوقت نفسه يتم التمييز بين المصدرين [الذاكرة الجماعية والتاريخ] عند إيراد أية معلومات أو اقتباسات بهذا الخصوص.

وفيما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية في بيت جبرين قبل النكبة – وهي الموضوع الرئيس في هذا الفصل – فسوف يكون الاعتماد بشكل أساسي على المصدر الرئيس في دراستنا وهو الذاكرة الجماعية

للاجئين الذين هجروا من القرية تاركين بذلك المصادر الأخرى، وهو أيضا المصدر الذي سوف نعتمده في الفصول اللاحقة من الدراسة.

وأما بخصوص الآلية التي سوف يتم الاعتماد عليها في تناول روايات اللاجئين من مختلف الفئات العمرية في محاور هذا الفصل والفصول اللاحقة أيضا، فسوف نبدأ أولا بروايات الآباء أو جيل النكبة، أي اللاجئين الذين يقعون في الفئة العمرية الأولى المحددة في عينة الدراسة، ومن ثم بعد ذلك سنتناول روايات الفئة العمرية الثانية وهم الأبناء ويليها روايات الفئة العمرية الثالثة وهم الأحفاد وذلك حتى نتمكن من رصد أي تغييرات أو اختلافات بين الروايات المختلفة للاجئين تبعا لاختلاف الفئة العمرية التي ينتمي إليها اللاجئ، وفي الوقت نفسه سيتم رصد أي فروق بين اللاجئين لها علاقة ببعض المتغيرات المستقلة الأخرى إضافة إلى متغير العمر كمستوى التعليم، ومكان السكن، والجنس، وكذلك أية متغيرات أخرى لم تكن في الحسبان، ويتبين بأن لها تأثيراً على رصيد الأجيال من الذاكرة الجماعية كما ونوعا أو أحدهما. وأخيرا تجدر الإشارة إلى أنه في حالات الاقتباس المباشر من روايات اللاجئين سوف تكون هذه الاقتباسات بخط أسود داكن وحروف مائلة مع الإشارة إلى الاسم الثلاثي للراوي وعمره، علما بأن أسماء جميع الرواة الذين جرت مقابلتهم بالإضافة إلى بعض البيانات الأخرى المتعلقة بهم سوف تكون ضمن الملاحق المرفقة بالدراسة [ملحق رقم 1] مع إعادة التأكيد في النهاية على أنه سيتم إتباع هذه الآلية في تناولنا لروايات اللاجئين ليس في هذا الفصل فحسب وإنما أيضا في الفصلين التاليين له.

3 :1:1.موقع القرية:

لقد ساهم الموقع الاستراتيجي لقرية بيت جبرين في إكسابها مكانة وأهمية لدى مختلف الأقوام والجماعات التي استوطنت في هذه المنطقة على مدار التاريخ، فمجموعة التلال المحيطة بالقرية التي تحول دون انكشافها على المهاجمين جعل منها موقعا حصينا، كما أن خصوبة أراضيها وكثرة مياهها بالإضافة إلى وقوعها على مفترق من خطوط المواصلات التي تربط شمال فلسطين بجنوبها وشرقها بغربها قد منحها أهمية اقتصادية وإدارية، هذا بالإضافة إلى أهميتها العسكرية والاستراتيجية.فعند قراءتنا لتاريخ

القرية يتبين لنا بأن جغرافيتها قد لعبت دورا أساسيا في عظم شأنها وعلو مكانتها لدى مختلف الأقوام الذين مرّوا بها منذ أن وطِئتها أقدام الكنعانيين قبل آلاف السنين وحتى الوقت الحاضر. ويدرك أهـالي القريـة الأهمية التي تميزت بها قريتهم، وفي هذا السياق يروي السيد أحمد خليل النجار(73 سنة) قائلا:

بيت جبرين بتقع بين السهل وبين الجبل نص أراضيها جبلية ونص أراضيها سهلية في أراضي زراعية وفي أراضي للرعـي، بيـت جبرين كان يتبع إلها حوالي 14 قرية، كان فيها مركز بوليس وكان في حاكم صلح يجي في الأسبوع مرة وعيادة وكان فيهـا مـدارس مدرسة للبنات ومدرسة للأولاد وبعدين في آخر مدة صار فيها سوق يجووا يوم الخميس يجووا عالسوق، وبيت جبرين بتتمايز عن كـل البلاد هذيك على أساس إنها كانت مركز.

وقد أقيمت القرية على مساحة من الأرض المستوية التي تحيط بها مجموعة من التلال وهي تقع تحديدا في نهاية السفوح الغربية لجبال الخليل، وفي هذا السياق فقد تباينت المصادر بعض الشـيء فـي تحديـد المسافة الفاصلة بينها وبين مدينة الخليل، فقد أورد الدباغ في موسوعته "بلادنا فلسطين" بأنها [بيت جبرين] تبعد مسافة 26 كيلومتراً عن الخليل باتجاه الشمال الغربي(الدباغ، 1991 :297). وهي المسافة نفسها التي ورد ذكرها في الموسوعة الفلسطينية(الموسوعة الفلسطينية، بدون:445). بينما يذكر وليد الخالدي بأنهـا تبعد عن الخليل مسافة 21 كيلومتراً فقط (الخالدي، 1997 :149).

وتفيد المصادر بأن القرية ترتفع عن سطح البحر حوالي 287 م (الـدباغ، 1991: 297). " **و تقـع على تقاطع خط الطول ً45، َ53، ْ34 مع خط العرض ً27، َ36، ْ31، والتي تتمثل حسب إحداثيات خارطة فلسطين بالخط 113 شمالا والخط 140 شرقا " (عرار، 1995 :27).**

وأما القرى التي تلتقي حدود أراضيها مع حدود أراضي القرية فهي قرى ديـر نخـاس، وذكـرين، وعجور، وبركوسيا، وكُدنة، وزيتا، وعراق المنشية، والقبيبة والدوايمة، وتلك القرى حصل لها ما حصـل لبيت جبرين من احتلال وتدمير عام 1948. وهناك بعض القرى الأخرى التي لم يتم احتلالها عام 48 مثل بيت أولا، وإذنا، وترقوميا.

3 :1 :2. بيت جبرين:اللفظ والتسمية:

هناك من يرجع الاسم إلى اللغة الآرامية ومعناه بيت الأقوياء الجبابرة، وكلمة جبرا باللغة الآرامية معناها القوة والشدة، ومما يؤكد قدم هذه التسمية أنه عندما هدمها الفرس سنة 38 قبل الميلاد أعيد بناؤهـا

باسم "بيت جبرا " (الدباغ، 1991: 298).وعندما غزاها الصليبيون وأقاموا فيها قلعة سنة 1137م أطلقوا عليها اسم بِثْ غِبْلين (Beth Giblin) (الخالدي، 1997 :150)، وفي الذاكرة الجماعية لأهالي القرية هناك ما يشير إلى أصل التسمية ومعناها، ويبدو ذلك واضحا في رواية الحاج طلب غطاشة(54 سنة) بقوله:

أما تسمية بيت جبرين في أصلها هي بيت الجبارين طبعا سكانها الأصليين من العمالقة والعمالقة جزء من الكنعانيين والعمالقة أصلا سكنوا على الساحل الفلسطيني جنوب غرب فلسطين منطقة عسقلان كما ورد في قول الله سبحانه وتعالى فهي بيت الجبارين ومن ثم حرفت حتى أصبحت بيت جبرين بالنون وليس باللام وما في رأي آخر، أما سكانها الأصليين هم العماليق وكلما تعمقت في التاريخ كانت شهرتها كبيرة جدا.

أخيرا، وعلى الرغم من تعدد الأقوام والجماعات التي سكنت القرية منذ فجر تاريخها وعلى اختلاف أصولهم ولغاتهم فقد بقي اسم " بيت جبرين" مع بعض التغييرات الطفيفة التي كانت تحدث أحيانا على حركة بعض الحروف دون المساس بالمعنى هو الاسم الذي ساد في معظم المراحل التاريخية التي مرت بها القرية، وإذا سميت بغير هذا الاسم فكان ذلك لفترة زمنية محدودة وسرعان ما كانت تستعيد اسمها الذي أطلق عليها نسبة لسكانها الأصليين.

3 :3:1. المساحة والسكان:

تظهر الأرقام والبيانات بأن مساحة أراضي بيت جبرين كبيرة جدا إذا ما قورنت بالقرى المحيطة بها، فقد بلغت مساحة الأراضي التابعة للقرية عام 1945 (بالدونمات) 56185 دونما منها 1008 كانت قد سربت لليهود والباقي ظل يمتلكه السكان العرب حتى تم تهجيرهم عام 1948 (الخالدي، 1997 :149)، وهو الرقم الذي ورد في السجل الرسمي البريطاني لسنة 1945 والذي يشير أيضا إلى الكيفية التي استثمرت بها هذه الأراضي ، حيث زرع بالحبوب ما مساحته 30801 دونما من الأراضي التابعة للسكان العرب و815 دونما من الأراضي التابعة لليهود، بينما لم يزرع سوى 2477 دونما بالأشجار المثمرة والباقي غير مزروعة ويستثنى منه مسطح القرية الذي بلغت مساحته 287 دونما(الموسوعة الفلسطينية،بدون سنة:195) ،بينما يذكر الدباغ بأن مساحة الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون فقط، بلغت 3500 دونم وهي القرية الأولى في قضاء الخليل زرعا له(الدباغ،1991 :301).

وأما فيما يتعلق بعدد السكان فان أقدم إحصائية متوفرة تم العثور عليها كانت سنة 1596 حيث قدر عددهم في ذلك الوقت حسب الـدفاتر العثمانيـة بحـوالي 250 نسـمة(Abdulfattah & Hutteroth, 1977:149).وفي 1912 كان عددهم 1000نسمة وفي 1922 بلغ 1420نسمة (الدباغ، 1991:301) أمـا في عام 1931 فقد بلغ عددهم 1804 نسمة، بينما وصل عددهم فـي عـام 1945/1944 حـوالي 2430 نسمة(الخالدي، 1997 :149).ويذكر بعض اللاجئين أن عددهم كان حوالي 2500 نسمة عندما هجروا من قريتهم سنة .1948

3 :4:1. بيت جبرين على مر العصور:

كما أسلفنا في الحديث عن موقع القرية فإن بيت جبرين قد كانت محط أنظار كثيـر مـن الأقـوام والجماعات الإنسانية التي استوطنت في فلسطين منذ فجر التاريخ، وتشير الآثار الظـاهرة للعيـان كـذلك الاكتشافات الأثرية الحديثة بأن القرية قديمة وجذورها ضاربة في عمق التاريخ، وتتفق المصادر التاريخية في أنها تعود بتاريخها إلى جبابرة العمالقة وهم القبائل العربية الكنعانية الذين جاؤوا من الجزيرة العربيـة ليستقروا في فلسطين.

وقد برزت وتطورت بيت جبرين كمدينة كنعانية حصينة تحمي مداخل المنطقة الجبلية من الجنـوب في حوالي سنة 2000 قبل الميلاد، واستمرت تلعب هذا الدور إلى أن تم تدميرها علـى يـد نبوخذنصّـر البابلي عندما غزا فلسطين في سنة 586 قبل الميلاد(عرار، 1995 :44). " **ولما حـل الآدوميـون فـي جنوبي فلسطين في نحو عام 500 قبل الميلاد كانت بيت جبرين قلعة من قلاعهم" (الدباغ، 1991 :298)**. ومن ثم خضعت بيت جبرين للاحتلال الروماني عندما احتل الرومان منطقة بلاد الشام عـام 64 قبـل الميلاد، وعن فترة الاحتلال الروماني ذكر وليد الخالدي:

" **في سنة 200م منح الإمبراطور الروماني سبتيميوس سفيروس(Septimius Sverus) القرية صفة مستعمرة رومانية وأطلق عليها اسم الوثيروبوليس (Eleutheropolis)، بمعنى مدينة الأحرار، وضم إليها رقعة من الأرض كانت من أكبر ما منح لقرية في فلسطين في ذلك الزمن"(الخالدي، 1997:150).**

وفي عام 40 قبل الميلاد تم تدميرها على يد الفرس الذين احتلوا فلسطين سنة 38 قبل الميلاد، غير أن بعض المصادر تشير إلى أن عملية الهدم قد طالت مدينة مريسة في تلك السنة وليس بيت جبرين وهي تقع بالقرب منها وأن هــدم مريســة قــد أعــاد لبيــت جبــرين مكانتهــا. (The New Encyclopaedia Excavations Archacoligical…, 1993: 948).

وقد ظلت بيت جبرين تحت السيطرة الرومانية إلى أن فتحها العرب المسلمون سنة 634 م إثر هزيمتهم للرومان في معركة أجنادين بقيادة عمرو بن العاص التي يرجح بأنها وقعت بالقرب من بيت جبرين، وذلك في عهد الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق، وتشكل معركة أجنادين التي على إثرها تم تحرير بيت جبرين من قبضة الرومان وعودتها للعرب في ذلك الوقت محطة من المحطات البارزة في الذاكرة الجماعية لأهل القرية، فهناك الكثير ممن جرت مقابلتهم كان يذكر هذه الواقعة في روايته، وحول هذا الموضوع تحــدث السيد محمد محمود العزة(65 سنة) قائلاً:

بيت جبرين كانت بحكم موقعها كانت عرضة للغزوات وكان بقربها معركة اجنادين أو فيها، وفيها أربعة عشر صحابي مدفونين فــي منطقة بيت جبرين استشهدوا في معركة اجنادين.

ويضيف الحاج محمود احمد أبو ربيع(73 سنة) قائلاً:

بيت جبرين أرضها مجبولة بدم الشهدا، بدم الصحابة اللي استشهدوا في اجنادين، ارض كل متر فيها عليه قبر شــهيد، هــذي ارض الرباط ما بتنباع.

وتقول السيدة حكمت عبد المجيد الحموز(45 سنة) نقلا عن رواية جدتها لها:

الله يرحمها جدتي بقت تقول والله مش لازم بيت جبرين المشي فيها بالحذاء لأنها كانت مجبولة بدم الصحابة جبل بقولوا إنها محتمل تكون معركة اجنادين فيها.

وقد استمرت بيت جبرين تحت سيطرة العرب إلى أن غزاها الصليبيون واحتلوها في القــرن الثــاني عشر للميلاد وأقاموا فيها قلعة حصينة وأطلقوا عليها اسم بِثْ غِبْلين(Beth Giblin) حيث دمرها بعد ذلك صلاح الدين الأيوبي، ثم عاد الصليبيون واحتلوها ولم تنته السيطرة الصليبية على القرية بشكل نهــائي إلا عندما احتلها الظاهر بيبرس سنة 1244 م (الدباغ، 1991 :300)،(الخالدي،1997 :150).

وفي عام 1516 م عندما سيطر العثمانيون على بلاد العرب خضعت بيت جبرين للسلطة العثمانيـــة كما هو الحال على أجزاء فلسطين الأخرى، وفي ذلك الوقت كانت عبارة عن قرية من أعمـــال غـــزة ولا يتجاوز عدد سكانها ال 275 نسمة، وفي أواخر عهد العثمانيين أصبحت من أعمال الخليل ثـــم اســـتعادت حيويتها في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين لتصبح مرفقا خدماتيا وإداريا لبعض القرى المحيطة بها (الدباغ، 1991:300)، (الخالدي، 1997 :150). وظلت بيت جبرين قرية عربية خالصة تنبض بالحياة إلى أن تم احتلالها وتدميرها واقتلاع أهلها منها عام 1948 ليصبح أهلها عبارة عن لاجئـــين لا يملكـــون سوى ذاكرتهم عن القرية وحلمهم بالعودة إليها، وقد أقام الإسرائيليون بالقرب من القرية وعلى أراضـــيها مستوطنة أطلقوا عليها اسم بيت غوفرين (Beit Guvrin).

3 :2. الحياة الاقتصادية في بيت جبرين قبل النكبة كما تبدو في الذاكرة الجماعية:

كما أشير إليه في بداية هذا الفصل بأن الاعتماد على المصادر والمراجع كان فقـــط لطـــرح بعـــض المعلومات التاريخية والجغرافية المتعلقة بالقرية التي تم الحديث عنها في الصفحات السابقة، أما فيما يتعلق بهذا الموضوع والمواضيع اللاحقة سواء في هذا الفصل أو في الفصليْن القادِميْن فسوف تكـــون الـــذاكرة الجماعية التي استطعنا توثيقها من خلال المقابلات التي أجريت مع اللاجئين هي المصدر الأساس لنا وذلك انسجاما مع الخط العام للدراسة والهدف الذي قامت من أجله.

إن الحديث عن الحياة الاقتصادية في بيت جبرين أو في أي قرية فلسطينية أخرى قبل أكثر من نصف قرن من الزمان لا بد أن يأخذ بالاعتبار الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد الريفي في فلسطين ومحـــددات ذلك الاقتصاد والعلاقات المنبثقة عنه، هذا عندما يكون البحث في الموضوع بحثا كلاسيكيا يتناول المصادر كافة التي تفيد الباحث في عملية البحث، ولكن عندما يكون المصدر هو ما استوعبته الذاكرة الجمعية للناس حول هذا الموضوع فإن الأمر هنا سوف يختلف، فكما أسلفنا في أماكن عدة من الدراسة بأن الذاكرة هـــي إنتقائية بطبيعتها، فمثلا لا تأخذ بالحسبان المحاور كافة خاصة المرتبطة بالحياة الاقتصادية في تلك الفتـــرة وإنما تأخذ فقط ما يستهويها ويتوافق مع طبيعتها، بالتالي فإن طرح هذا الموضوع والمواضيع الأخرى في

هذا الفصل والفصول اللاحقة سوف يكون على هذا الأساس، لذلك فلا غرابة ألا يتم التطرق إلـــى بعــض المحاور والنقاط التي ربما يجدها القارئ في بحث آخر يعتمد على مصادر أخرى غير المصدر الذي تعتمد عليه هذه الدراسة.وقد أشارت مجموع المقابلات مع اللاجئين إلى أن ذاكرتهم كان جلّ تركيزها على الكيفية التي كان الناس من خلالها يحصلون على لقمة عيشهم والمحاصيل التي كانوا يزرعونها ومشاركة المــرأة للرجل سواء في العمل الزراعي في الأرض أو في تربية المواشي وتصنيع منتجاتها من الحليب وغيــره ، كما لوحظ بأن الذاكرة قد اختزلت شيئا له علاقة بملكية الأرض وتفاوتها بين العائلات ،وأخيرا فقد كانــت هناك بعض الإشارات لوجود بعض الأعمال التجارية والحرفية البسيطة في القرية بالتالي فسوف يجــري هنا تناول جميع هذه المحاور كل منها على حدا.

3 :2 :1 .تقسيم الأراضي الزراعية بين عائلات القرية:

اصدرت السلطنة العثمانية مراسيم " قوانين الاصلاح الزراعي العثمانية" وذلك في العــامين 1856 و 1858 ، والتي حولت الارض من ارض عامة تملكها الدولة الى ارض خاصة يملكها الفلاح(سعد، 1985 :34) وقد خطت بيت جبرين على نفس الطريق التي سارت عليها القرى الفلسطينية الأخرى حيث وزعت أراضي القرية على حمائل القرية الأربعة وهي: الشوابكة، والغبارية، والدعاجنة، والعزة. وتفيد رواية أهل القرية بأن هذا التوزيع كان متساويا بين جميع الحمائل باستثناء حامولة العزة التي كان نصيبها السبع فقــط بينما حصلت كل حامولة من الحمائل الثلاث الأخرى على سُبعيْن على اعتبار أنها كانت أقل الحمائل عددا في ذلك الوقت، وقد شمل هذا التوزيع الأراضي كافة باستثناء بعض عيون الماء والساحات العامة والطرق التي بقيت مشاعا لاستخدام جميع الحمائل.وعن تقسيم أراضي القرية يروي الحاج عواد أحمد العــزة (80 سنة) قائلاً:

من زمان اتقسّمت الأرض بين حمايل البلد إلّي هيّ العزة والشوابكة والدعاجنة والغبارية، وكل حمولة أخذت حصتها وكانت حصص الحمايل هذيك متساوية أما إحنا يا دار العزة طلع النا قد نص حمولة منهم لانا بقينا قلال وبعدين اشتروا دار العزة أراضي كثيــرة مــن الفلاحين وصرنا نملك أكثر من الحمايل الثانية.

وعن هذه القسمة للأرض وتوزيعها بين العائلات، فقد بينت المقابلات بأن غالبية كبار السن [الجيـل الأول] الذين عاشوا في بيت جبرين وخاصة الذكور منهم هم الذين يعرفون تفاصيلها، أما الإناث من الجيل نفسه فقد كانت معرفتهن لا توازي معرفة الذكور في هذه القضية، وهناك عدد من الذين تمت مقابلتهم مـن الجيل الثاني وبالتحديد من الذكور لديه معرفة جيدة عن الموضوع دون ارتباط ذلك بمستوى تعليمي معين، فمثلا يروي عبد الله عبد الرحمن غطاشة (63 سنة)عن هذا الموضوع قائلا:

تقسّمت الأرض لسبع أسباع، سبعين أخذوها الشوابكة وسبعين أخذوها الدعاجنة وسبعين أخذوها الغبارية وسبع أخذوه عـزة أولاد مسلم، هذولاك أجوا بعد منهم وزي ما قلتلك يعني صاروا يستغلوا مثلا هاظا فقير هاظا بدو مصاري هاظا بدو بذار بدو كذا كانوا يشتروا منهم الأراضي وسووا أراضي.

وأما الجيل الثالث من كلا الجنسين وبمختلف مستوياتهم التعليمية فإن معرفتهم في هـذا الموضـوع لا تكاد تذكر، فهم يعرفون فقط بأن أهل القرية كانت لديهم أراضٍ يفلحونها مع وجود إشارات من البعض عن وجود تفاوت في ملكية هذه الأراضي بين الناس، وعن ذلك تقول السيدة منار عثمان العزة (24 سنة): " ***إحنا كنّا العيلة الزغيرة من بين الأربع حمايل إلي كانت في البلد، بس إحنا كنا الإقطاعيين، يعني أراضينا كانت أكثر من الحمايل الثانية، كنـا ميخذين كل اشي***".

وحسب ما يروي الآباء تحديدا فإن سبب التفاوت في ملكية الأرض بين العائلات وامتلاك حامولة العزة لمساحات واسعة تفوق بكثير نصيبها الذي حصلت عليه أثناء القسمة يعود في الأساس إلى إن عائلة العـزة كانوا على مستوى من التعليم والغنى يفوق العائلات الأخرى في القرية وهذا مكنهم من شـراء مسـاحات كبيرة من أراضي الفلاحين وخاصة عندما فرضت الحكومة التركية ضريبة الويركو أو العشر، أيضا تفيد رواية أهل القرية بأن فترة الحرب العالمية الأولى كانت سنوات عجاف على القرية وعلى فلسطين بشـكل عام مما اضطر عدد كبير من الفلاحين الفقراء لبيع أراضيهم مقابل الحصول على الطعام، ويروي الحـاج أحمد خليل النجار(73 سنة) قائلا:

في الأساس دار العزة اجو من مصر وسكنوا في بيت جبرين واجو من مصر هم جماعة اغنيا وبقت الحالة فقيرة ولما اجت تركيا قالت بدنا نطوّب الأرض انت بطلع عليك مثلا مجيدة والله انا يا اخوي ما معي مجيدة يجووا هم يحطوا المجيدة ويوخذوا الأرض، في العمليـة هذه هم اخذوا ثلثين ارض البلد.

وعلى الرغم من إقدام عدد كبير من الفلاحين على بيع أراضيهم إلا أن ذاكرة عدد ممن تمت مقابلتهم من عائلة الحموز تختزل موقفا لأحد وجهائهم حيث استطاع هذا الوجيه أن يحافظ على أراضي حامولتــه من البيع، وعن هذا الموقف الذي التقطته الذاكرة لدى أبناء العائلة يتحدث حفيده حسن إبراهيم الحموز (40 سنة) قائلاً:

أكثر قصة عالقة بالذاكرة عن سيدي انه مروا الناس في فترة من الجوع اضطروا إنهم يبيعوا الأرض مقابل القمح وكان سيدي انــا غني والّي كان يشتري الأرض عيلة العزة فكان عنده جدي قمح فهو وزع القمح على كل الأسر في العيلة مقابل إنهم يردوه قمــح فــي الموسم مش مقابل انه يوخذ منهم الأراضي، بالتالي هو حافظ على ارض العيلة كلها، هذه القصة كان أبوي يرددها وقســم مــن عيلــة الحموز انه هو في فترة معينة قدر انه ينقذ كل أراضي الحموز ولا سنتيمتر انباع.

وهناك رواية أخرى قد أرجعت هذا الموقف من قبل وجيه العائلة إلى محاولته منع بيع أراضي العائلــة لليهود وليس خوفا من بيعها إلى عائلة معينة أو أشخاص معينين في القرية، وهو ما أشارت إليــه روايــة السيد وليد خالد الحموز (39 سنة)، التي يقول فيها:

إحنا في عندنا واحد اسمه عبد الله علي الحموز يعني من الختيارية الوجهاء من الحموز من قرايبنا، فهاظا الرجل لما البلد تعرضــت في فترة ما لظروف صعبة فالناس صارت تبيع أراضيها لليهود فالزلمة هاظا حط كل ما يملك من قمح أو شعير لأهل البلد لأنه الموســم سنتها مجابش صار عليهم جفاف وبالتالي الناس تخلت عن بيع أراضيها لليهود أو للناس اللي بتبيع لليهود فقلهم يا قرايبي خذوا القمح اللي بدكو إياه والغنم اللي بدكو إياها وإذا الموسم أعطى معاكم بتسدوني.

وفي سياق الحديث عن الأراضي الزراعية فقد بينت المقابلات التي أجريت مع كبار الســن وخاصــة الذكور منهم بأن معظم أراضي القرية الزراعية كانت مُطَوَّبة، وهي مسألة قد غابت عن ذاكرة صغار السن من الفئة العمرية الثالثة، وفي هذا الصدد يروي الحاج محمود غنايم الحموز (82 سنة) قائلاً:

بالنسبة للأرض قد نكون من القلائل جدا في فلسطين إلي بحتفظوا بالوثائق فعندنا وثائق تركية من زمن الأتراك وبيت جبــرين مــن القلة القليلة إلي أراضيها طوبت، وثائق تركية ووثائق بريطانية موجودة وإحصاء البلد موجود والتعداد موجود.

ومما يؤكد صحة ما يرويه كبار السن بهذا الخصوص هو حديث عدد كبير من الناس عن احتفــاظهم حتى هذه الأيام بوثائق [الطابو] الخاصة بأراضيهم وحرصهم الشديد عليها ولعل ذلك له علاقة بالأمل فــي العودة إلى القرية الذي لا يفارقهم كذلك بمدى ارتباط الفلاح الفلسطيني بأرضه فهو يعتقد بأن التفريط بهذه الأوراق هو تفريط بالأرض.

لقد بينت مجموع المقابلات مع اللاجئين بمختلف أعمارهم ومستوياتهم التعليمية ذكورا كانوا أم إناثا بأن حيثيات وتفاصيل تقسيم أراضي القرية على حمائلها الأربعة كانت محطة مهمة في ذاكرة كبار السن أو جيل النكبة وخاصة من الذكور وتقل أهميتها كلما قل عمر اللاجئ حتى لا تكاد يكون لها أثر لدى صغار السن كذلك لدى الإناث وخاصة من الفئة العمرية الثانية والثالثة ولم يكن هناك اثر يذكر لمتغير مستوى التعليم أو مكان السكن في هذا المضمار. أما فيما يتعلق بالتفاوت بين العائلات في ملكية الأرض بعد قسمتها نتيجة البيع والشراء واستحواذ عائلة العزة على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، فقد أظهرت مجموع المقابلات فيما يتعلق بهذا الشأن إلى أن هناك متغيراً آخر له علاقة بهذا الموضوع ولم يشر إليه في الفصل الثاني من الدراسة[المنهجية]، وهذا المتغير هو الانتماء العائلي، حيث أظهرت فحوى المقابلات بأن غالبية اللاجئين الذين تمت مقابلتهم من عائلة العزة تنطوي ذاكرتهم على تميّز هذه العائلة بملكيتها لمساحات كبيرة من الأرض تفوق العائلات الأخرى وكانوا كثيرا ما يتفاخرون بذلك، وفي المقابل فقد اقتصرت المعرفة بشكل عام في هذا الشأن لدى كبار السن فقط من العائلات الأخرى. وهذا ما لمسناه في حديث السيدة منار العزة في الصفحات السابقة وما عبر عنه أيضا الحاج محمد عبد الهادي العزة (83 سنة) في روايته قائلاً:

هذه بيت جبرين كلها للعزة الفلاحين مالهِّش اشي، قليل بتلاقي الهم ارض، في حرب أل 14[2] صارت مجاعة في البلاد، طَفشت الناس، وعيلة العزة كان عندهم حَبْ في المخازن وصاروا الفلاحين يبيعوا أرضهم أول ا اشي بخمسة وبعشرة وبعدين صار المئة دونم بشوال شعير وشوية شوية اخذوا الأراضي دار العزة بدل الحَبْ.

يلاحظ بأن رواية الحاج محمد تختلف مع روايات أخرى، فعلى الرغم من امتلاك آل العزة لمساحات كبيرة من الأرض إلا أن هناك عدداً كبيراً من اللاجئين الذين تمت مقابلتهم من العائلات الأخرى كانوا يتغنون ويفخرون هم كذلك بملكياتهم الكبيرة، وكما أشارت كذلك رواية حسن الحموز التي أوردناها سالفا بأن عائلة الحموز لم تبع أي جزء من أراضيها في الفترة التي تحدث عنها الحاج محمد عندما حصلت

2- الحرب العالمية الأولى

المجاعة خلال الحرب العالمية الأولى. ولكن في نهاية المطاف فنحن نعتمد هنا على الذاكرة ولسنا بصـــدد بحث تاريخي يرصد الأحداث التاريخية كما حدثت بالضبط، بل كما استوعبتها الذاكرة الجماعية للناس.

3 :2 :2. المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

يعد القمح والشعير بالإضافة إلى الذرة من أهم المحاصيل الزراعية التي دأب الفلاحون في قرية بيـت جبرين على زراعتها، وطالما تغنوا بوفرة غلالها، وربما يعود التركيز على هذه المحاصيل إلـى حاجـة الفلاح اليومية لهذه الحبوب، فكان يصنع خبزه من القمح والذرة ويطعم أغنامه ودوابه من القش والشـعير، أيضا فإن طبيعة الأرض السهلية وملاءمتها لهذا النوع من الزراعة واعتماد الفلاح بشكل أساسي على مياه الأمطار وعدم وجود وعي كاف لدى المزارع في تلك الفترة بالزراعة المروية قد شجع على الاستمرار في التركيز على هذه المحاصيل.

ولكن هذا لا ينفي وجود محاصيل أخرى كانت تزرع في بيت جبرين فقد تحدثت روايات الناس عـن زراعة الخضروات وخاصة البعلية منها إضافة إلى وجود أنواع مختلفة من الأشـجار المثمـرة وخاصـة الزيتون وهم يتفاخرون كثيرا بأشجار الزيتون القديمة في قريتهم والمتعـارف عليهـا بيـنهم "بـالزيتون الرومي"، وكنا قد أشرنا في مكان سابق من هذا الفصل بأن مصطفى مراد الدباغ قد ذكر بأن قريـة بيـت جبرين تعتبر القرية الأولى في جنوب فلسطين التي أدخلت إليها زراعة الزيتون، أيضا تحدثت الروايـات عن وجود لأشجار التين والعنب وبعض الحمضيات ولكن بكميات محدودة، وعن المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها القرية في تلك الفترة تروي الحاجة لطفية محمود غطاشة (78 سنة) قائلة:

حياتنا ما كان أحلى منها، إحنا بقينا في البلاد دورنا خشب وبنى طين وحجر ونسرح ونحرث ونبذر ونزرع قمح وذرة وشعير وعدس وفول وعسل لأنه كمان كان عندنا نحل وكل الحلال وعندنا جاج وحمام وعندنا كل حاجة ومتريحين ويتبـارك الله ومـاكلين وشـاربين ومتهنيين لا خوف ولا اشي.

وفي ذات السياق يروي الحاج حسان محمود الحليقاوي (79 سنة) قائلاً:

كانت الناس تفلح قمح وشعير وذرة وتزرع خضرة أما الشجريّات فكان أكثر اشي يزرعوا العنب والتين والخروب وفي كان زيتـون رومي الشجرة تجمع عنها أربع خمس شوالات زيتون، وأكثر اشي كانوا يزرعوه الناس القمح والشعير والي عنده زيـادة بقـى ينزلـه عالخليل يبيعه هناك.

وكما اشتهرت القرية ببعض المحاصيل الزراعية كالقمح والشعير والذرة وبعض الأشجار المثمرة، فقد اشتهرت أيضا بثروة حيوانية كبيرة، وكثيرا ما كانوا يتحدثون عن قطعان الأغنام والأبقار التي كانوا يمتلكونها ويتذكرون جيدا الأماكن التي كانت مخصصة للرعي كذلك الآبار التي كانوا يسقون منها قطعانهم، وعادة ما كان يربط اللاجئون في حديثهم بين الإنتاج النباتي والإنتاج الحيواني من الحليب واللبن وما إلى ذلك من منتجات أخرى، وحول ذلك تروي الحاجة زينب محمد أبو منصور(70 سنة) قائلة:

كانوا الناس يحرثوا ويدرسوا ويحصدوا ويسووا هالحبات ويعيشوا من وراهن، والّي عنده غنم وبقر بقوا يحلبوهن ويسووا لبن وسمن وجبنة ورايب، يعني فش شغل إلا غير هالفلحات والحلالات، كان للناس كروم يعني تين وعنب يتقيظوا منهن بس فش بيع زي هالحين بقوش يبيعوا، والله أبوي الو كرمين بقن مزروعات مشمش وتين وعنب وجميز وتوت وكل اشي فيهن، والله عمرنا ما بعنا منهن حبة، نلقط ونودي للناس إلي مالهمّش يفرقوه على بعضهم والي يظل نسطحو قطين.

وفي سياق الحديث عن المحاصيل الزراعية وخصوبة أراضي القرية ووفرة غلالها فقد دللت بعض المقابلات على أن هذا الموضوع لم يقف عند حد وجود معرفة لدى الصغار بما كانت تجود به أراضي القرية من محاصيل زراعية مختلفة بل تعدى ذلك إلى حد القول: بأن كبار السن في هذا المجال قد أغنوا ذاكرة الصغار بصور ولوحات فنية عن سهول القرية ووديانها وخضرتها، فمثلا تبدو هناك صورة واضحة في حديث السيدة حكمت عبد المجيد الحموز(45 سنة) عندما قالت:

كان أبوي دايما يحببنا في بلادنا يبيننا انه فيها ميّة وفيها...، وانه عنده في بير ميّة وسيل يعني كنا نتخيل وإحنا زغار. دايما يقلنا عن بيت جبرين وعن بيت جبرين وفي طيران[3] وقروش قديمة وفي الانتيكا[4] وفي الطيران. والله كنت ارسمها، والله كنت أتخيلها واحلم فيها وأنا زغيرة احلمها إنها كانت خضرا.

لقد أظهرت غالبية المقابلات مع الجيلين الاول والثاني (الأبناء والأحفاد) أن ذاكرة الصغار قد استطاعت أن تلتقط الكثير من أحاديث الكبار في هذا المجال وأن مخيلتهم قد حوت على صورة تظهر في ثناياها سهول القرية ووديانها تغصُ بالأشجار والزرع وقطعان الأغنام والأبقار التي كان يعتمد عليها أجدادهم في معيشتهم. وهذه الصورة لم تكن مختلفة كثيرا عن تلك الصورة التي يختزلها الكبار في ذاكرتهم، والفرق الوحيد بينهما هو أن الصورة لدى الصغار أو أولئك الذين لم يشهدوا الحياة في القرية كانت عامة أكثر،

3 - جمع كلمة طور وتعني الكهف.
4 - كنيسة بيزنطية آثارها موجودة في القرية حتى الآن.

بينما كانت الصورة لدى الكبار فيها نوع من التخصيص، بمعنى أنها كانت تعبر عـن المحـيط الخـاص بالفلاح في ذلك الوقت أكثر مما كانت تعبر عن القرية ككل. فالكبار عندما تحدثوا عن هذا الموضوع كانوا يبدؤون حديثهم بالعام ثم سرعان ما ينتقلون إلى الخاص، أما الصغار فكانوا يبدؤون وينتهون بالعام، فمثلا يبدو هذا التعميم واضحا في رواية الشاب خالد فؤاد البربري (18 سنة) التي قال فيها:

كانوا أهل القرية أكثر شيء يعتمدوا على الزراعة، كمان كانوا يعتمدوا على الثروة الحيوانية وإنتاجها ومـا كـانوا يعتمـدوا علـى الصناعة أو التجارة، كان أكثر اعتمادهم على الزراعة.فكانوا يزرعوا قمح وشعير وزيتون وغيره، ومن الأغنام والأبقار كـانوا يعملـوا سمن ولبن وجبنة...الخ.

ويبدو الفرق واضحا بين رواية الشاب خالد ورواية الحاجة زينب التي أوردناها سالفا، فسرعان مـا تحولت الأخيرة للحديث عن كروم العنب والتين..الخ، التي كان يمتلكها والدها، لكن وبشكل عام فلم تظهر هناك أي فروق جوهرية بين اللاجئين في هذا المضمار تعزى إلى المتغيرات التي سبق وأن أشرنا إليهـا كالعمر، ومستوى التعليم، ومكان السكن، والجنس، ويبدو بأن هناك علاقة جدلية بين مخزون الذاكرة لـدى الكبار وبين ما تستهويه ذاكرة الصغار عن حياة آبائهم وأجدادهم في الماضي.

3 :2 :3. التجارة والمهن الحرفية:

إن ما أظهرته معظم المقابلات مع اللاجئين بمختلف فئاتهم العمرية إذ يؤكد بأن أهالي القريـة كـانوا بعيدين كل البعد عن الأعمال التجارية كذلك الأعمال الحرفية، وأن جل تركيزهم واهتمامهم كـان منصـبا على العمل الزراعي في الأرض وتربية المواشي مع استثناءات بسيطة لا يكاد يكون لها تأثير ملموس على النظام الاقتصادي الذي كان سائدا في القرية آنذاك، وهذه الاستثناءات تمثلت في بيع الفائض من الحبـوب لدى بعض الفلاحين في بعض المدن الفلسطينية وخاصة مدينة الخليل، وقلما كان اللاجئون خلال مقـابلتهم يشيرون إلى وجود أعمال وعلاقات تجارية في القرية، حيث تركز حديثهم في النواحي الاقتصادية المتصلة بزراعة الأرض وتربية المواشي، بالتالي فان الذاكرة الجماعية لم تلتقط الكثير في هذا المضمار نظرا لعدم وجود أثر ملموس لهذا القطاع الاقتصادي على حياتهم، وعن بعض الأعمال التجارية التي كان الفلاحـون

يمارسونها في القرية يروي الحاج محمود غنايم الحموز (82 سنة) قائلا: *" كان اعتمادنا على الزراعة والحلال إلي كان يزيد كان يبيعوه، يزيد مثلا قمح يزيد حلال يروح عالخليل وعلى يافا وعلى حيفا ".*

وهذا ما أكده أيضا الحاج حسان محمود الحليقاوي (79 سنة)، فيروي قائلاً: *" أكثر اشي كانوا يزرعوه الناس القمح والشعير والي عنده زيادة بقى ينزله عالخليل يبيعه هناك ".*

وبالإضافة إلى مدينة الخليل وبعض المدن الفلسطينية الأخرى التي كان يبيع الفلاحون فيها فائض المحاصيل لديهم فقد ذكر عدد من الآباء في رواياتهم بأن الناس كانوا يذهبون يوم الثلاثاء إلى سوق الفالوجة وهي قرية تقع بالقرب من بيت جبرين وكان يوجد فيها سوق مشهور تباع فيه معظم الاحتياجات الأساسية للناس بالإضافة للمواشي والبذور، وقبل النكبة بعامين افتتح سوق مشابه له في بيت جبرين وكان يذهب إليه الناس في أيام الخميس من كل أسبوع، وعن هذه الأسواق تروي الحاجة ألمازة عبد الرحمن العزة (67 سنة) قائلة: *" لو سلمنا من هالطلعة صار في سوق جديد في بيت جبرين، بقوا أول يطيحوا على سوق الفالوجة بس اطورت بلدنا وصار فيها سوق بس ما طولش وطلعنا ".*

إن الروايات المقتبسة أعلاه تشير إلى بعض الأعمال التجارية البسيطة في القرية والمرتبطة ببعض المحاصيل الزراعية التي دأب الفلاحون على زراعتها وخاصة القمح والشعير والذرة إضافة إلى الاتجار بالمواشي لدى بعض الفلاحين، وفي الغالب كان الفلاحون يبيعون الفائض من محاصيلهم ويأخذون من التاجر في المقابل البذور والسماد والمبيدات، وهذه العملية كانت أقرب إلى نظام المقايضة منه إلى العمل التجاري بمفهومه الحديث. وكما أشارت بعض المقابلات إلى أن معظم المحال التجارية في القرية كانت مملوكة لتجار من مدينة الخليل، وقلما كان هناك محال تجارية مملوكة لأشخاص من القرية، وفي هذا السياق تروي الحاجة عائشة عبد الرحمن العزة (78 سنة): *" كثير خلايلة بقوا فاتحين دكاكين في بلدنا، فكان موسى الطويل وعبد العفو القواسمي وأبو صوانه كلهم هذول خلايلة بقوا فاتحين في البلد ".*

وقد أظهرت بعض المقابلات الأخرى إلى أن حكومة الانتداب البريطاني كانت تشتري القمح من الفلاحين إلا أن ذلك كان ينعكس سلبا على الفلاحين بشكل خاص وعلى السكان الفلسطينيين بشكل عام، وهي سياسة معروفة كان الإنجليز قد اتبعوها في معظم الأقطار التي استعمروها، ففي مصر مثلا كانوا

يحتكرون تصدير محصول القطن، وبهذا الخصوص يروي السيد عبد الله عبد الرحمن غطاشة(63 سنة) فيقول:

يعني كان القرش شحيح جدا حتى لو كان ييجي خصاب كان الانتداب البريطاني يوخذ القمح كله يشتريه ويصير يجيبلهم قمح استرالي وغيره وينفص عنيهم تيعطيهم القمح كان بالغلى يعطيهم إياه كان متحكم في الاقتصاد والفلاح شو بقى يساوي ذريات قمحات شعيرات يحطهن في هالدار ويوكل منهن لا أكثر ولا اقل.

ونظرا لقلة الأعمال التجارية في القرية فإن ذلك قد انعكس على مجمل ما التقطته ذاكرة الأجيال في هذا المضمار وخاصة لدى صغار السن، فكانت هناك بعض الإيحاءات من كبار السن تكشف عن وجود بعض الأعمال التجارية ولكن على نطاق ضيق كما أشرنا، أما صغار السن فقد خلا – إلى حد – كبير رصيدهم من الذاكرة الجماعية من أي معرفة في هذا الاتجاه باستثناء عدد قليل جدا منهم تضمنت روايتهم بعض المعلومات البسيطة حول هذا الموضوع.ومن الأمثلة على ذلك ما أشارت إليه رواية الآنسة وفاء أحمد العزة (18 سنة) عندما قالت:

كانوا أهل القرية معتمدين على زراعة الأرض وتربية المواشي وبتخيل انه كانت سهول القرية خصبة وواسعة وكانوا يزرعوا القمح والشعير والذرة ويربوا الغنم والبقر والجمال، وبتصور إنهم كانوا يبيعوا الزايد عن حاجتهم في الخليل.

أما فيما يتعلق بالأعمال المهنية والحرفية فقد أظهرت غالبية الروايات من مختلف الفئات العمرية بأن ذاكرة اللاجئين كانت شبه خالية من أي تلميحات أو دلالات تشير إلى وجود حرفيين أو مهنيين في القرية ما عدا بعض الحالات النادرة، وتبدو هذه الندرة في الأعمال الحرفية والمهنية من خلال رواية السيد عواد موسى النجار (57 سنة) الذي قال: "***سيدي كان النجار الوحيد في البلد يعني بقت مهنته النجارة واسمنا أجا بناء على مهنة سيدي، بقى يسوي عودان حراث ويسوي أبواب ويسوي يعني الشغلات اللي بقت ماشية في هظاك الوقت.***

كما تحدث لي أحدهم بأن أحد أقاربه بالإضافة إلى عدد قليل من أبناء القرية الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة كانوا يعملون كموظفين في البوليس البريطاني ومما ساعدهم على الانخراط في هذه الوظيفة هو وجود مركز كبير لهذا البوليس في القرية، ويضاف إلى ذلك ما أشارت إليه بعض المقابلات مع كبار السن الذين تحدثوا عن امتهان بعض الفلاحين وخصوصا الذين لا يمتلكون الكثير من الأراضي والمواشي لمهنة الحراثة كذلك مهنة رعاية الأغنام عند الآخرين من ذوي الأملاك الكبيرة مقابل أجر وغالبا

ما يكون هذا الأجر عينيّاً وليس نقدياً وبهذا الخصوص يقول الحاج حسان محمود الحليقاوي (79 سنة):" ***بقى في ناس عنده ارض وحلال كثير ومعندوش حدا، فبقى يجيب واحد ولا اثنين يحرثولوا أرضه ويرعولوا غنماته ويوخذوا قمح وشعير وكم راس حلال.***

وفي نهاية المطاف يمكن القول بأن الأعمال التجارية كافة بالإضافة إلى الأعمال المهنية والحرفية الأخرى لم تحتل إلا مساحة ضيقة في ذاكرة اللاجئين بمختلف فئاتهم العمرية وخصوصا صغار السن منهم، وذلك نظرا لعدم وجود تأثير كبير لهذه الأعمال على حياة الفلاح الفلسطيني في بيت جبرين، وقد ظهرت هناك بعض الفروق بين الفئات العمرية الثلاث في هذا السياق، وتدرجت هذه الفروق بحيث كانت قليلة بين الآباء والأبناء وهي أيضا قليلة بين الأبناء والأحفاد ولكنها أصبحت ملموسة أكثر بين الآباء والأحفاد، ولكنها في النهاية ليست فروقاً جوهرية على اعتبار أن هذا الموضوع لم يستحوذ على اهتمام كبير من قبل الذاكرة الجماعية بشكل عام نظرا للحيز اليسير الذي شغلته هذه المهن في حياة القرية أيام الانتداب البريطاني.أما فيما يتعلق بالمتغيرات الأخرى كالمستوى التعليمي والجنس أو مكان السكن فلم يكن لها اثر يذكر في هذا المضمار.

3 :2 :4. المرأة ومشاركتها في الأنشطة الاقتصادية:

لقد أظهرت غالبية المقابلات بأن المرأة في بيت جبرين قد لعبت دورا هاما وأساسيا في الحياة الاقتصادية بالإضافة إلى أدوارها الأخرى في المجالات الحياتية المختلفة، وهذا ما دفعنا إلى تناول هذا الموضوع ضمن المحاور الخاصة بالحياة الاقتصادية في القرية قبل النكبة وعدم تناوله في مكان آخر وخاصة عندما سنتحدث لاحقا عن الحياة الاجتماعية، كما أن حرص الذاكرة على الربط بين البعد الاقتصادي والأبعاد الأخرى لهذا الدور قد جعل من الصعب تجزئة الموضوع والحديث عنه في أماكن أخرى. لذلك سيجري هنا تناول دور المرأة بأبعاده المختلفة مع التركيز على البعد الاقتصادي لهذا الدور وذلك انسجاما مع الكيفية التي تناولته بها الذاكرة الجماعية للاجئين.

وتوضح المقابلات مع كبار السن طبيعة الأعمال والمهام العديدة والمتنوعة التي كانت تقوم بها المرأة سواء تلك الأعمال المنزلية القائمة على أساس التقسيم الجنسي للعمل أو الأعمال والأنشطة الزراعية التي

كانت تشترك فيها مع الرجل، وبالتالي فقد استحوذت هذه الأدوار على مساحة هامة من الذاكرة الجماعية وخصوصا عند جيل النكبة فتحدثوا عن يوم عمل طويل وشاق يبدأ من ساعات الفجر الأولى وينتهي في ساعات متأخرة من الليل ويتضمن ذلك اليوم العديد من الأنشطة والفعاليات، وتبدو تفاصيل هذا اليوم واضحة في رواية الحاجة ظريفة عواد الحموز(70 سنة):

بقن يطلعن من الفجر يحصدن ويظلن للساعة عشرة ويروحن، والله يا بني أرضنا بقيت اعرفها بالنتفة وأروح عليها وأجي ونطلع على خلة أبو حسن ونطلع وين ما كان، عالواوية ورحنا عالنعناع، بقى الله يرحمه النعناع بقوا دايرين الشرطة وراه بدهم إياه بقى هناك ساكن في الجبل العالي عالي، بقينا نروح نشوف أبونا النعناع وين راح، الحرمة بقت تشتغل، في ناس بقوا في الدار يشتغلوا وناس يحشّوا وناس يروحوا عالحصيدة، بقن يظلن للساعة عشرة وهن يحصدن، ويغمرن وبعدين يروحن يعجنن ويخبزن ويحلبن ويخظين ويسوين لبن ورايب وسمن وبقين يحطبن ويملين ميّة على روسهن من بير أم جديع والعجمي وفي موسم الزيتون يروحن يجدن زيتون.

ولم يلاحظ من خلال المقابلات مع الآباء بأن هناك فروقاً جوهرية بين ما تختزله ذاكرة المرأة عن ذاتها وبين ما تختزله ذاكرة الرجل عن المرأة، فالرجل يقر هو الآخر بأهمية دور المرأة في القرية. والفرق الوحيد بينهما في هذا الخصوص هو أن حديث المرأة عن نفسها كان يأتي في سياق حديثها عن الحياة في القرية بشكل عام وكان دائما يطفو على السطح، أما الرجل فكان يحتاج إلى نبش ذاكرته حتى يتطرق لدور المرأة.كما أظهرت المقابلات أيضا بأن هناك تقبلاً إلى حد ما من المرأة للأدوار التي أنيطت بها وأن الرجل كان يعد هذه الأدوار تأتي ضمن واجبات المرأة تجاه أسرتها، وتمثل رواية الحاج موسى عبد القادر الشوابكة (77 سنة) نموذجا لما تختزنه ذاكرة الرجل عن أدوار النساء في بيت جبرين قبل النكبة:

بقت الوحدة تعنقر هالجرة عن بير أم جديع أو بير...لا بقى في حنفيات زي اليوم كل شي في الدار، في شقتنا بقى في بير أم جديع وفي شقة العزة بقى بيرين واحد يقولولوا بير القلعة واحد بير الحمام، في شقة الغبارية غاد بقى في بير يقولولوا بير العجمي، النسوان بقن يا سيدي في أيام الحصيدة يصرحن ويجيبن أكل للحصادين ويصيرن يغمرن وراهم وفي اشي بقن يحصدن معهم وفي اشي بقن يقطعن ذرة معهم حاملة السلة على كتفها ورا هالقطاعين رايحة جاية هم يقطعوا في هالذرة ويحطوا في هالسلة، شو بقين افندية؟.

وفي سياق الحديث عن دور المرأة كما تصفه الذاكرة، فقد أظهرت غالبية المقابلات مع النساء اللواتي ينتمين لعائلة العزة بأن أدوارهن كانت تختلف عن أدوار النساء من العائلات الأخرى وربما يعود ذلك إلى المستوى الاقتصادي والنفوذ الذي كانت تتميز به عائلة العزة عن العائلات الأخرى في القرية، بالتالي فإن هذا التمايز الاقتصادي قد خلق تمايزا اجتماعيا لدى العائلة عن العائلات الأخرى فكان قسم منهم يترفع عن العمل المباشر في الأرض وفي المقابل كانوا يستعينون بالفلاحين الذين لا يملكون أراضي للعمل في

أراضيهم مقابل ربع المحصول.وتوضح رواية السيدة عائشة أحمد العزة (66 سنة) الفرق في الأدوار بين بعض النساء من عائلة العزة ونساء العائلات الأخرى، فتروي قائلة:

إحنا يا دار العزة خص نص نسوانا ما كانن يطلعن كلهن، كانن يظلين في دورهن ستات بيوت، بقوا الناس فقرا بقوش زى الحين، في ناس ما كانوا يقدروا يوكلو ويطعمو أولادهم، في ناس ما كان الهم أراضي كانوا يجوو يشتغلو ويخدمو عند دار العزة والنسوان يحلبن ويخضّن، مش كل الناس وضعهم واحد، بس اللي كانوا متسيدين البلد هم دار العزة ونسوان دار العزة والله ما كانن يطلعن يشتغلن في الأرض، انا في البلد درست بس سنة، بقى في مدرسة للأولاد ومدرسة للبنات، مدرسة الأولاد قبل بعدين تبنت مدرسة البنات، واللي كان يقدر يدرس بنته يوديها المدرسة كانت تقبل الكل، اللي عنده قناعة انه يدرس بنته كان يوديها، أكثر اشي كانن يروحن عالمدرسة هن بنات دار العزة.

وعن خصوصية النساء العزيات في قرية بيت جبرين التي عبرت عنها السيدة عائشة العزة في روايتها، فإن هذه الخصوصية لم تكن واضحة في روايات صغار السن [جيل الأحفاد] من نفس العائلة كما كانت واضحة في روايات الجيل الأول والجيل الثاني من النساء وقسم من الرجال، فغالبا ما كانت روايات صغار السن من كلا الجنسين تصف دور المرأة في قرية بيت جبرين بشكل عام دون التطرق إلى الاختلافات والتباينات بين العائلات في هذا الخصوص، وهذا أيضا ما عكسته المقابلات مع النساء والرجال من العائلات الأخرى.وتوضح رواية السيدة ناهد نمر العزة (31 سنة) تصورها لدور المرأة في بيت جبرين بشكل عام والذي يختلف عن تصورات كبار السن من عائلتها:

كانت المرأة في بيت جبرين تروح تحطب وتخبز وتحلب الغنم وتزرع وتحصد وتروح تبيع إذا في بيع، فش رجل بقدر دور المرأة لأنهم بعتبروه كواجب من واجباتها فلما تروح تحلب الغنم ولا تزرع أو تحصد فهذا واجب من واجباتها وما بتوقع إنهم كانوا يعتبروه كمساعدة الهم.

وعلى الرغم من أهمية أدوار النساء في الحياة الاقتصادية في تلك الفترة إلا أن ذلك لم ينعكس على وضعية المرأة بشكل عام ومكانتها، فعلى الرغم من وجود مدرسة للإناث في القرية إلا أن عدد اللواتي كن قد التحقن بها كان قليلاً جدا إذا ما قورن بالذكور وهذا ما أشارت إليه المقابلات مع الآباء من كلا الجنسين، واللافت للانتباه في هذا الموضوع أن عدداً كبيراً من النساء اللواتي تمت مقابلتهن – من الفئة الجيل الأول – لم يكنّ يعلمن عن وجود مدرسة للبنات في القرية، فالتعليم لم يطل إلا عدداً ضئيلاً جدا من فتيات القرية وكانت غالبيتهن من عائلة العزة، أيضا فقد أوضحت المقابلات مع كلا الجنسين بأن الفتاة غالبا لم تستشر ولم يؤخذ برأيها عند تزويجها، وما يلفت الانتباه في هذا الموضوع أيضا هو أن غالبية المقابلات مع النساء

اللواتي عشن في القرية قد أظهرت تقبلا لهذا الأمر وعدم اعتبار ذلك انتقاص من حقوقهن وهـذا يتوافـق أيضا مع رأي الذكور من الجيل نفسه. فمثلا تروي الحاجة زينب عودة الشوابكة (70 سنة):

والله يا بنيِّ قبل أحسن والله أحسن، أحسن بقوا الناس، نسوان زمان زي نسوان الحين؟ ولا كان الهن دور ولا عمرهم شاوروا بنت لا في جيزة ولا في غيره، خلص الزلمة بقى هو إلي يقول وهو إلي يشور.

أما فيما يتعلق بالفئتين العمريتين الثانية والثالثة بما حول دور المرأة ومكانتها في مجتمع القريـة فقـد أظهرت غالبية المقابلات أن هناك أثراً لمتغير التعليم في هذا الموضوع حيث عَدَّ غالبية الحاصلين علـى تعليم ما فوق المرحلة الثانوية من كلا الجنسين بأن المرأة كانت مضطهدة بشكل عام وأن حقوقهـا كانـت مصادرة ولم يكن هناك توافق بين الدور الاقتصادي للمرأة وبين قدرتها في التأثير على القرارات العائليـة كذلك القرارات المتعلقة بالمرأة نفسها كالزواج والتعليم وما إلى ذلك من قرارات أخرى، وهذا ما أشـارت إليه رواية السيد بسام عبدا لله الشوابكة (32 سنة):

المرأة كان إلها ادوار كثيرة ومتعددة وربما أكثر من الرجل لأنها كانت تنجب وتربي وتخدم الزوج وتقوم بالأمور والمهام البيتيـة وفوق هذه الأمور يلحقها العمل في الحقل وفي الأرض مثل الرجل في حين انه الرجل كان يعتمد عملـه علـى الرعـي أو الحراثـة أو الزراعة، لكن هي الأمور المنزلية والأمور الحياتية من العناية بالأطفال والزوج أضف إلى ذلك إلي هو العمل فـي الأرض أو مسـاعدة الرجل في الأرض، فمن هذا الباب كان عليها حمل ثقيل فدورها كان دور عظيم ما حدا بنكر هذا الأمر، ولكن من حيث التأثير الاجتماعي ما كان إلها تأثير اجتماعي لأنه يعني المجتمع إلي كان في بيت جبرين يعني يشابه إلى حد ما المجتمـع القبلـي، الاجتماعـات للرجـال والمقاعد والمجالس للرجال، النقاش وتقرير أي أمر بعود للرجال اللهم انه المرأة كان دورها التنفيذ.

وبالنسبة للمتغيرات الأخرى لدى الفئتين العمريتين الثانية والثالثة فلم يكن لها أثر يذكر باستثناء متغيـر العمر ولكن هذا الأثر لم يكن جوهريا كأثر متغير المستوى التعليمي، فقد أظهـرت بعـض المقـابلات أن صغار الأحفاد كانوا أكثر انتقادا من الأبناء لواقع المرأة في القرية، وأما متغير الجنس ومتغير مكان السكن فلم يكن لهما اثر واضح في هذا الخصوص، مع عدم إغفال اثر الانتماء العائلي لدى الفئتـين العمـريتين الأولى والثانية الذين ينتمون لعائلة العزة فيما يتعلق بتمايز دور النساء اللواتي ينتمين لعائلـة العـزة عـن النساء اللواتي ينتمين للعائلات الأخرى. ولعل الاقتباسات السابقة لبعض الروايات قد أشارت إلى أثر هـذه المتغيرات أو بعضها على واقع المرأة والأدوار التي أنيطت بها في القرية.

3: 3 .الحيـــاة الاجتمـــاعية:

عندما تم ترتيب وتصنيف العناوين والمحاور المختلفة التي تضمنها هذا الفصل وبالتحديد كل ما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية حاولنا أن نراعي في ذلك – قدر الامكان – الكيفية التي رتبت ونظمت فيها هذه المحاور في الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين الذين تمت مقابلتهم حتى لا تفقد هذه الموضوعات معانيها ودلالاتها في الذاكرة، فغالبا ما كان يبدأ اللاجئون رواياتهم وخاصة الآباء مـــنهم بالحـــديث عـــن الأرض والزرع والغلال وقطعان المواشي وربما كانوا يجدون ذواتهم الحقيقية من خلال هذه الذكريات، ولعل ذلك ما دفع الحاج محمود أحمد أبو ربيع (73 سنة) لأن يبدأ روايته بالقول: *" كانت بلدنا مشهورة وكل الصفات الطيبـــة فيها وإحنا يا خال أصحاب أراضي وأصحاب وطن وأصحاب كرم وأصحاب زَرَم وأصحاب كل الصفات الطيبة، أمّا يا خال الغربة ظيعتنا ".*

وبعد أن كان ينتهي اللاجئ من الحديث عن ذاته الحقيقية كما هي في مخيلته كفلاح كان يملـــك الأرض ويزرع ويحصد ويأكل من خيرات أرضه وهي حقيقة مغايرة للواقع الذي فرض عليه، كان ينطلق بعد ذلك إلى العام مع الخلط في بعض الأحيان بين العام والخاص ليكمل حديثه عن العلاقات الاجتماعية وما كـــان يتخللها من ترابط وتعاضد بين الناس في أحزانهم ومسراتهم، وكثيرا ما انطوت بعض الروايات على تداخل وتشابك بين الاقتصادي والاجتماعي وهذا ليس بالشيء الغريب، فمن الطبيعي أن تكون هناك تمفصـــلات عدة بين الحياة الاقتصادية والاجتماعية وخاصة في مجتمع قروي تشكل فيه ملكية الأرض أساساً للتمـــايز الاقتصادي والاجتماعي بين الفلاحين.

وهذا ما دفع بنا إلى تناول دور المرأة ومشاركتها في الأنشطة الحياتية المختلفة في باب الحديث عن الحياة الاقتصادية على الرغم من علاقة هذا الدور بطبيعة النظام الاجتماعي الذي كان سائدا في القرية قبل التهجير، ولكن هيمنة البعد الاقتصادي على هذا الدور جعل منه موضوعا اقتصاديا أكثر منه اجتماعيا.

وكما جرى تناول المحاور الأساسية الخاصة بالحياة الاقتصادية في الصفحات السابقة فسوف يجـــري هنا تناول محاور الحياة الاجتماعية وذلك كما تم استيعابها في الذاكرة الجماعية للاجئين، وفي هذا الســـياق فقد أظهرت المقابلات مع اللاجئين بأن ذاكرتهم الجماعية قد اختزلت الكثير من مفاصل الحياة الاجتماعيـــة في القرية، وغالبا ما كان يبدأ اللاجئون حديثهم في هذا المجال عن حمائل القرية وعائلاتها بالإضافة إلـــى

طبيعة العلاقات الاجتماعية بين هذه الحمائل والعائلات، وهنا تجدر الإشارة إلى إحدى القيم التي سادت المجتمع الريفي الفلسطيني في ذلك الوقت وكان لها الأثر الكبير في تعزيز التقارب والتكاتف وخاصة بين أبناء الحمولة الواحدة التي تمثلت فيما كان يعرف عندهم "بالعونة" أو "الفزعة" وخاصة في مواسم الحصاد وقطف الزيتون وبناء البيوت.

وبالإضافة إلى ما اختزنته الذاكرة عن الحمائل والعائلات وشكل العلاقات التي كانت تربطها بعضها ببعض، فقد تضمنت الذاكرة كذلك بعض الإيحاءات والإشارات حول علاقة القرية مع القرى المجاورة، أيضا فقد احتلت الأفراح والأتراح إضافة إلى المواسم والأعياد وزيارة مقامات الأنبياء والأولياء مساحة معقولة من الذاكرة، وأخيرا فقد كان لوجهاء ومخاتير القرية ما يخصهم في ذاكرة الأجيال.

3 :3 :1. حمائل القرية وعائلاتها:

لقد تحدثت الروايات عن وجود أربع حمائل رئيسية في القرية وكانت كل حمولة من هذه الحمائل تتألف من مجموعة عائلات، وهذه الحمائل هي: الشوابكة، والغبارية، والعزة، والدعاجنة.وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض هذه الحمائل ضمت في صفوفها عائلات لم تربط بينها قرابة الدم وإنما كان انضمامها بغرض الحصول على الحماية، أو لأن أراضيها تم فرزها في قسمة الحامولة التي انضمت إليها عندما قسمت أراضي القرية بين حمائلها الأربعة.

وأما العائلات أو"الدور" – كما يسمونها – التي تشكلت منها حمائل القرية فكانت على النحو التالي:

- حامولة الشوابكة وضمت كل من:غطاشة، والقلعية أو الخاروف، والحموز، والحليقاوي، ودعدرة.
- حامولة الدعاجنة وضمت كل من:أبو طربوش، والفقيه أو الفقهاء، والقطاوي، وعطايا، ومريزيق، والرضاوين.
- حامولة الغبارية وضمت:الشوبكي، والقيسي، وكسّاب، وشتيات.
- حامولة العزة وضمت: عزة أولاد مسلم وعزة أولاد محمد، وتذكر روايات كبار السن من الحامولة بأن محمد ومسلم هم في الأساس إخوة من أب واحد.

لقد أظهرت غالبية المقابلات بأن الآباء وخاصة الذكور منهم يتميزون عن الفئات العمرية الأخرى بذاكرة قوية فيما يختص بحمائل القرية والعائلات المتفرعة عنها، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفواصل العمرية التي جرى تحديدها في الفصل الثاني في سياق الحديث عن عينة الدراسة، لوحظ بأنها تداخلت بعض الشيء فلم تظهر الفروق بين الأجيال عند عمر محدد بقدر ما كانت تظهر بشكل تدريجي كلما زاد أو قل عمر اللاجئ، فمن كانوا ينتمون إلى الفئة العمرية الثانية[الأبناء] مثلا وأعمارهم في الستينات كانوا أقرب إلى الفئة العمرية الأولى ممن كانت أعمارهم في الخمسينات أو الأربعينات على الرغم أنهم ينتمون إلى الفئة العمرية نفسها. ولكن بشكل عام يمكن القول: إن متغير العمر كان له أثر بارز في هذا السياق، وتشير رواية الحاج موسى عبد القادر الشوابكة (77 سنة) إلى بعض التفاصيل التي لم تجد لها مكانا في مخيلة الصغار، حيث يقول:

أنا من الغطاشات، بقت تظم حمولة الغطاشات الحليقاوية والدعادرية والفودة والحموز وأبو زور وعرار وكلها وغيره وغيراته وشعبان بقوا يقولوا عنها حمولة الشوابكة والمهدي والخرفان كلها بقوا يقولوا عنها حمولة الشوابكة، على وعيي عاودوا تقسموا كان للحموز حارة، صار للخرفان حارة صار يا حفيظ العمر والسلامة للدعادرية والحليقاوية حارة، صار انا احنا يا الغطاشات حارتين، حارة لجيش احمد وحارة لجيش سلامة، وبقى عندك حامولة الغبارية اللي منها كساب والشوبكي والقيسي والشتيات، وفي حامولة الدعاجنة وبقولوا انه أصلهم من عندكم من منطقة دورا وهذول الطرابيش والفقيات والقطاوي ومريزيق والرظاوين وما تنساش العزة في كان عزة أولاد مسلم وعزة أولاد محمد. زمان خرفونا الختيارية كانت حارة وحدة ينجمعوا عند يونس عبد الفتاح العزة كل البلد من غبارية من دعاجنة من حموز من أية إنسان.

كما أظهرت غالبية المقابلات مع جيل النكبة بأن الإناث كُنّ أقل معرفة من الذكور في هذا المجال، وربما يعود ذلك الى وضعية المرأة بشكل عام ومنظومة العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة التي تحد من مشاركة المرأة في المناسبات العامة والاختلاط بمجتمع الذكور مما يحجب عنها بعض المصادر التي قد تعزز مخزون الذاكرة الجماعية عندها ، فلم تنطوِ غالبية روايتهن على التفاصيل التي كانت تَرد في روايات الذكور، ويتضح ذلك من خلال الرواية التالية للحاجة عائشة عبد الرحمن العزة (78 سنة):

" في كان شوابكة وفي عزة وفي غبارية وفي دعاجنة، بقوا العزة والغبارية والدعاجنة هذول كوم، الشوابكة اللي هم الحموز والغطاشات وبرضو هذول القلعية كوم في البلد، الشوابكة بقوا قويين في البلد وبعدين دار العزة بقوا حاكمين البلد ".

وأما فيما يتعلق بروايات الأبناء فقد لوحظ بأن هناك فروقا في داخل الفئة العمرية نفسها، فكلما كان يقترب عمر اللاجئ من الفئة العمرية الأولى [الآباء] كانت تزيد معرفته في هذا الشأن والعكس صحيح،

فكلما كان يقترب عمر اللاجئ من الفئة العمرية الثالثة [الأحفاد] كانت معرفته تقل، وتشير رواية السيد عبد الله عبد الرحمن غطاشة (63 سنة) إلى التقارب بين روايات الآباء وروايات الذكور من جيل الأبناء الذين اقتربت أعمارهم من جيل الآباء، فيروي قائلاً:

كان موجود في البلد أربع حمايل كان اللي بسموه ثلث الشوابكة اللي بنبثق منهم الغطاشات والقلعية والحموز، وكان حلف الهم من ضمن الشوابكة دار دعدرة ودار الحليقاوي هذول كانوا حلف مع الشوابكة هاظا الكلام اللي بحكيلك إياه من قعدتي مع الختيارية الكبار وكان في عندك الدعاجنة وكان في عندك الغبارية وكان العزة عزة أولاد مسلم فلاحين زينا باعتبار زي أهل البلد وعزة أبو المرق اللي أجوا في الآخر بعد عزة أولاد مسلم.

أيضا فقد أظهرت غالبية المقابلات مع اللاجئين الذين ينتمون إلى جيل الأبناء بأن الذكور يتمتعون بذاكرة تفوق تلك الذاكرة التي تتمتع بها الإناث من الجيل نفسه بهذا الخصوص، ويبدو هذا الفرق واضحا بين رواية السيد عبد الله غطاشة المقتبسة أعلاه وبين رواية السيدة لبقة أحمد العزة (56 سنة) والتي تقول فيها:

بعرف دار العزة وناس من دار مصلح ودار مسلم، ومسلم ومصلح كاينين أولاد عم، وفي ناس دعاجنة من بيت جبرين وفي دار الشوبكي، هذول كلهم فلاحين بس انا بعرف انه اغلب البلد بقت لدار العزة في العدد وفي الأرض ويمكن الشوابكة زيهم.

وبخلاف الآباء والأبناء فقد تميز اللاجئون من جيل الأحفاد بعدم وجود فروق جوهرية بينهم في هذا الشأن تعزى إلى متغيري العمر والجنس كما هو الحال بالنسبة للأبناء أو لمتغير الجنس فقط كما هو بالنسبة للآباء، وفي الوقت نفسه فقد لوحظ بأن معرفة الأحفاد كانت بسيطة جدا إذا ما قورنت بمعرفة الآباء والأبناء.وهذا ما يبدو واضحا من خلال رواية الآنسة آمال إبراهيم الحموز(19 سنة) التي تقول فيها: "***بعرف انه كان في عيلة الحموز وغطاشة والعزة والشوابكة والحليقاوي***"، ورواية السيد محمد كامل الحموز(25 سنة): "***كان في عزة، حموز، قيسي، دعدرة، عرار، الحموز ودعدرة وعرار وكمان عيلة أو عيلتين ناسيهم كان اسمهم شوابكة وتوزعوا وصارت كل عيلة مستقلة لحالها.***

وأخيرا، فقد أظهرت غالبية المقابلات مع اللاجئين بمختلف فئاتهم العمرية بأن متغير مستوى التعليم لم يكن له أي أثر يذكر في هذا الشأن، كذلك فإن متغير مكان السكن هو الآخر لم يكن له أثر ملموس على ما تضمنته ذاكرة الأجيال بهذا الصدد، وذلك بخلاف متغيري العمر والجنس اللذين كان لهما أثرٌ واضحٌ وهو ما وضحته الاقتباسات السابقة لبعض الروايات.

3 :3 :2. صورة العلاقات الاجتماعية بين حمائل وعائلات القرية كما تبدو في الذاكرة:

لقد احتلت صورة العلاقات الاجتماعية بين حمائل وعائلات القرية مكاناً بارزا في الذاكرة الجماعية للاجئين بمختلف فئاتهم العمرية، ولطالما كانوا يعتزون ويتغنون بقوة الروابط الاجتماعية التي جمعت بينهم، وقد أظهرت غالبية المقابلات بأن حيز الخلافات والمشاجرات في هذه الصورة لم يحتل إلا حيزا ضيقا جدا منها ولكن إذا ما اعتمدنا على بعض الإشارات والتلميحات التي كانت تظهر بين الحين والآخر في بعض الروايات وبطريقة عفوية في أغلب الأحيان كالتنافس الذي كان قائما بين بعض العائلات على ملكية الأرض والزعامة وكذلك استغلال بعض الإقطاعيين للفلاحين بالتالي فان هذه الصورة التي ارتسمت في مخيلة الأجيال عن شكل العلاقات بين عائلات القرية قد تكون مخالفة إلى حد ما لنمط العلاقات الذي كان سائدا بين عائلات القرية في ذلك الوقت، ولكن يبدو أن هناك رغبة خاصة لدى كبار السن في التأكيد على الجوانب الايجابية فقط وإغفال الجوانب السلبية في هذا الموضوع. وفي الوقت نفسه فقد انطوت رواياتهم على مفارقة كبيرة بين شكل العلاقات الاجتماعية في الوقت الحالي والعلاقات التي كانت سائدة في القرية، وتبدو هذه المفارقة واضحة في رواية الحاج أحمد خليل النجار(73 سنة):

علاقات الناس كانت أحسن من الحين الطاق خمس ميّة يعني بقى لما يصير مناسبة من دون ما تدعي الناس يجوك، إن صار عندك عرس كل الناس تيجي إن صار لا سمح الله مكروه كل الناس يجووا يقفوا عندك الناس كانت مصالحهم مربوطة مع بعضها البعض هالحين أقف عندك لليش لا إلي بقر ولا جمال، علاقات طيبة جدا كانت بين الناس.

وقد لعبت الدواوين والمضافات أو "الحارات" كما يطلقون عليها دورا بارزا في الحفاظ على تماسك العائلة واستمرارية التواصل بين أبنائها، فكان لكل حمولة ديوان أو اثنان، حيث يعتمد ذلك على عدد العائلات المنضوية تحت اسم الحمولة ومدى اتفاقها مع بعضها، وكان وجيه العائلة أو كبيرها يتصدر الجلسة وينظر في الخلافات التي كانت تنشأ بين أبناء العائلة ويعمل على حلها، أيضا الخلافات التي كانت تنشأ بين هذه العائلة أو تلك، وفي هذا السياق تروي الحاجة زينب عبد الرحمن غطاشة(80 سنة) قائلة:

والله يمّة بقوا الناس كويسين مش زي هالحين كل واحد معنصر لحالو بس هناك بقت كويسين الناس يروحوا على ارضهم وينجمعوا هالختيارية يبقوا قاعدين في هالحارات يحلوا مشاكلهم ويتصافوا والكبير كلمته كلمة وما تصير كلمتين ويمون عالكل ولما ييجي ظيف ويخلفوا على المحلّي إلي حيلتو غنم يذبح غنم والي محيلتوش غنم طبق خبز يطلعو على الناس طبق خبز ومن الموجود في الدار ويطلع يا بنيِّ.

وقد ساهمت بعض العادات والقيم الاجتماعية التي كانت سائدة في الريف الفلسطيني في ذلك الوقت كثيرا في تعزيز روح التعاون والتكاتف بين الناس، وأكثر ما كان يتجلى ذلك في ظاهرة العمل التعاوني أو ما يطلق عليه أهل القرية "العونة" أو "الفزعة" وخاصة في مواسم الحصاد وقطف الزيتون وبناء البيوت، فإذا تأخر أحدهم في حصاد محصوله أو قطف الزيتون كانوا يهبون لمساعدته حتى ينجز ذلك العمل في الوقت المناسب، وعن هذه الظاهرة التي سادت في مجتمع القرية يروي الحاج سليمان أحمد المهدي (75 سنة):

بقت الناس تقدر بعضها أحسن من الحين، وكانوا الناس يعاونوا بعضهم، مثلا نبقى جيران إحنا خلصنا حصيدة وجارنا يبقى ظايل عليه يومين ثلاث نجيب بعضنا كلنا ونساعده ويكمل حصيدته وبقينا نطيّن البيوت مع بعض، والناس بقى احترامها لبعضها زيادة عن القانون وكويسة وتقعد عند بعضها.

وفي سياق الحديث عن بعض العادات والقيم الاجتماعية التي ساهمت في تعزيز روح التعاون والتضامن والتكافل بين الناس فقد أظهرت غالبية المقابلات بأن العادات التي كانت متبعة في بعض المناسبات وخاصة في الأعراس وكذلك في المآتم كانت تزيد من التآلف والمودة بين الناس، وسوف نأتي لاحقا على هذا الموضوع بتفصيل أكثر في باب الحديث عن المناسبات الاجتماعية في القرية.

وعلى الرغم من ازدحام الذاكرة الجماعية للاجئين بالمشاهد التي تظهر فيها علاقات المحبة والمودة بين حمائل وعائلات القرية إلا أن هذه الذاكرة لم تخلُ تماما من صور أخرى تظهر فيها بعض الخلافات التي لم تكن ظاهرة في أغلب الأحيان، فقد أشارت بعض المقابلات مع الآباء وكذلك بعض التلميحات من الأبناء والأحفاد إلى استغلال بعض الأشخاص الذين ينتمون إلى العائلات المتنفذة للفلاحين، حيث تحدث بعضهم عن استغلال بعض الأشخاص الأثرياء لظروف الفلاحين التي أجبرت قسماً كبيراً منهم للتنازل عن أرضه لهؤلاء الأثرياء مقابل الحصول على كمية يسيرة من القمح، وكنا قد أشرنا إلى هذه النقطة في باب الحديث عن تقسيم أراضي القرية، كما أظهرت بعض المقابلات أن هناك تنافسا كان يقوم بين العائلات القوية على السلطة والزعامة، ولكن بشكل عام فقد انصب تركيز الذاكرة الجماعية على الجانب الايجابي في هذه العلاقات وقلما تطرقت الروايات إلى هذه الخلافات، وأكثر ما كان يتم التعبير عن الخلافات بأنها

كانت بسيطة وسطحية وسرعان ما تنتهي، ويبدو ذلك واضحا في رواية الحاجة زينب عودة الشـوابكة(70 سنة)، عندما قالت: *" ولا عمره صار مشاكل بين الحمايل غير مكاتلات بسيطة هيك بقوا الناس يتكاتلوا ويروحوا يوخذوا بخـاطر بعض ويصلحوا بعضهم ويرَوْحوا ".*

وقد أظهرت غالبية المقابلات بأن الصورة العامة التي تختزلها الذاكرة حول العلاقات الاجتماعية سواء في داخل العائلة نفسها أو بين عائلات القرية بشكل عام كانت متقاربة إلى حد كبير بين مختلـف الفئـات العمرية باستثناء بعض الفروقات البسيطة المتعلقة ببعض الحيثيات المرتبطة بهذه العلاقات فكـان الآبـاء بالإضافة إلى من تزيد أعمارهم عن 50 سنة من الأبناء يوردون بعض التفاصيل التي تظهر صوراً مختلفة من التعاون والاحترام المتبادل بين عائلات القرية، بينما ركز الصغار على الطابع العام لهذه العلاقات دون التطرق كثيرا إلى تلك التفصيلات، ولكن بشكل عام فإن معظم الذين تمت مقـابلتهم بغـض النظـر عـن أعمارهم كانت لديهم صورة واضحة عن طبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع القريـة، وتشير رواية السيدة رجاء عبد الفتاح الخاروف (56 سنة) إلى التقارب الكبير بين الآباء والأبناء في هـذا الشأن، فتروي قائلة:

كان في بينهم تآلف وترابط وكانوا يتعاونوا مع بعض ويساعدوا بعض في الأفراح والمياتم ويشدوا شان لبعضهم، فلما كان يمـوت الواحد زمان كانوا يتآزروا مع بعض ويقعدوا عند بعض والنسوان كلهن في الحمولة يظلهن زعلانات وحادات مع زوجـة إلـي تـوفى، وكانوا في الحصيدة يساعدوا بعض، واحد عقب مارسه يروحوا يساعدوه.....

وتبدو الصورة التي ترتسم في مخيلة السيد جعفر حسني الحليقاوي (37 سنة) – وهو ينتمي إلى جيـل الأحفاد – لا تختلف كثيرا عن الصور التي أظهرتها الروايات السابقة من الأجيال الأخرى، فعبر قائلاً:

كانت عندهم العلاقات الأسرية قوية جدا يتعاونوا مع بعضهم، كانت البلد بتقدر تقول أسرة وحدة وفي تكاتف بينهم، والطـابع العـام للعلاقات بين الأسر كانت أطيب من الحين، طوشهم كانت سطحية يعني غنماتك طاحن في ارضي يعني سـطحية جـدا وتنحـل، تتـدخل الحمايل وتحلها فوري.

كما أظهرت روايات من هم أصغر سنا هذا التشابه بين مختلف الفئات العمرية بهذا الخصوص ويبـدو ذلك واضحا في رواية الآنسة آمال إبراهيم الحموز (19 سنة)، عندما قالت:

العلاقات بين عائلات القرية كانت قوية يعني مش زي هالحين وكان ترابط كبير يعني كلهم يعرفوا بعض، أي واحد عنـده أي اشـي يعني فرحة كل البلد يفرحوا معه وفي الحزن الناس تحزن معه، يعني أقوى بكثير من هالحين، وكانوا يعاونوا بعض ويعملـوا جلسـات ويظلهم يحكوا في الحارات ما كانش في حياتهم اشي يشغلهم زي هالحين.

وكما لم يكن هناك أثر جوهري لمتغير العمر في هذا الشأن فإن متغير الجنس أيضا قد غاب تأثيره عمّا أفادتنا به ذاكرة الأجيال حول العلاقات الاجتماعية في قرية بيت جبرين، فقد أظهرت الروايـــات الســـابقة وغالبية الروايات الأخرى – التي لا مجال لحصرها هنا – التشابه الكبير بين الصور المختزلة في مخيلـــة الجنسين حول العلاقات الاجتماعية في القرية.

أما بخصوص متغيري مكان السكن والمستوى التعليمي فهما أيضا لم يكن لهما تأثير ملموس في هـــذا الشأن، حيث أظهرت غالبية المقابلات عدم وجود أي فروق ذات قيمة بين اللاجئـــين المتعلمـــين وغيـــر المتعلمين، أو الحاصلين على تعليم يسير، كما لم تظهر أي فروق تعزى إلى مكان السكن، ولكـــن تجـــدر الإشارة هنا إلى أن عدداً قليلاً جدا من اللاجئين الذين تمت مقابلتهم وينتمون إلى الجيلين الثـــاني والثالـــث وكانت الصورة لديهم مشوشة بعض الشيء فيما يخص العلاقات الاجتماعية كانوا يعزون ذلك إلـــى خلـــو المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه من أشخاص كبار في السن ليستقوا منهم المعرفة بهذا الشأن.ولكن ذلك لا ينطوي إلا على عدد قليل من الأبناء والأحفاد، فالغالبية كانت لديهم صورة واضـــحة عـــن العلاقـــات الاجتماعية على الرغم من أن عدداً كبيراً منهم يعيشون في ظروف مشابهة، وربما يعود ذلك إلى المصادر التي يعتمد عليها بعض اللاجئين في استقاء الذاكرة الجماعية.

3 :3 :3. علاقة القرية مع القرى المجاورة:

حتى اللحظة التاريخية التي أُقتلع فيها سكان القرية من بيوتهم وأراضيهم عام 1948 كانت تعد بيـــت جبرين مركزا إداريا وتجاريا لبعض القرى المجاورة لها، ويعود ذلك في الأساس إلى الشـــهرة التاريخيـــة التي تمتعت بها القرية على مر العصور بالإضافة إلى تفوقها على كثير من القرى المحيطة بها من حيـــث المساحة وعدد السكان، ويضاف إلى ذلك وجود محكمة صلح ومدرستين في القرية واحدة للذكور وأخـــرى للإناث إلى جانب عيادة طبية ومركز للشرطة، كما تم افتتاح سوق تجاري فيها قبل النكبة بعامين، وكنا قد أشرنا – في روايات سابقة لأهل القرية – إلى هذه المرافق والخدمات في الوقـــت افتقـــرت فيـــه القـــرى المجاورة إلى مثل هذه المرافق والخدمات، وتشير بعض الروايات في هذا الصدد إلى أربع عشـــرة قريـــة

كانت تتبع لبيت جبرين حتى عام النكبة، ومن هذه القرى التي تردد ذكرها كثيرا في روايات اللاجئين: دير نخاس، وعجور، وذكرين، وبركوسيا، وزيتا، وكُدنة، والقبيبة، والدوايمة، وغيرها من القرى الأخرى التي دمرت وهجر أهلها عام 1948.

وعن طبيعة العلاقة بين القرية والقرى المجاورة، فقد أظهرت غالبية المقابلات بأن الذاكرة الجماعية للاجئين تنطوي على صورٍ تبدو فيها مظاهر الاحترام المتبادل وعلاقات حُسن الجوار هي السمة الغالبة على تلك العلاقات، ويبدو ذلك واضحا من خلال ما يرويه الحاج أحمد خليل النجار (73 سنة) بهذا الخصوص:

علاقات أهل بيت جبرين مع القرى الثانية كانت علاقات طيبة وممتازة، ليش؟ لأنه بيت جبرين في الآخر صار فيها سوق وكان فيها مركز بوليس وكان يجي قاضي حاكم يعني يجي في الأسبوع مرة يعني هي مسؤولة عن 14 قرية يعني تابعات إلها كلياتهن مثل ذكرين ورعنا والدير وبركوسيا ودير نخاس وعجور وزيتا هذول كلهن تابعات إلها زي ما تقول.

وبالإضافة إلى وجود المرافق الخدمية المختلفة ودورها في تعزيز علاقات حسن الجوار بين القرية والقرى المجاورة من خلال الاحتكاك اليومي مع سكان هذه القرى الذين كانوا يحضرون إلى القرية، فقد لعبت التحالفات القبلية التي تشكلت في المنطقة أواخر الدولة العثمانية دورا في تعزيز هذه العلاقات، حيث تزعمت بيت جبرين الحلف الذي كان يطلق عليه "صف القيسية التحتا" الذي ضم بيت جبرين ومجموعة القرى المجاورة لها بالإضافة إلى بيت أولا وترقوميا فيما تزعمت دورا صف القيسية العليا، وفي الوقت نفسه فقد أظهرت غالبية المقابلات بان هذه التحالفات لم يكن لها صدى إلا في ذاكرة بعض الآباء من الذكور وفي المقابل فقد أهملتها ذاكرة الصغار كما أن النساء لم يعرنها اهتماما في رواياتهن، وقد صرح بعض صغار السن في هذا الشأن بأن إهمال هذه الذاكرة كان عن قصد لأن ما تضمنته لا يتوافق مع طريقتهم في التفكير التي تجاوزت حدود القرية والقبيلة لتصل عند حدود الوطن وتتعداه أحيانا. وفي هذا السياق تحتفظ ذاكرة بعض كبار السن من القرية بقصيدة شعبية وكانت عبارة عن رسالة تهديد بعث بها

زعيم القيسية العليا وهو من آل عمرو إلى زعيم القيسية التحتا وهو من آل العزة، ويروي الحاج محمـود غنايم الحموز (82 سنة) جزءاً من هذه القصيدة قائلاً:

يا راكبٍ على حمرة لا رظعت جيرانها بدواويري[5]
تلفي على بيت جبرين مشايخ كبارها
تلقى بكارج البن عالنار ومبهرين دلالهم بالتباهير
قلهم دشروكو من الحرب واتبعوا التجارة
إحنا بني قيس إحنا مشاهير إحنا على كل القبايل كبارها
لا يعجبك لا رعنا[6] ***ولا الدير***[7] ***والعراق***[8] ***حطها في حلقة العين***
وربع العجان في بيت محسير[9] ***وأطلق عليكم وآخذ واد الصرارة***
واطلع الحق من جوّ البيارة.

وكما أسلفنا فإن غالبية المقابلات لم تشر إلى الذاكرة المتعلقة بالصراعات القبلية التي سادت المنطقة في مرحلة تاريخية معينة وإن كل ما ورد بخصوص هذه المسألة لم يتعد سوى بعض الإشارات القليلـة التـي وردت في روايات عدد قليل من كبار السن الذكور أما النساء من الفئة العمرية نفسها فلم يشرن إطلاقا إلى هذه المسألة وكل ما تحدثن به في هذا الشأن لم يختلف كثيرا عمّا ترويه الحاجـة حِسِـن أحمد العزة (77 سنة):

بقى قريب منا دير نخاس وزيتا والقبيبة والدوايمة والدير والفالوجة بس بعيدة شوية الفالوجة وبقوا يجووا على بلـدنا ويحترمونـا ونحترمهم ومفش مكاتل بينا وبينهم وكل من هو عارف أرضه، إحنا أرضنا اطوبت في الشام.....

ولا يبدو هناك أي اختلاف جوهري بين ما يرويه الجيل الأول وما يرويه الجيل الثاني في هذا الشأن مع عدم إغفال بعض الاستثناءات البسيطة المشار إليها سابقا والمتعلقة بالتحالفات القبلية التي أشـار إليهـا عدد محدود من كبار السن، فمثلا يروي السيد عبد الله عبد الرحمن غطاشة (63 سنة) وهو مـن الجيـل الثاني قائلاً:

"بالنسبة للقرى المحيطة ببيت جبرين في عندك عجور وفي عندك ذكرين ودير الذبان والقبيبة والدوايمة كانت قبلـة لشـرق وعـراق المنشية حدود الأرض تبعتها على حدود أرضنا العلاقة معهم كانت ممتازة جدا ما فش خلافات نهائيا ما في أبدا كل من هو في أرضـه، وإحنا بيت جبرين أرضنا فيها طابو".

---

5 - سكان بلدة دورا
6 - من القرى الفلسطينية المدمرة المجاورة لقرية بيت جبرين
7 - من القرى الفلسطينية المدمرة المجاورة لقرية بيت جبرين
8 - من القرى الفلسطينية المدمرة المجاورة لقرية بيت جبرين
9 - قرية فلسطينية مدمرة تقع بالقرب من قرية بيت جبرين.

ولا يكاد يختلف هذا الأمر أيضا لدى الأحفاد، ويبدو ذلك واضحا من خلال رواية الآنسة وفاء أحمد العزة (18 سنة):

كانت علاقاتهم في بعض كثير كويسة ومتينة سواء بين عائلات البلد أو بين بلدنا والقرى الثانية، فش اشي يتقاتلوا عليه كل ارض معروفة لمين والغنمات كل واحد بعرف غنماته، وكانوا يحترموا الغريب اللي من بلد ثانية ويعتبروه وكأنه من أهل الدار.

وأما فيما يتعلق بأثر المتغيرات الأخرى (الجنس، مستوى التعليم، مكان السكن)، فقد أظهرت غالبية المقابلات بأنه لا توجد أي فروق بين اللاجئين تعزى إلى هذه المتغيرات، والاقتباسات السابقة بالإضافة إلى ما أفادت به الروايات الأخرى بهذا الخصوص تؤكد جميعها على ذلك.

وأخيرا بقي أن نشير في هذا السياق إلى نقطة مهمة وهي أن حديث اللاجئين عن علاقة القرية بالقرى المجاورة لم يكن محط اهتمام من قبل الذاكرة الجماعية، وإنما كان التركيز ينصب في أغلب الأحيان على العلاقات في داخل القرية والحديث عن العلاقة مع القرى المجاورة كان عابرا وغالبا ما يأتي في سياق الحديث عن العلاقات الداخلية وقلما كان يأتي في سياق منفصل.

3: 3: 4. وجهاء القرية ومخاتيرها في ذاكرة الأجيال:

يعود تاريخ المخترة إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما أصدرت الدولة العثمانية مرسوما قسمت بموجبه الدولة إلى ولايات ومتصرفيات وأقضية ونواحٍ، حيث كانت تضم كل ناحية مجموعة من القرى وعلى رأس كل قرية مختار يتم اعتماده من الدولة بعد انتخابه من قبل حمائل القرية وعائلاتها، وقد أوكلت لهذا المختار عدة مهام منها ما كان معلنا كالإخبار عن المواليد والوفيات ومنها لم يكن معلنا كالإخبار عن الفارين من الخدمة العسكرية في عهد الدولة العثمانية وعن الثوار والمطاردين في عهد الانتداب البريطاني، ومن كان يرفض القيام بهذه المهام غير المعلنة وإذا لم يقم بها على نحوٍ مرضٍ تجاه السلطات كان نصيبه العزل والاستبدال.

وهناك بعض القرى التي اعتمدت فيها السلطات الرسمية أكثر من مختار واحد بسبب التنافس بين العائلات القوية فيها، وتعد قرية بيت جبرين من بين هذه القرى، فكان هناك مختار يمثل حمائل العزة

والغبارية والدعاجنة ومختار آخر يمثل حامولة الشوابكة وحدها باعتبارها الحامولة الأكبر في القرية، وفي عهد الانتداب البريطاني ألغت السلطات البريطانية اعتمادها لمختار الشوابكة بعد أن اختلفوا فيما بينهم على الشخص الذي سيتولى المنصب ومنذ ذلك الحين ظل مختاراً واحداً يمثل جميع حمائل القرية وعائلاتها لدى السلطات حتى عام 1948 وغالبا ما كان هذا المختار من حامولة العزة.

وعلى الرغم من أن المختار هو الشخص الذي يمتلك بعض الصلاحيات القانونية في القرية التي منحته إياها السلطات الرسمية إلا أن هناك بعض الأشخاص الذين استطاعوا بنفوذهم أن يتجاوزوا المختار الأمر الذي مكنهم من الحصول على مكانة أعلى من المختار، وهذه المكانة إما كانت بين حمائل القرية وإما عند السلطات أو لدى الطرفين. وهو ما كان يطلق عليه وجيه القرية أو الحامولة وفي حال كان نفوذه يتعدى حامولته ليطال الحمائل جميعاً في القرية وكانوا يطلقون عليه اسم "شيخ البلد" أو "كبير البلد".

ومن المخاتير والوجهاء أو الشيوخ الذين طالما كانت تشير إليهم الروايات كان الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف العزة والذي لم يغب اسمه إلا عن عدد قليل من روايات صغار السن، ويعد المختار عطا الله مريزيق هو أول مختار للقرية يمثل الغبارية والدعاجنة والعزة والمختار علي مسلم الحموز يمثل الشوابكة وبعد أن آل الأمر إلى مختار واحد لكل عائلات القرية اعتمد في حينه المختار يونس عبد الفتاح العزة والذي لم يحظ برضا البريطانيين وتم عزله ثم جاء من بعده المختار طلب سمور العزة واستمر في المخترة حتى عام 1948.

وبالإضافة إلى المختار وبعض الوجهاء الذين كانوا معروفين على مستوى القرية ككل فقد أشارت المقابلات أيضا إلى أن كل عائلة من عائلات القرية كان لها وجيه أو كبير وهو في الوقت نفسه الناطق الرسمي باسم العائلة أمام العائلات الأخرى وكان يحظى على احترام وتقدير من قبل أفراد العائلة وغالبا ما يكون هذا الشخص كبيرا في السن، وعن مخاتير القرية ووجهائها تروي الحاجة عائشة عبد الرحمن العزة (78 سنة) قائلة:

بقى في البلد يونس عبد الفتاح وعبد الرحمن عبد اللطيف وحسن سمور العزة، اللي بقى مختار أول بقى رحمة عمي يونس عبد الفتاح بعدها أجا عمي حسن سمور العزة هذول اللي على وعيي شفتهم مخاتير، عبد الرحمن عبد اللطيف بقوا يقولولوا بيك يعني على الكل على القظا بحالو، القظا بقى يجي يفك مصالحو عنده، والحمايل الثانية بقى لكل حمولة كبيرها، والله الناس كويسين مع بعظهم.

كما أظهرت غالبية المقابلات مع كبار السن بأن غالبية مخاتير القرية والأشخاص المتنفذين فيها كانوا من حامولة العزة، وقد عزا بعضهم ذلك إلى وجود بعض الأشخاص المتعلمين بين أبناء هذه الحمولة في تلك الفترة وهو الأمر الذي كانت تفتقده حمائل القرية الأخرى، والبعض الآخر عزاه إلى المستوى الاقتصادي الذي كانت تتمتع به هذه الحامولة وخاصة فيما يتعلق بملكية الأرض، وهناك آخرون ارجعوا هذا الأمر إلى رضا السلطات الرسمية عن بعض الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الحامولة، وربما أن تضافر تلك العوامل جميعاً هو السبب الحقيقي في ذلك، وعن أثر التعليم في هذا الموضوع يروي الحاج محمد عبد الرازق عرار (80 سنة) قائلاً:

كان في مختار واحد لبيت جبرين اسمه يونس عبد الفتاح العزة، دار العزة مش من فلسطين هم من مصر وأجوا على زمان تركيا وقبل وكانوا زي ما تقول متعلمين والمتعلم في هظاك الزمان كان الو قيمة فكان المختار منهم والكاتب منهم واللي بلم العشر منهم كان قليل اللي في بيت جبرين متعلمين وكان عبد الرحمن العزة شيخ البلد ويمون على البلد كلها.

وأما الحاج محمد عبد الهادي العزة (83 سنة) فيرى أن ملكية الأرض هي العامل الأهم في ذلك، فروى قائلاً:

بقى للبلد مختار واحد اسمه حسن سمور العزة وبعد ما دخلوا الإنجليز بسنتين ثلاث انتخبوا يونس عبد الفتاح العزة وظل لغاية ما طلعنا، عيلة العزة هم المسيطرين لأنهم هم الملاكين وبتعرف انت انه الناس للملاك بيقوا طايعين.

وقد لوحظ بأن من تمت مقابلتهم من جيل النكبة وينتمون إلى حامولة العزة لم يتطرقوا في حديثهم إلى أي مختار أو وجيه من الحمائل الأخرى وكانت طريقتهم في الحديث عن هذا الموضوع تنم عن نوع من المفاخرة والاعتزاز بآبائهم وأجدادهم في القرية بمعنى أن متغير الانتماء العائلي كان له أثر واضح على روايات كبار السن بهذا الخصوص وما عدا ذلك من متغيرات فلم يلاحظ وجود أي أثر يذكر لها على روايات هذا الجيل.

أما الأبناء فقد اختلفت رواياتهم عن روايات الآباء حول هذه المسألة، حيث أظهرت غالبية المقابلات الخاصة بهذا الجيل عدم معرفتهم وإلمامهم كثيرا بأسماء المخاتير والوجهاء إضافة إلى أن بعضهم كان يخلط في روايته بين المخاتير والوجهاء بعكس كبار السن الذين كانوا يصنفونهم بدقة اكبر، ويبدو هذا

الخلط واضحا في رواية السيدة آمنة عيسى غطاشة (41 سنة) وشأنها في ذلك شأن غالبية الروايات هـذا الجيل، فتقول:

في واحد اسمه حماد غطاشة وهاظا بكون سيدو لزوجي كان مختار عيلتنا، إحنا أصلا شوابكة وجدنا اسمه غطاشة وإحنا الغطاشات فرع من الشوابكة واصلنا من الأردن وفي كمان مختار اسمه عبد الرحمن عبد اللطيف العزة، وبصراحة ما بعرف غيرهم.

ويبدو أن الانتماء العائلي قد انتقل أثره من روايات الآباء إلى روايات الأبناء بالنسبة للاجئـين الـذين ينتمون إلى عائلة العزة، حيث ركزت رواياتهم على المخاتير والوجهاء الذين تعود أصولهم العائليـة إلـى حامولة العزة وهذا ما أظهرته رواية السيد شريف محمد العزة (41 سنة) وغالبية الروايات الأخرى التـي ينتمي أصحابها إلى هذه العائلة، فروى قائلاً: " ***في زعيم في البلد كان اسمه الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف العزة، زعـيم في الكرم وزعيم في الرجولة والشجاعة وفي كل اشي، وكان المختار اللي اقل منو درجة يونس عبد الفتاح العزة وطلب حسـن سـمور العزة*** ".

أما غالبية اللاجئين من العائلات الأخرى، فقد تضمنت رواياتهم أسماء لبعض الوجهاء والمخاتير من عائلاتهم وكذلك من العائلات الأخرى، وباستثناء هذا المتغير[الانتماء العائلي] فإنه لم يلاحظ فـي غالبيـة روايات هذا الجيل أي أثر واضح للمتغيرات الأخرى، فتقاربت إلى حد كبير روايات الذكور مـع الإنـاث وكذلك المتعلمين مع غير المتعلمين.

وكما لاحظنا من خلال الاقتباسات السابقة تراجع معرفة الأبناء بوجهاء القرية ومخاتيرهـا مقابـل مـا يعرفه الآباء، فإن معرفة الأحفاد أيضا تراجعت مقابل ما يعرفه الأبناء بهذا الخصوص وهذا ما أشارت إليه غالبية المقابلات، حيث خلت بعض روايات الأحفاد من أي معرفة في هذا الموضـوع، وهنـاك روايـات أخرى تضمنت بعض المعلومات القليلة، مع ضرورة الإشارة إلى أن هناك بعض الروايات الأخرى ولكنها قليلة جدا كانت تنم عن معرفة جيدة بهذا الشأن، حيث أفاد أصحاب هذه الروايات بأن معرفتهم تعـود فـي الأساس إلى وجود اهتمام خاص لديهم بهذا الموضوع ومواضيع أخرى لها علاقة بقرية بيت جبرين وكانوا جميعاً من الذكور المتعلمين. ولكن بشكل عام يمكن القول بأن معرفة غالبية الأحفاد كانت ضـئيلة إذا مـا قورنت بمعرفة الآباء والأبناء في هذا المضمار، ولم تتعد غالبية هذه الروايات مجرد الإشارة إلى اسـم أو

اسمين لبعض الوجهاء والمخاتير دون معرفة أي منهم من كان مختارا وأي منهم من كان وجيها من وجهاء العائلة أو القرية وهذا ما يبدو واضحا في رواية السيدة عائشة محمود الحموز (33 سنة) والتي تعد نموذجا لغالبية روايات هذا الجيل [الأحفاد]، فتقول: "*من مخاتير وكبار البلد اسمعت عن واحد اسمه خليل عبد الــرحمن الحمــوز وكانوا يحكوا كمان عن واحد اسمه عبد الرحمن عبد اللطيف العزة ويمكن في ناس ثانيين بس انا ما سمعت عنهم*".

ومثلما كان هناك أثر للإنتماء العائلي على روايات الآباء والأبناء من عائلة العزة فقد استمر وجــود هذا الأثر كذلك في روايات الأحفاد الذين ينتمون إلى هذه العائلة، فلم تشر أي من روايــاتهم إلــى أســماء لوجهاء أو مخاتير من العائلات الأخرى وهذا ما يبدو واضحا في رواية الآنسة وفاء أحمد العزة (18 سنة) وحالها في ذلك حال غالبية روايات الأحفاد من هذه العائلة، حيث قالت: "*كنت اسمع انه في شيخ للبلد اسمه عبــد الرحمن عبد اللطيف العزة وفي كمان كبار في البلد من دار العزة بس شو اساميهم ما بعرف*.

وأخيرا، وكما هو الحال بالنسبة للفئات العمرية الأخرى، فقد ظهرت بعض الفروق والإختلافات بــين روايات غالبية الأحفاد الذين ينتمون إلى عائلة العزة وروايات الأحفاد من العائلات الأخرى، وفي المقابل لم تظهر هناك أي فروق أو اختلافات في روايات الأحفاد يمكن أن تعزى إلى متغير الجنس أو متغير مكــان السكن وكذلك الأمر بالنسبة لمتغير مستوى التعليم.هذا فيما يتعلق بالأحفاد، أما والحــديث عــن الأجيــال الثلاثة، فقد أظهرت غالبية روايات اللاجئين وجود أثر لمتغير العمر بالإضافة إلى متغير الانتماء العــائلي على ذاكرة اللاجئين التي تختص بمخاتير القرية ووجهائها وما عدا ذلك من متغيرات لم يكن لها أي أثــر يذكر في هذا المضمار.

3 :3 :5. المناسبات الاجتماعية والدينية والمواسم الشعبية:

إن الحديث عن المناسبات الاجتماعية كذلك المواسم الشعبية التي تأتي في سياق ما يمكــن أن نطلــق عليه "الخطاب الديني الشعبي" يتطلب منا الكثير من البحث والدراسة بسبب كثرة هذه المناسبات والمواســم بالإضافة إلى تعدد الطقوس الاحتفالية والاحيائية لهذه المناسبات والمواسم، ولكن فإن مجال تركيزنــا هنــا سوف ينصب على تلك المناسبات والمواسم التي كانت محط اهتمام من قبل الذاكرة الجماعيــة للاجئــين،

وسيجري تناول هذه المناسبات والمواسم كل منها على حدا مستهلين الحديث بما إختزنته ذاكرة الآباء بهذا الخصوص على اعتبار أنهم شهدوا تلك المناسبات والمواسم بالمعاش ثم ننطلق بعد ذلك إلى الأبناء والأحفاد، وفي الوقت نفسه سوف نقوم برصد أي أثر لبعض المتغيرات الأخرى في هذا الشأن. وقد أشارت روايات اللاجئين إلى مجموعة من المناسبات والمواسم التي تنطوي على بعض المفاصل المهمة للحياة الاجتماعية في القرية قبل نكبتها، فتحدث اللاجئون عن مناسبات الزواج في قريتهم وليالي رمضان والعيد والمآتم والمناسبات الحزينة، وهناك أيضا بعض المناسبات والمواسم الشعبية الأخرى المستقاة من التراث الشعبي كخميس البيض والجمعة الطويلة، وموسم البحر والنبي موسى وغيرها، يضاف إلى ذلك بعض المعتقدات الشعبية وخاصة فيما يتعلق بالمقامات والمزارات وبعض ألاماكن الأثرية الموجودة في القرية، وفي الصفحات التالية سوف نتناول هذه المناسبات والمواسم كلاً منها على حدا، وكما أسلفنا فسوف نستهل الحديث عنها من خلال روايات جيل النكبة ومن ثم الأجيال الأخرى.

3 :3 :5 :1. العرس الجبريني:

لقد احتل العرس وما رافقه من عادات ومراسيم خاصة به مكانا مهما في الذاكرة الجماعية وخاصة لدى الكبار الذين طالما كانوا يؤكدون على أفضلية أعراسهم عن الأعراس التي تقام في الوقت الحاضر، فكأن العرس بالنسبة إليهم عبارة عن احتفالٍ أو مهرجان يشارك فيه غالبية أهالي القرية، وتوضح رواية الحاجة ظريفة عواد الحموز (70 سنة) مشهدية هذا العرس الذي تختزنه ذاكرتها فتقول:

والله في الأعراس بقوا يطبلوا ويزمروا ويظلوا يرقصوا ويدبكوا من الصبح للمغرب يا بني والله من دير نخاس كانوا يجووا يرقصوا ويدبكوا، كل الناس بقوا يشاركوا يقعدوا أربع أيام خمس أيام وهم يرقصوا ويدبكوا أما هالحين من وين، والله بقوا يزفوا العروس والعريس عالشيخ تميم والرايات والدنيا والدين علجمال والخيل، هالحين والله يا بني ما واحد متقرب في واحد الناس بتبعد عن بعظها.

كما أشارت روايات الآباء إلى بعض الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالزواج وكانت سائدة في القرية، فتحدثت هذه الروايات عن ظاهرة زواج البدل، وظاهرة زواج الأقارب وخاصة ابنة العم، كما أشارت إلى بعض حالات الزواج التي كان فيها المهر عبارة عن قطعة أرض كانت تسجل أحيانا باسم الزوجة وأحيانا باسم والدها، وهي بلا شك ظواهر كانت منتشرة في الريف الفلسطيني في تلك الفترة ولا زالت بعض هذه

الظواهر موجودة حتى الآن ولكن حدتها قلت عن ذي قبل، وتشير رواية الحاج عواد مسلم العزة (80 سنة) إلى بعض هذه الظواهر، فروى قائلا:

الزواج كان عندنا بدايل، يعني انا وابن عمي هو اخذ أختي وأنا أخذت أخته والزواج ما كان يكلف كثير يعني 100 دينار للـــي بـــدو يتجوز، وإحنا عندنا يا دار العزة بقوا يسجلوا للوحدة 100 دونم باسمها دون مقابل فيد إلها.

أما بخصوص تكاليف الزواج فقد إختلفت الروايات في هذا الشأن تبعا للمستوى الاقتصادي للشخص في ذلك الوقت، فبعض الروايات أشارت إلى انخفاض تكاليف الزواج مقارنة بالوقت الحاضر وهو ما تحدث به الحاج عواد العزة في الاقتباس السابق، وهناك روايات أخرى تحدثت عن ارتفاع هـــذه التكـــاليف مقارنـــة بالوقت الحاضر، وهو ما أشار إليه الحاج محمود غنايم الحموز (82 سنة) فروى قائلاً:

الجيزة غالية مش زى اليوم كانت غالية جدا وبيش الجيزة؟ أغلبها بالوطاة[10] ،انا إلي أخت في واحد من ثاني حمولة خطبها اتفـــق على مهر 150 دينار أجا رحمة عمي علي قال هذه البنت إحنا أبدى فيها ليش تعطوها للناس الغرب، بيش قالوا عليه بالنص للقرابة حط 24 دونم فيد مكفينش أل 75 دينار، في واد زيتون قالوا هاظا واد الزيتون بكفي ل75 دينار.

وعلى الرغم من تباين بعض الروايات فيما يتعلق بتكاليف الزواج في ذلك الوقت إلا أن هذه الروايات قد أجمعت على نقطة مفادها أن أعراس القرية في الماضي كانت أفضل بكثير من الأعراس التي يقيمهـــا الناس في الوقت الحاضر.

وفيما يتعلق بروايات الأجيال الأخرى [الأبناء والأحفاد]، فقد أظهرت غالبية المقابلات مـــع اللاجئـــين الذين ينتمون إلى الجيل الثاني بأن رواياتهم لا تختلف كثيرا عن روايات الجيـــل الأول بخصـــوص هـــذه المناسبة، حيث تضمنت رواياتهم غالبية المفاصل الخاصة بهذه المناسبة التي وردت في روايـــات الآبـــاء، وهم أيضا أشاروا إلى بعض الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالزواج التي أشار إليها الآباء كـــزواج البـــدل وتسجيل الأرض باسم العروس، أو باسم والدها كمهر وما إلى ذلك من ظواهر أخرى.كما أظهرت غالبيـــة الروايات بأنه لا توجد أي فروق تذكر في هذا السياق بين الآباء والأبناء تعزى إلى متغيرات مستوى التعليم ومكان السكن والجنس، وتمثل رواية السيدة فايزة عبد المجيد الحليقاوي (56 سنة) نموذجا لغالبية روايات اللاجئين من هذا الجيل بخصوص مناسبة الزواج، فتروي قائلة:

---

10 - الوطاة: الأرض

لما كانت تنخطب العروس يروحوا طبعا الجاهة يخطبوها من أبوها مكانتش تشوف العريس يعني كانوا يسمولها اسم أو يقولولها ابن فلان أما هي ما تشوفو ولا هو يشوفها لغاية ليلة الحنا لما يروحوا يودوا الحنا يروحوا أهل العريس ويوخذوا الحاجات اللي كانوا يوخذوها والكسوة كانت في صندوق يحملولها الصندوق ويروحوا ويسموها خشة الدار ويحنوا العروس ويظل العرس يمكن أسبوع أو أكثر من أسبوع والسامر والحداية للرجال.والستات كانن لحالهن يطبلن ويغنن وليلة الحنا كان إلها مراسيم خاصة يقعدن ويجبلن هالحنا ويحنن رجلين العروس وايدين العروس ويحنن خواتها وعماتها وهالزغار كلهم الموجودين حواليها، وأكثر اشي كانت معروفة زيجة البدل يعني الواحد يبدل بأخت الثاني.... ويوم العرس كانوا يذبحوا ذبايح كثير ويعزموا وكانوا يعملوا المفتول أكثر اشي وقليل يعملوا الرز حتى لما كانوا يروحوا على غزة كانوا يبادلوا الفحم بكيس رز، يوم العرس يجيبوا جمل خاصة في زواج البدل ويحملوا العروس ويطلعوها وكان يصير مشاكل مين جملها يعدي قبل الثانية...

هذا بشكل عام أو بالأحرى ما أفادت به غالبية المقابلات ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن جميع الآباء الذين تمت مقابلتهم كان لديهم الكثير مما يقولونه عن هذه المناسبة أما الأبناء فقد لوحظ أن بعضهم كانت معرفته محدودة فيما يتعلق ببعض التفاصيل وأن الصورة ليست واضحة كثيرا في مخيلتهم ولكنهم قلائل بمعنى أنهم لا يمثلون مجمل ما تضمنته غالبية الروايات الأخرى للجيل نفسه، كذلك فقد أظهرت بعض المقابلات – وهي لا تتعدى مقابلتين من أصل عشرين مقابلة تمت مع هذا الجيل – موقفا مغايرا للموقف الذي اتسمت به غالبية الروايات من بعض العادات والتقاليد التي كانت شائعة في معظم حالات الزواج في القرية، وتمثل هذا الموقف بنقد الطريقة التي كانت تتم من خلالها عملية تزويج الفتاة في القرية، وقد عبر السيد حسن إبراهيم الحموز (40 سنة) عن هذا الموقف قائلاً:

المرأة كانت مسكينة كثير، كانت تشتغل في الفلاحة وتشتغل في الغنم وكان الزواج يتم بشكل تعسفي فش أي قرار إلها يعني يحكولها أجا فلان خطبك وبدنا نجوزك الو، بهذه الطريقة يعني مكانش في مشاورة إلها في الموضوع ولأنه كان في فقر كان المهر يكون ارض والأرض مش إلها لأبوها تروح يعني فلاحة بسيطة.

أما بخصوص الأحفاد فقد أظهرت غالبية المقابلات بان مشهدية العرس الجبريني لا تبدو واضحة في مخيلتهم كما كانت واضحة لدى الآباء والأبناء، فغابت من رواياتهم الكثير من التفاصيل المتعلقة بهذه المناسبة، حيث لم يتعد مجمل ما قاله غالبيتهم في هذا الشأن سوى بعض العبارات العامة والبسيطة التي تخلط في بعض الأحيان بين القديم والحديث، ولا تكاد تختلف غالبية الروايات كثير عمّا تحدثت به السيدة عائشة محمود الحموز (33 سنة) التي قالت فيها:

بتصور انه العرس ما بختلف كثير عن هذه الأيام وكانوا يحكوا انه الزلام كانوا يعملوا حفلة والنسوان لحالهم يعملوا حفلة وبالنسبة للاغاني اللي كانوا يغنوها كانت حلوة كثير وكانت حماتي تغنيها للأولاد الصغار وكان إلها معنى.

وفي نهاية المطاف يمكن القول: إن غالبية المقابلات لم تظهر وجود أي فروقات بين اللاجئين في هذا المضمار تعزى لأي متغير باستثناء تلك الفروقات المشار إليها سابقا والتي تعزى لمتغير العمر وبالتحديد بين جيلي الآباء والأبناء من جهة وجيل الأحفاد من جهة أخرى. أما فيما يتعلق بالمتغيرات الأخرى كمستوى التعليم ومكان السكن بالإضافة إلى متغير الجنس فلم تظهر غالبية المقابلات أي تأثير لهذه المتغيرات في هذا المجال.

3 :3 :5 :2. الوفاة وتقديم واجب العزاء:

من أكثر الصور والدلالات التي أفاضت بها ذاكرة الكبار بخصوص المناسبات الحزينة وخاصة في حالات الوفاة هي تلك الصور والدلالات التي كانت تشير إلى قوة التضامن والتعاضد بين أهالي القرية في مثل هذه المناسبات، وكثيرا ما انطوت رواياتهم على مفارقة كبيرة في التضامن الحاصل بين الناس في هذه الأيام وما كان عليه الحال في القرية قبل النكبة، وتبدو هذه المفارقة واضحة في رواية الحاج محمود أحمد أبو ربيع (73 سنة)، فروى قائلاً:

لما بقى زمان يموت واحد في بيت جبرين أو أي بلد أو قرية ثانية كانوا يقلبوا بكارج القهوة حداد عالميت وكانوا يحدوا أربعين يوم لا في واحد يتجوز ولا اشي، أربعين يوم حداد لو انه غريمك لا سمح الله تحد إكراما للميت، الحين يا بني وظعنا اختلف، اطَّلَّع هذول بطبلو وبرقصو وهذول بصيحو.

وكما كان الرجال يعبرون عن حزنهم وتضامنهم مع أهل المتوفى من خلال الذهاب إلى بيت العزاء والإحجام عن شرب القهوة في الدواوين والمضافات وبعض المظاهر الأخرى التي لا تليق بالحدث من وجهة نظرهم، فقد كان للنساء أيضا طريقتهن الخاصة في التعبير عن حزنهن على المتوفى وتضامنهن مع ذويه، وتوضح رواية الحاجة لطفية محمود غطاشة (80 سنة) هذه الطريقة قائلة:

في المياتم لما بقى يموت الزلمة بقن النسوان يلبسن الملق الأحمر في ملق وجلالي في البلاد بقوا يجيبوهن من بيت لحم زمان مكلفات، يوم يموت الشب تجي الوحدة تقول لاااااااااا، تفغر وتقول بالثوب وتقد الثوب وينفلن شعورهن ويروحن يلطمن بقيت أقول معهن ويحْدِنْ كل ثلاثة أربعة يُلْطْمِنْ مع بعض ويلطن على أخدودهن ويصيحن، يا حسرتي... راح عمي عبد ربه وعمي حسن في ثلاث أيام ماتوا الاثنين مع بعضهم أربعين يوم يبقى منصوب الشق ما يقيموا الشق ومن وين ما كان تجيهم الناس.

وفي ذات السياق فقد أشارت غالبية المقابلات مع كبار السن بهذا الخصوص إلى ظاهرة اجتماعية قديمة حديثة في المجتمع الفلسطيني على وجه الخصوص والمجتمع العربي بشكل عام ونعني هنا الريف مع

انخفاض ملحوظ في حدتها وانتشارها عن ذي قبل، وهي ظاهرة زيارة القبور وتوزيع بعـض المـأكولات الشعبية عند القبور وخاصة في أيام الأعياد الدينية، وعن هذه الزيارات تروي الحاجة زينب محمـد أبـو منصور (70 سنة) قائلة:

بقوا الناس ليلة العيد يقلوا زلابية ويسوو مخمرات ويسوو مطبق يخبزن خبز وبس يطلع مـن الطـابون يـدهنوه بزيـت ويطلعـن هالنسوان عالصحرا ويسووين دلات قهوة يوخذن معاهن عالقبور يروحن هالنسوان يزورن القبور والزلام بعد صلاة العيد يطلعـوا هـم كمان عالقبور.

إن ما أفادت به ذاكرة الآباء في هذا الشأن يشير بوضوح إلى بعض الصور التضامنية بين أبناء القرية وعائلاتها وفي الوقت نفسه تبدو هذه الصور مغايرة للواقع المعاش الذي عادة ما ينظرون إليه من خـلال عدسات الذاكرة، فصور الواقع الذي ينبعث من خلال هذه العدسات يشير إلى عالم مفكك وغير متضـامن ويخلو من الإحساس المشترك.

هذا فيما يتعلق بالآباء، فماذا عن الأبناء؟ هل تتطابق هذه الصور التضامنية في ذاكرتهم مع تلك الصور التي كشفت عنها ذاكرة الآباء؟ سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات من خلال ما بدا واضحا في رواياتهم، فلقد أظهرت غالبية المقابلات مع هذا الجيل وجود بعض الاختلافـات الجوهريـة بـين الطـرفين بهـذا الخصوص، فإلى حد كبير خلت معظم روايات الأبناء من التفاصيل المتعلقة بهذه المناسبة والتي أشـارت إليها غالبية روايات الآباء، فهي [روايات الأبناء] أشارت إلى المظهر العام لهذه المناسـبة وخلـت مـن المواقف التي كانت تتجلى فيها الصور التضامنية بين الناس، كالحديث عن حالات بعينها حصلت في القرية أو مواقف خاصة تمس الشخص الراوي، كما خلت غالبية هذه الروايات من الإشادة بالماضي أو التحيز له كما كان ذلك واضحا في رواية الآباء. وهنا تجدر الإشارة إلى أن غالبية روايات الأبناء كانـت متقاربـة كثيرا في هذا الشأن ولم تظهر أي فروق أو اختلافات واضحة بينهم يمكن أن تعزى إلى بعض المتغيـرات المستقلة وخاصة الجنس والتعليم أو مكان السكن. وتشكل رواية السيد خالد عبد الله الشـوابكة (42 سـنة) نموذجا لغالبية الروايات التي تخص هذا الجيل، فروى قائلاً:" *بالنسبة لحالات الوفاة كانت البلد تفزع ويقعدوا أسـبوع، وكانت كل البلد تتضامن مع بعضها، وكان الكل واقف وبآجر، فكان عندهم مآزرة بالنسبة للفرح أو الترح*".

يلاحظ من الاقتباس السابق بأن هذه الرواية قد تضمنت المظهر العام لصورة التضامن الذي كان حاصلاً بين عائلات القرية، ولكنها في الوقت نفسه خلت من الإشارة إلى بعض المواقف المتصلة بأحد الأقارب أو حتى الإشارة إلى جوانب أخرى من التضامن غير تلك التي يعبر عنها من خلال زيارة بيت العزاء، كما أنها لم تنطو على تلك المفارقة بين الماضي والواقع المعاش التي ظهرت بوضوح في روايات الآباء، أيضا فقد خلت من نبرات الحزن التي كانت واضحة كثيرا في روايات الآباء وهذا ما كان يمكن ملاحظته بسهولة خلال عملية تسجيل المقابلات.وقبل الانتقال إلى جيل الأحفاد ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة بهذا الصدد وهي ما لوحظ من تقارب كبير في هذا الخصوص بين روايات الآباء وروايات الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة، وكلما كان يقل عمر الراوي من هذا الجيل [الأبناء] كان هذا التقارب يقل تدريجيا وفي المقابل يزيد الاختلاف، ولكن ما أشرنا إليه من فروقات بين الجيلين يخص غالبية المقابلات.

وأما فيما يتعلق بالأحفاد فقد أظهرت غالبية المقابلات معهم بأن هذا الجيل قد أحدث ما يمكن أن نسميه ثقوبا في الذاكرة الجماعية المتعلقة بما توارثته الأجيال حول بعض مظاهر التضامن الخاصة في هذه المناسبات، وقد طالت هذه الثقوب إلى حد كبير الشكل والمضمون فبدت الصورة مختلفة كثيرا عما كانت عليه في مخيلة الآباء، كما تراجعت بعض الشيء عن تلك الصورة التي رسمها الأبناء في مخيلتهم، وعلى الرغم من الفروقات التي ظهرت بين الآباء والأبناء إلا أن مشهدية هذه المناسبات كانت متقاربة إلى حد ما في مخيلة الطرفين ولكن روايات الأحفاد أظهرت مشهدية مختلفة، حيث لوحظ بأن روايات هذا الجيل قد انطوت على بعض التباينات والتناقضات فيما بينها، فهناك من تحدث عن عدم معرفته أو أن لديه معرفة قليلة بهذا الشأن وهناك من كانت روايته قريبة إلى حد كبير من روايات الأبناء وآخرون اختلطت لديهم الأمور بين ما كان عليه الحال في الماضي وما هو عليه الحال في الحاضر، ولكن بشكل عام يمكن القول: إن غالبية روايات هذا الجيل قد اختزلت الموضوع برمته في بعض الكلمات أو العبارات البسيطة التي خلت إلى حد كبير من بعض الصور والدلالات التي انطوت عليها رواية الآباء ولامستها بعض الشيء

روايات الأبناء، وقد يبدو ذلك واضحا في رواية السيد مخلص عيس العزة (38 سنة) عندما روى قـائلا: " *بالنسبة للاتراح بتشعر يعني إنهم بقوا يختلفوا عنا يعني الموت قليل باقي عندهم وحياتهم البسيطة بتعطيهم وقت فراغ أطول مـش زى أيامنا حاليا أو عيشتنا حاليا عشان هيك بقوا يستمروا في العزا فترة أطول* ".

كما أظهرت غالبية المقابلات مع الأحفاد عدم وجود أي فروقات أو اختلافات بين الذكور والإناث، كما لم تكن هناك فروقات قد تعزى إلى متغير مكان السكن وكذلك الأمر بالنسبة لمتغير مستوى التعليم، فمثلا لا تبدو هناك اختلافات جوهرية بين الرواية السابقة ورواية الآنسة آمال إبراهيم الحموز (19 سنة) التي تقول فيها: " *كان مثلا إذا أصابهم أي حزن أو اشي الكل مع بعض يكونوا مجتمعين، لأنه كل الناس كانوا مع بعض يعنـي أي واحـد عنـده مصيبة الكل يشاركه لأنهم كانوا قليلين وما عندهم أشغال مثل الحين* ". مع العلم بأن صاحبة هذه الرواية هي طالبة جامعية وتسكن في مخيم الفوار بينما صاحب الرواية السابقة أقل تعليما ويسكن في مخيم العزة، بالتالي فـإن مـا أظهرته غالبية المقابلات مع الفئات العمرية كافة يشير بوضوح إلى أثر متغيـر العمـر علـى مـا رواه اللاجئون بخصوص ما اختزنته الذاكرة الجماعية لديهم من صور ومعاني ومعرفـة متعلقـة بالمناسـبات الحزينة كما كان عليه الحال في القرية.وأما باقي المتغيرات ولدى مختلف الفئات العمرية فلم يكن لهـا أي اثر واضح بهذا الخصوص.

3: 3: 5: 3. ليالي رمضان والعيد:

لقد أظهرت غالبية المقابلات مع الآباء بأن ذاكرتهم قد احتضنت الكثير من الصور والدلالات والمعاني الخاصة بهذه المناسبات، فهم يتذكرون جيدا الإفطارات الجماعية التي كانت تتم في الدواوين أو الحـارات كما يسمونها، ويتذكرون أيضا بعض العبارات التي كان ينادي بها المسحراتي على الناس لإفـاقتهم علـى السحور، وذلك المشهد الخاص بصباح يوم العيد عندما كانوا يتجمعون الناس في مقبـرة القريـة لقـراءة الفاتحة على موتاهم وتوزيع بعض المأكولات والحلويات الشعبية عن أرواحهم – كما أشارت إلـى ذلـك الروايات–. وتبدو هذه الصور والمشاهد التي تغص بها ذاكرة الآباء واضحة في رواية الحاجـة عريفـة الحليقاوي(70 سنة)، فتروي قائلة:

في رمضان بقوا يصلوا في الجامع ويطلع المؤذن ويطلعن الطبول في الجامع ألعمري في البلد وبعدين في العشرة الاخارة في رمضان يقوموا في الليل يوحشو الختيارية يوحشوا يقولوا: "أوحش الله منك يا رمضان" يعني يسوولو ذكر انه بدو يفارق رمضان ويوكبروا، بقالو قيمة رمضان بيقوا هالاولاد بهالطبول في الشوارع ويطبلوا وبقوا الرجال يوخذوا خروج ويروحوا يفطروا في الحارات من هالموجود في الدار يسووه ويجتمعوا في هالحارات والساحات يوكلو ويشربو مع بعضهم البعض بقت الناس مترابطة أكثر من هالحين.وفي الأعياد اللي مُقدر يذبح واللي مش مُقدر يشتركو كل اثنين في ذبيحة يعني كل واحد وجهده وماديته ويروحوا على بعضهم البعض الناس تسلم يتفقدوا رحمهم ويروحوا يزوروا أمواتهم على القبور ويسووا زلابية ومقلى ومطبق ويحملوا تمر وكعك.

كما أشارت هذه المقابلات بأن هذه المشاهد الرمضانية وتلك المتعلقة بالعيد قد اختلفت بعض الشيء لدى الإناث عمّا هي عليه لدى الذكور من جيل الآباء، فتمحورت غالبية روايات الرجال في هذا المضمار على المشهد الذي يظهر فيه الناس وبالتحديد الذكور وهم مجتمعون لتناول وجبة الإفطار في الحارة أو الساحة المخصصة للمناسبات وقلما كانت هناك إشارات تتعلق بالنساء والأعمال التي كن يقمن بها ليلة العيد كصناعة الحلوى والمعجنات الخاصة بالعيد مثلا، بينما جمعت روايات النساء المشهد الخاص بهن وكذلك المشهد الخاص بالرجال، ويبدو هذا الفرق بين روايات الرجال والنساء واضح لدى مقارنة رواية الحاجة عريفة السالفة مع رواية الحاج محمد عبد الهادي العزة(83 سنة) التي قال فيها:

في رمضان بقوا يصومو وبقوا يقعدوا في الحارات وفي الساحات، بقى لكل عيلة حارة أو ساحة وبقوا يخرجو، يعني كل واحد يوخذ طبيخاته وخبزاته وكل خمسة ستة يقعدو سوى، الحين مفش من هالحكي.وفي الأعياد بقينا نتفقد هالولايا ونروح نعيد عليهن.

ويبدو أن ذاكرة الأبناء استطاعت أن تلتقط تلك الصور الرمضانية المحفوظة في ذاكرة الآباء، فقد أظهرت غالبية المقابلات مع جيل الأبناء تقارباً كبيراً بين ما تختزنه ذاكرة الآباء وذاكرة الأبناء في هذا الشأن، مع الإشارة إلى أن بعض الأبناء لم تكن الصورة واضحة عندهم كما هي عند الآباء، ولكن غالبية رواياتهم كانت متقاربة إلى حد كبير مع الآباء، كما لوحظ بأنهم [الأبناء] استطاعوا الجمع إلى حد كبير في رواياتهم بين ذاكرة أجدادهم وذاكرة جداتهم، بمعنى أن الفروق التي ظهرت بين النساء والرجال عند الآباء قد تقلصت لدى الأبناء إلى حد جعلها متقاربة مع بعضها، وتعد رواية السيدة فايزة عبد المجيد الحليقاوي (56 سنة) نموذجا لغالبية الروايات التي تم تسجيلها من جيل الابناء في هذا الخصوص، وتقول فيها:

في رمضان كاينين يطبخو طبخة ويعملو الخرجة أو الخروج يعني كل واحد يوخذ شو بقدر من عنده ويروحوا عند الجامع أو عيلة عند عيلة الزلام خاصة يجلسوا ويتناولوا الفطور والقهوة السادة.وفي الأعياد يعملن النسوان زلابية ومخمارات ومطبق ويوزعوا منو على القبور صبحية العيد.

ولا يختلف الأحفاد عن آبائهم وأجدادهم في تصوراتهم وتخيلاتهم التي تمنح الماضي شكلا ومضـمونا أفضل من حاضرهم المعاش فيما يخص هذه المناسبات، فغالبية الروايات لدى مختلـف الفئـات العمريـة تنطوي على بعض الصور والدلالات التي تمجد الماضي وفي الوقت نفسه تنتقد الحاضر، ولكن ما دلـت عليه غالبية المقابلات مع الأحفاد هو عدم إلمامهم ببعض التفاصيل المتعلقة ببعض العادات والطقوس التي كان يمارسها أهالي القرية في مثل هذه المناسبات، فبعضهم كانت تقوده تخيلاته عن الماضي للقول بأن أيام رمضان والأعياد في القرية كانت أفضل بكثير عمّا في هذه الأيام دون وجود معرفة لديـه حـول بعـض التفاصيل التي وردت في روايات الآباء والأبناء، وكان بعضهم يُطلق تخيلاته من معرفته البسيطة وخاصة تلك المعرفة المتعلقة بالافطارات الجماعية في الساحات والحارات، وبعضهم انطلقت تخيلاتـه مـن عـدم رضاه عن الواقع الذي يعيشه والطريقة التي يحيي فيها الناس هذه المناسبات في الحاضر. وبالتالي يمكـن القول: إن هناك بعض الاختلافات والفروقات التي ميزت روايات الأحفاد عن الروايات الأخـرى، وفـي الوقت نفسه لم تظهر هناك أي فروق واضحة بين الأحفاد يمكن إرجاعها إلـى متغيـرات مكـان السـكن ومستوى التعليم والجنس أو أية متغيرات أخرى.وتمثل رواية السيد إسلام محمد الشوابكة(23 سنة) نموذجا لغالبية روايات الأحفاد المتعلقة بهذه المناسبات، فيقول: " ***في رمضان والأعياد كانوا يروحوا على بعض ويعزموا بعـض ويفطروا مع بعض يعني بتصور انه كان الوضع أفضل من الوقت الحالي بمية مرة*** ".

إذا فقد كان متغير العمر هو اللاعب الأساسي في هذا الموضوع من بين المتغيرات الأخرى وخاصـة لدى جيل الأحفاد، أما بشكل عام فإن باقي المتغيرات لم يكن لها تأثير ملموس على روايات اللاجئين سواء على مستوى الجيل نفسه أو بين الأجيال الثلاثة باستثناء ذلك الأثر الذي ظهر لدى جيل الآباء بين الـذكور والإناث وكنا قد أشرنا إليه.

وأخيرا، فقد أظهرت بعض المقابلات وجود أثر لمتغير آخر لم نكن قد أشرنا إليه سابقا، ويتلخص ذلك في أن الأحفاد الذين يعيشون في المحيط الذي يعيش فيه الجد والجدة أو أحدهما– وهـم قليلـون – كانـت رواياتهم متميزة إلى حد ما وهي أقرب من غيرها إلى روايات الآباء والأبناء، ولدى سؤالهم عن مصـدر معرفتهم تبين بأنهم يتلقونها مباشرة من خلال الجد أو الجدة وهو أمر غير متاح لغالبية الأحفـاد، بالتـالي

يمكن القول: إن المصدر الذي يستقي منه اللاجئ وخاصة الأحفاد الذاكرة الجماعية قد يؤثر على معرفتهم الكمية والنوعية في هذا الشأن.

3 :3 :5 :4. المواسم والمناسبات الشعبية الأخرى:

يشير مخزون الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين إلى العديد من المناسبات والمواسم التي دأب أهل القرية على إحيائها والاحتفال بها، وحالها في ذلك لا يختلف عن باقي القرى والبلدات الفلسطينية الأخرى في ذلك الوقت أي ما قبل النكبة، ومن المعروف أن موسم النبي موسى والنبي روبين والنبي صالح بالإضافة إلى موسم البحر قد احتلت مكانا هاما في الذاكرة الجماعية الفلسطينية، أما أهالي بيت جبرين وكما أظهرت غالبية المقابلات فإن مشاركاتهم في هذه المواسم كانت مقتصرة أكثر من غيرها على موسم البحر وموسم النبي موسى مع تركيز اكبر على موسم البحر وقلما أشارت هذه المقابلات إلى مشاركتهم في موسم النبي روبين أو موسم النبي صالح، وتوضح رواية الحاج محمد سلامة دعدرة (79 سنة) تلك المواسم التي كان يشارك فيها أهالي القرية، فيروي قائلاً:

المواسم بقت تصير على البحر أيوا عالبحر عالجورة تحت غربة في الجورة والمجدل بقت تصير المواسم هناك يصير اللعب بالخيل وتصير المراجيح والدبكة والهيجان والناس تتغسل وتبحِّر الغنم يعني يغسلوها في البحر، ونبات يومين ثلاث هناك هذا على زمان البلاد بقت الخيل تبقى أطارد على الرمل غير تقول صخر أيطاردن والدبكة والزغاريد والزمارة والمراجيح ونروح نشتري الحلاوة اللوزية هاي يحطونا إياها في الطباخ لما نروح نكسرها للفطور، حلاوة لوزية بجنن هذا اللي بقى يصير بقوا يسووا دبكة عادة كن قال:

رحتي على الموسم ولا اعلمتينا   لو انا زبونك كان آخذتينا

آه والدبكة شايف تبقى تلعب، هذي المواسم إلها شهور معينة بشهر الخميس يروحوا على النبي موسى هان في أريحا بقينا نغني ونقول يا نبي موسى اللهم صلي على محمد، يعني غناوي.

ومن المناسبات الأخرى التي أشارت إليها الروايات في هذا المضمار كان ما يعرف بخميس الأموات أو خميس البيض والجمعة الطويلة وهي مستمدة من التراث الديني المسيحي، وتشير الطقوس والعادات التي كان أهالي القرية يحيون من خلالها هذه المناسبات إلى نوع من التكافل الاجتماعي الذي كان قائما في القرية بين الناس وأكثر ما كان يتجلى ذلك في يوم الجمعة الطويلة الذي كان يخصص فيه كل ما يتم جمعه من حليب الأغنام والأبقار للفقراء والمحتاجين، وهو ما أشارت إليه رواية الحاجة خديجة خليل العزة(76 سنة)، بقولها:

بقوا يسوو موالد ويعشو إلي موجودين، عالنبي موسى قليل إلي بقى يروح بقن السيارات قلال في الوقت هظاك، بقوا يسوو الجمعة الطويلة وخميس الأموات ويسوو كل اشي كل سنة والي عنده غنم يصير يفرق الحليبات في الجمعة الطويلة عالفقرا وعلى اللي معندهمش غنم وحلال، وفي خميس الأموات والله يوزعو زلابية ومقلى عالقبور ويسلقو بيض ويلونوه ويوزعوه عالاولاد.

ولقد أظهرت غالبية المقابلات مع الجيلين الأول والثاني وجود فروق واضحة بين الطرفين فيما يتعلق بذاكرة المواسم والمناسبات الشعبية، فغالبية الآباء هذا إن لم يكن جميعهم كانت لديهم معرفة جيدة بهذه المواسم والمناسبات وبالطقوس الاحتفالية الخاصة بها والأيام التي كانت تخصص لهذه المناسبات خلال السنة، أما الأبناء وباستثناء عدد قليل منهم وبالتحديد من كانت أعمارهم تزيد عن الستين سنة أما غالبيتهم فلم تكن هذه المواسم والمناسبات معروفة جيدا لديهم، وغالبا ما اقتصرت معرفتهم على بعض أسماء تلك المواسم وبعض المعلومات القليلة بدون معرفة التفاصيل المتعلقة بها كالطقوس الاحتفالية الخاصة بها ومواعيد إحيائها.وتعد رواية السيد خالد عبد الله الشوابكة (42 سنة) نموذجا لغالبية روايات الجيل الثاني فيما يتعلق بتلك المناسبات والمواسم،ويقول فيها:

كانوا يعملوا خميس بسموه خميس البيض، وهذا الكل كان يعملو وكان مخصص للبيض وكان عبارة عن يوم في السنة وهو كان تقريبا الوحيد اللي كانوا يعملوه هو خميس البيض، وفي وقت جد الزيتون يعني بعد ما يجدوه ويدرسوه كانوا يعملو أكل وينبسطو واللي محتاج يبعثولو فأي إنسان يكون بحاجة يعطوه أو يجي يوخذ.

يلاحظ بأن رواية السيد خالد الشوابكة قد خلت من أشياء كثيرة متعلقة بهذه المناسبات وقد وردت في روايات الآباء، فهو لم يشر إلا لواحدة من هذه المناسبات دون أن يوضح بعض التفاصيل المتعلقة بها، بالتالي يمكن القول بان هناك فروق واضحة بين الآباء والأبناء بخصوص هذه المناسبات والمواسم. وأما جيل الأحفاد فهم أيضا لم يكن لديهم تصور ومعرفة واضحة عن هذه المناسبات والمواسم، وربما جيل الأبناء كان لديه معرفة وخاصة من تجاوز الستين سنة من عمره، أما الأحفاد فقد خلت غالبية رواياتهم من أي تصور أو معرفة واضحة بهذا الخصوص باستثناء القليل منهم، فمنهم من أشار إلى بعض الأسماء الخاصة بتلك المواسم والمناسبات مع بعض الإضافات التي غالبا ما تكون بعيدة عن حقيقة هذه المناسبة كما أظهرتها روايات الآباء، ويبدو ذلك واضحا في رواية السيدة عايدة محمد الحموز (34 سنة):

بقوا يقولوا إنهم كانوا يروحوا على مقام سيدنا موسى بعرفش بالزبط يعني كانوا يزوروه، يعني كل واحد عنده ظرف معين أو حالة مثلا مرض ويتمنى من الله انه يشفيه فبتوقع انه كان يروح على أساس يساعده في هاظا الاشي.

وبناء على ما تقدم يمكن القول: إن الفروق والاختلافات التي ظهرت بين الآباء والأبناء في هذا الشأن قد تعززت وتعمقت أكثر لدى الأحفاد، هذا فيما يخص متغير العمر، وأما المتغيرات الأخـرى[المسـتوى التعليمي، ومكان السكن والجنس] فقد أظهرت غالبية المقابلات مع الأجيال الثلاثة عدم وجـود فـروق أو اختلافات بين اللاجئين يمكن أن تعزى لأي من هذه المتغيرات سواء داخل الفئة العمرية نفسـها أو علـى مستوى الفئات جميعاً. وأخيرا تجدر الإشارة إلى نقطة واحدة بهذا الشأن وهي أن الفروق الحقيقية بين الآباء والأبناء بدأت تظهر في روايات الأبناء الذين قلت أعمارهم عن الستين سنة، وأما من كانت أعمارهم فوق الستين سنة فقد تقاربت رواياتهم مع روايات الآباء فيما يتعلق بهذه المواسم والمناسبات.

3 :3 :6. مقامات الأولياء وبعض المواقع الأثرية الهامة في القرية:

للوهلة الأولى يبدو الحديث عن هذه المقامات والمواقع هو حديث له علاقة أكثر بذاكرة المكان، ولكـن حقيقة الأمر هنا تشير إلى ارتباط ذاكرة المكان بذاكرة الحياة الاجتماعية لما شكلته هذه ألاماكن مـن أثـر واضح على حياة الناس وخاصة فيما يتعلق ببعض المعتقدات الشعبية التي كانت سائدة بينهم.بالتـالي فقـد مزجت الذاكرة الجماعية هنا بين التاريخ والجغرافيا وبعض جوانب الحياة الاجتماعية والدينية، فعندما كان اللاجئ يذكر أحد المقامات في البداية يعمل على تحديد مكانه على الخارطة الهيكلية للقرية التي ترتسم في مخيلته ثم يتحدث بعض الشيء عن الفترة التاريخية التي أقيم فيها، وبعد ذلك كان يكمل حديثه عن أهميـة هذا المقام ومكانته الخاصة عند الناس والقرابين التي كانت تقدم له من قبلهم. ولكل من هـؤلاء الأوليـاء قصته الخاصة به في ذاكرة أهالي القرية.

وقد دلت غالبية المقابلات على وجود عدد كبير من المقامات التي – حسب اعتقاد البعض منهم وخاصة كبار السن– تخص أولياء الله الصالحين، أيضا فقد أشارت هذه المقابلات إلى عدد كبير من المواقع الأثرية القديمة التي تحتضنها ذاكرة القرويين كما احتضنتها أرضهم من قبل. كما وتشير هذه الآثار إلـى تعاقـب الكثير من الأمم والحضارات على المنطقة، فضم الموقع آثاراً كنعانيـة ويونانيـة ورومانيـة وبيزنطيـة

بالإضافة إلى الآثار العربية الإسلامية، وعن هذه المقامات والآثار يروي الحاج أحمد خليل النجار (73 سنة) قائلاً:

بيت جبرين هي اكبر منطقة أثرية في المنطقة هذيك فيها تل صندا حنة، هاظا تل صندا حنة فيه تحت الأرض مغر، في أسواق في انتيكا، في انتيكا في البلد فيها جميع الحيوانات إلي على وجه الأرض مرسومة بالقال هاظا الحجر المربع هذي الانتيكا، بعدين أثارات لا تعد ولا تحصى فيها، هذي الانتيكا بتيجي قبلي شقة الدوايمة والسوق هاظا ببجي عند تل اسمه تل صندا حنة هذي كل المنطقة هذيك منطقة سياحية كلياتها، تحت الأرض أسواق الدكاكين من زمان بيار الزيت تحت الأرض، بتستغرب إحنا بقينا نشوف اشي لكن بعد ما استحلونا اليهود وفتحوا الطريق هذيك شفنا أشياء ما كنا نشوفهن، أنا عارف بيت جبرين بالسنتِ وحتى مطرح ما بقيت العب بالقلال عارفها.وفي يا سيدي عندنا الشيخ تميم والشيخ براق والحاج سالم والشيخ إبراهيم والشيخ محمود والنبي جبرين هذول أضرحة ومقامات، هذول يا سيدي بقى إلي يوجعنه عنيه يقولولوا روح عالشيخ تميم ولا عالشيخ.. وعبي السراج زيت ويروح يجيب شوية زيت في هالسراج ويولع ويطيب الولد، انا والله رحت بدل المرة مرتين وثلاثة.

وفي سياق الحديث عن الآثار الموجودة في بيت جبرين تجدر الإشارة هنا إلى أن الإسرائيليين قد حولوا موقع القرية القديم إلى مركز سياحي يجتذب الكثير من السياح من مختلف دول العالم نظرا لكثرة المعالم الأثرية الموجودة هناك، وقد أشار بعض اللاجئين في رواياتهم إلى أنهم زاروا الموقع.

أما بالنسبة للمقامات والأضرحة فقد أشارت غالبية روايات الآباء إلى بعض المعتقدات الشعبية المتصلة بهذه المقامات، فكانت هناك معتقدات تشير إلى قدرة الأولياء التي سميت هذه المقامات بأسمائهم على شفاء المرضى، وهو ما أشارت إليه رواية الحاجة زينب عبد الرحمن غطاشة (80 سنة) التي قالت فيها:

في واحد بقولولوا النبي جبرين، في الشيخ برّاق، في الشيخ محمود، في الشيخ تميم، الحاج سالم، العجايز قال الوحدة يوم ابنها ينطرح كن قالت أودي لسيدي الشيخ محمود انا طنيبة عليك، يوخذن زيت ويحطن في الاسرجة ويظوين المقام ويروحن هاظا كنت أخْبَرُه، الشيخ تميم كانوا يروحوا يذبحوا هناك عنده يذبحوا هناك ويطبخوا ويوكلوا ويروحوا.

وهناك معتقدات أخرى كانت تحذر من التعرض لهؤلاء الأولياء بسوء والعبث بمقاماتهم أو الوقف المخصص لها، وعن هذه المعتقدات يروي الحاج عواد أحمد العزة (80 سنة) قائلاً:

بيت جبرين فيها النبي جبرين مقامه لا يزال موجود والشيخ تميم والشيخ إبراهيم وكثير مقامات، بقوا الناس يطلعوا في المناسبات ومعهم عدة وبقينا شباب زغار نطلع معاهم كانوا يطلعوا من النبي تميم على الشيخ محمود وفي الشيخ براق قال في هناك بُطمة اللي بيقطف منها بيقطمو الولي بقيت أروح وبقينا نقطع منها وما نخاف ولا يقطم ولا يسوّي حاجة.

ولقد أظهرت غالبية المقابلات مع الآباء عدم وجود إختلافات جوهرية بين روايات الرجال وروايات النساء في هذا الخصوص، فغالبية من تمت مقابلتهم من هذا الجيل نساءً ورجالاً كانوا يعرفون ألاماكن

الأثرية البارزة في القرية بالإضافة إلى معرفتهم بالمقامات وأماكن تواجدها والمعتقدات الشعبية لدى الناس عن تلك المقامات.

وأما الأبناء فقد تباينت واختلفت رواياتهم حول هذا الموضوع، فمنهم من كانت لديه معرفة جيدة بآثار القرية والمقامات الموجودة فيها ومنهم من كانت معرفته بسيطة لا تتجاوز ذكر بعض أسماء هذه الآثار والمقامات دون معرفة بالتفاصيل المتعلقة بها، وما أظهرته غالبية المقابلات في هذا الصدد هو أن المتعلمين بالإضافة إلى من تجاوزت أعمارهم الستين سنة كان لديهم إلمام أكثر بهذه القضايا من غير المتعلمين، فمثلا تشير رواية السيد محمد محمود العزة (65 سنة) إلى معرفة دقيقة بآثار القرية ومقاماتها، فيروي قائلاً:

صلاح الدين الأيوبي أقام مقام تميم الداري في بيت جبرين وتميم الداري صحابي جليل وهو أول من اسلم من بلاد الشام، يعني بصمات صلاح الدين الأيوبي كانت في بيت جبرين، وهناك مقام الشيخ جبرين النبهاني وكان رجل صوفي لم يأخذ شيئا من احد وله مقام في بيت جبرين ويكنون له الناس كل احترام ويبدو أن الرجل كان تقيا حتى أن الشاعر قال فيه يوم وفاته:

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء من بينها البدر

إضافة إلى مقام الشيخ جبرين في مقام آخر كما اذكره وكان قريب من بيتنا اسمه مقام الشيخ محمود المهدي وأقاربه موجودين وكان شيخ جليل وله مقام، بيت جبرين كلها آثار قديمة وحضارات قديمة متراكمة على بعضها البعض، هناك كنائس موجودة وهنالك ما يسمى اخرب أي بمعنى قرى مندثرة كانت في التاريخ وعثروا على آثار كثيرة في بيت جبرين أعمدة وفسيفساء وهي مشهورة بكهوفها فهنالك عشرات الكهوف والأسواق تحت الأرض لأنه كان فيها حضارات متعاقبة وهناك سور كان يحيط ببيت جبرين ولكنه هدم ولم يبق منه إلا بوابة والذي هدمه صلاح الدين الأيوبي حتى لا يتحصن فيها الأعداء.

لكن وعلى الرغم من وجود بعض الروايات التي تشير بوضوح إلى هذا الموضوع إلا أن غالبية روايات الأبناء بهذا الخصوص لا تنم عن معرفة جيدة بالمواقع الأثرية والمقامات الدينية الموجودة في القرية وهذا يدفعنا إلى القول: إن متغير العمر كان له تأثير واضح في هذا الشأن ليس فقط بين الآباء والأبناء وإنما أيضا بين الأبناء أنفسهم، فروايات من هم في الستينات قد اختلفت عن روايات من هم في الأربعينات والخمسينات من أعمارهم هذا إضافة إلى أثر متغير مستوى التعليم لدى جيل الأبناء، فمثلا هناك فرق واضح بين رواية السيد محمد العزة المقتبسة سالفا ورواية السيدة فايزة خليل غنايم (52 سنة) حيث تعد روايتها نموذجا لغالبية الروايات من هذه الفئة العمرية، وتقول فيها: "***في كان مسجد وفي كمان في ارض دار خالتي كنيسة اسمها الانتيكا بقت في البلاد في ارض دار خالتي كانوا يروحوا عليها، وفي مقام الشيخ جبرين ومقام الشيخ تميم وهاظا هو***".

وأما فيما يخص الأحفاد في هذا الموضوع فقد أظهرت غالبية المقابلات مع هذا الجيل عدم وجـــود أي معرفة لديهم عن الأماكن الأثرية أو المقامات والمزارات الموجودة في القرية باستثناء عدد قليل جدا مـــنهم كانت لديه بعض الاهتمامات الخاصة بهذا الموضوع وماعدا ذلك لم تكن لديهم أي معرفة بهذا الخصـــوص أو أن معرفتهم لم تتجاوز بضع كلمات أشاروا من خلالها إلى أن قريتهم غنية بالآثار التاريخية مـــن دون معرفة الأسماء أو الأماكن التي تقع فيها هذه الآثار وقلما كان هناك ذكر لبعض المقامات من خلال الاســـم فقط، ويمكن إعتبار ما قاله السيد محمود عبد الله الشوابكة (29 سنة) نموذجا لغالبية روايات الأحفاد في هذا المضمار، حيث يقول: " ***في بيت جبرين في مقام تميم الداري وغيره ما بذكر بس أكيد فيها آثار كمان وفي ناس نقبوا عن آثـــار واطلعوا منها*** ".

كما لم تظهر المقابلات وجود أي اختلافات جدية بين اللاجئين الذين ينتمون إلى جيل الأحفاد يمكـــن أن تعزى إلى متغير مكان السكن أو مستوى التعليم بالإضافة إلى متغير الجنس أو أية متغيـــرات أخـــرى. بالتالي فإن المتغير الأساسي الذي كان له تأثير كبير على روايات اللاجئين فيما يتعلق بالآثـــار التاريخيـــة والمقامات الدينية هو متغير العمر بالإضافة إلى متغير مستوى التعليم الذي ظهر أثره بين اللاجئين الـــذين ينتمون إلى الجيل الثاني [الأبناء].

الفصـــــل الرابـــــع

الاقتلاع والتهجير في الذاكرة الجماعية لأهالي قرية بيت جبرين

4 :1. توطئة:

لقد أشارت العديد من الأدبيات التي اختصت بمجال الذاكرة الجماعية الفلسطينية – وقد أشرنا إلى بعض منها في الفصل الأول –، وهو أيضا ما يمكن لأي باحث أن يلاحظه خلال عملية تسجيل روايات اللاجئين الفلسطينيين عن ماضيهم وحاضرهم إلى مركزية النكبة في الذاكرة الجماعية الفلسطينية، فعلى الرغم مـــن تتابع الأحداث الكارثية والمأساوية على الشعب الفلسطيني منذ ذلك الحين وحتى يومنـــا هـــذا، فـــإن هـــذه الأحداث لم تؤثر شيئا على مكانة النكبة في الذاكرة فبقيت هي المحطة الأساسية التي تبوأت مكان الصدارة في الذاكرة الجماعية الفلسطينية بين تلك المحطات التي سبقتها وكذلك المحطات التي تبعتها. ومن يســـتمع إلى روايات اللاجئين لا يجد غرابة في ذلك فالنكبة بالنسبة لهم هي اللحظة التاريخية العنيفة التي انتزعـــت منهم الوطن والحياة الطبيعية التي مارسوها على أرض ذلك الوطن ليصبحوا بعدها لاجئين بلا وطن.

وقبل الخوض في روايات اللاجئين المتعلقة بموضوع هذا الفصل ينبغي الإشارة في البداية إلى قضـــية مهمة، وهي أن هذه الروايات تنطوي على تجارب شخصية لأناس عايشوا الأحداث التي مرت بها قـــريتهم إبان النكبة وآخرين عرفوا عنها أو تخيلوها من خلال روايات الآباء والأجداد لهم، لذا فإن هذه الروايـــات ليس بالضرورة أن تتطابق مع ما دَوَّنه المؤرخون حول هذه الأحداث لأن ما يجري في هذه الروايات هـــو عبارة عن عملية سرد لأحداث تاريخية ولكن كما جرى استيعابها والإحساس بها من قبـــل النـــاس الـــذين عاصروها أو شاركوا فيها أو حتى الذين سمعوا عنها أو تخيلوها كما هو الحال بالنسبة لغالبيـــة اللاجئـــين الذين تمت مقابلتهم.

وهناك ثلاثة محاور أساسية سوف يتم تناولها في هذا الفصل وهي المحاور نفسها التي اشتملت عليهـــا روايات اللاجئين المتعلقة بذاكرة الاقتلاع والتهجير لدى أهالي القرية، وفي الوقت نفسه سوف تكون بدايـــة الحديث عن هذه المحاور بكل ما تضمنته من صور ومشاهدات وقصص ومعلومات مرتبطة بهذه الـــذاكرة

من خلال روايات الآباء أو ما يعرف بجيل النكبة أولا، ومن ثم روايات الأبناء وأخيرا روايــات الأحفــاد وهي الطريقة نفسها التي جرى التعامل فيها مع روايات اللاجئين في الفصل السابق، كما أنه ســوف يــتم تناول المحاور المختلفة في هذا الفصل بالترتيب نفسه الذي ورد في غالبية الروايــات المتعلقــة بــذاكرة الاقتلاع والتهجير، بمعنى أننا سنبدأ الحديث بما استهل به اللاجئون رواياتهم وننتهي عند النقطة التي انتهت إليها هذه الروايات.

وغالبا ما كانت تبدأ هذه الروايات بالحديث عن دور الجيوش العربية والمتطوعين في الدفاع عن القرية وأهم المعارك والمناوشات التي خاضتها تلك الجيوش وتحديدا الجيش المصري بمساندة المتطــوعين مــن أهالي القرية والقرى المجاورة مع القوات الصهيونية في منطقة بيت جبرين ومحيطها. وما إن كان ينهــي اللاجئون حديثهم عن هذا الموضوع كانوا يتحولون مباشرة للحديث عن المرحلة الأخيرة من وجودهم فــي القرية عندما بدؤوا يشعرون بالخطر الحقيقي الذي بات يتهددهم بعد أن كثفت القوات الصهيونية هجماتهــا البرية والجوية على القرية في إطار ما يسمى بعملية يوآف التي بدأتها تلك القوات في بداية شهر تشــرين أول عام 1948 للسيطرة على قرية الفالوجة وبعض القرى الأخرى المحيطة بها بما في ذلك قريــة بيــت جبرين بهدف فصل شمال فلسطين عن جنوبها لتضييق الخناق على الجيش المصري في المنطقة، وفي تلك الأيام – حسب ما يروي اللاجئون – لجأ الأهالي إلى الكهوف المحيطة بالقرية للاحتماء بها من القنابــل أو "الكيازين" – كما يطلقون عليها – التي كانت تلقيها الطائرات على القرية، وحينها بدأت تلوح فــي الأفــق بوادر عملية التهجير الجماعي وخاصة أن غالبية سكان القرى المجاورة كانوا قد هُجّروا من قراهم في ذلك الوقت وبعضهم لجأ إلى بيت جبرين، وينتهي المحور الثاني من الروايات بخروج الجيش المصــري مــن القرية والذي تبعه مباشرة خروج الأهالي في السابع والعشرين من تشرين أول عام1948 وتزامن ذلك مع دخول القوات الصهيونية إليها، وعند هذه النقطة يتحول مسار الروايات لوصف رحلة العذاب القسرية التي أُجبر الأهالي على خوضها لتبدأ فصول المعاناة الطويلة لأهالي القرية منذ اللحظة التي ودعوا فيها قريتهم

على أمل العودة القريبة إليها حتى انتهى بهم المطاف في أحد مخيمات اللجوء بعد أن قضوا برهة من الزمن في عدد من محطات اللجوء المؤقتة التي تخللت رحلتهم الطويلة.

4 :2. دور الجيوش العربية والمتطوعين في الدفاع عن القرية:

تفيد غالبية الآباء الذين عاصروا أحداث النكبة بأن قريتهم بيت جبرين كانت تعيش حالة من الفراغ العسكري في بداية الحرب، فمن مجموع الجيوش العربية التي دخلت فلسطين في الخامس عشر من شهر أيار عام 1948 على إثر إعلان قيام دولة إسرائيل لم يكن نصيب بيت جبرين من هذه الجيوش سوى عدد قليل من الجنود الأردنيين الذين لم يتجاوزوا العشرة جنود، وقد ظل الحال كما هو عليه حتى أواسط شهر تموز من العام نفسه حينما بدأت العصابات الصهيونية تهاجم القرية والقرى المجاورة وعندها شعر أهالي القرية بأن الخطر أصبح قريبا منهم ولا بد لهم من عمل شيء لحماية أنفسهم وقريتهم، وحينها لجأ الشيخ عبد الرحمن العزة وهو أحد وجهاء القرية البارزين في ذلك الوقت إلى مصر لطلب العون فاستجاب المصريون لطلبه وأرسلوا حوالي مئة جندي ومدفعين اثنين وعدد من السيارات العسكرية، وأما الجنود الأردنيون الموجودون في القرية فقد غادروها قبل دخول القوات المصرية وذلك بناء على طلب من الشيخ عبد الرحمن العزة، وعن تناوب القوات الأردنية والمصرية على القرية يروي الحاج موسى عبد القادر الشوابكة (77 سنة) قائلاً:

بقى يا سيدي إحنا عندنا في بيت جبرن أجا كمن جندي أردني شايف بقوا طول نهار حاملين هالبواريد، هو بقى في سلاح يا بنيّ، بقى برودة يقولولها أم إصبع واشي أم زور، هانا اليهود زاد ظربهم عالبلد، راح عبد الرحمن عبد اللطيف على مصر أعطوه سيارة جيب ولقبوه فصيل، لما انو أجا عبد الرحمن العزة من مصر طيّح العلم الأردني وعلق علم مصر روحوا الأردنيين على بلادهم بقوا بطلع خمس ست جنود، لمن طيّح العلم الأردني وعلّق علم مصر صارت اليهود تهاجم بيت جبرين أكثر من الأول، هانا المصريين قعدوا في المركز بطلع حوالي 100 جندي وصاروا يدربوا في هالشباب عالسلاح وهم يطخو من جال واليهود **من جال وآخر اشي تركونا وطلعوا.**

وقد استمر تواجد الجيش المصري في القرية قرابة ثلاثة شهور، فهو دخلها في 14 تموز 1948 وانسحب منها في يوم 27 تشرين أول من العام نفسه ليكون هذا الانسحاب إيذانا برحيل من تبقى من أهالي القرية عنها خوفا من تفرد اليهود بهم بعد أن تركتهم الجيوش العربية يواجهون مصيرهم بأنفسهم، وعلى الرغم من انسحاب الجيش المصري من القرية وعدم إكماله للمهمة التي جاء من أجلها إلا أن روايات

الكبار قد أنصفت هذا الجيش وأشادت بدوره في الدفاع عن القرية وتدريب شبانها على السلاح، ومن خذلهم حسب ما تفيد به الروايات ليست الجيوش العربية وإنما القيادات السياسية العربية في ذلك الوقت. ويبدو ذلك واضحا في رواية الحاجة زينب عبد الرحمن غطاشة (80 سنة) التي تقول فيها:

والله الجيش المصري بقوا مع هالحدود، بقوا يطخطخوا، هذول يطخو وهذول يطخو وهذلاك يرجعوا وهذول يظلو حاطين، يعني قاوموا المصرية والله قاوموا وطولوا في البلد وبقوا يدربوا في هالشباب وهذول الشباب بقوا يحرسوا على أطراف البلد من اليهود بقوا يقولولهم حرس وطني، والله لوما هالحكام ولا هم شو بقوا اليهود في هظاك الوقت.

وبالإضافة إلى دور الجيش المصري في الدفاع عن القرية فقد أشارت الروايات كذلك إلى انخراط عدد من شبان القرية في المقاومة حيث تولى الجيش المصري عملية تدريبهم على السلاح، ولم تتحدث هذه الروايات عن عدد محدد من المتطوعين وإنما أشارت إلى أن هؤلاء المتطوعين كانوا موزعين على حمائل القرية بحيث وفرت كل حامولة ما يقرب من خمسة إلى عشرة شبان مع بنادقهم، وهذا العدد كان يجري تحديده بناء على حجم الحامولة وعدد أبنائها الذكور، وفي الوقت نفسه فقد أشارت هذه الروايات إلى ضعف هذه المقاومة لقلة السلاح والذخيرة معها وهو ما أدى في النهاية إلى احتلال القرية مباشرة بعد انسحاب القوات المصرية منها لعدم قدرة المقاومة المحلية على الصمود وحدها في وجه الدبابات والطائرات التي استخدمتها القوات الصهيونية عندما دخلت القرية، وعن مشاركة أبناء القرية في الدفاع عن قريتهم يروي الحاج سليمان أحمد المهدي (75 سنة) قائلاً:

والله ما طلعنا بخاطرنا يا بنيِّ اَلّلي أطلعنا الطيارات والدبابات والمدرعات، والله صار مقاومة بس شو بدها تسوي البرودة وأربع خمس فشكات مع الدباية، زى ما تقول كانوا يرموا على هذه الحمولة خمس ست بواريد وهذيك الحمولة كمثل والحمولة الثانية عشرة مثلا يعني هي اكبر، وتقوم الحمولة تشتري البواريد ويخذوهن هالشباب ويروحوا يسهروا على حدود البلد وهذولاك يطخوا وإحنا نطخ وييجو شاردين وعلى هالحال، ولما انه بلشوا فينا بالطيارات والدبابات وانسحبوا المصرية ما ظلش فيها فايدة.

وخلال تواجد القوات المصرية في القرية الذي استمر قرابة ثلاثة شهور حدثت هناك بعض المعارك والمواجهات بين هذه القوات والمتطوعين من جهة والقوات الصهيونية من جهة ثانية، ومن أهم المعارك والمواجهات التي لا زالت أحداثها عالقة في ذاكرة الكبار معركة واد الصرار وهي منطقة تقع بين قرية بيت جبرين وقرية الفالوجة، ولم يحدد الرواة تاريخ وقوع هذه المعركة إلا أنهم يتذكرون بأنها حدثت قبل احتلال بيت جبرين بفترة بسيطة، واشترك في هذه المعركة عدد من المتطوعين من بيت جبرين والقرى

المجاورة بالإضافة إلى أفراد من الجيش المصري والسوداني ويومها قتل ثلاثة من المتطوعين وثلاثة من الجيش السوداني، وعن هذه المعركة تروي الحاجة زينب محمد أبو منصور (70 سنة) قائلة:

راحوا المناظلين وفي قوة من المصرية والسودانية على واد الصرار وهناك صارت معركة بينهم وبين اليهود وهناك اليهود طبوا فيهم طخ استشهد واحد من بيت جبرين اسمه محمد الحاج علي الحموز وهذه واد الصرار بتيجي بين بلدنا وبين الفالوجة، واستشهد كمان واحد من دار المشط وكمان واحد اسمه محمود الشمالي مش من بلدنا هاظ وفي واحد من دار المهدي من بلدنا راحت عينه وفي كمان ناس استشهد من المصرية والسودانية، بقولوا انه اليهود فاجئوهم وطبوا فيهم طخ.

كما يروي الحاج محمود غنايم الحموز (82 سنة) الذي شارك في هذه المعركة قائلا:

*انا طلعت من البلاد وكنت زلمة كنت في العشرينات وفي أل **48** فزعنا على واد الصرار، كنا نفزع كمان على باب واد علي وعلى بلد اسمها ذنبة بقى في ترك هناك لواحد من عيلة العزة يوخذنا ونطلع مسلحين فيه، استشهد معانا ابن الحاج علي قرابتي في واد الصرار اجته رصاصة وكتلته، واستشهد معاه بطلع خمسة ستة منا ومن السودانية وتصاوب كمن واحد، ممكن بقى عمري عشرين واحد وعشرين هيك اشي.*

ومن المعارك الأخرى التي وقعت في منطقة بيت جبرين ولا زالت أحداثها ماثلة في ذاكرة الجيل الأول معركة خربة موسى وهو الاسم العربي للمنطقة التي تقع عليها مستعمرة "جالئون" وهي مستعمرة أقامها المستوطنون اليهود على جزء من أراضي القرية في بداية الثلاثينات من القرن الماضي، وتقع على تلة عالية تشرف على قرية بيت جبرين، كما أن موقعها يتحكم بالطريق الموصل بين الفالوجة وبيت جبرين الذي كان خطا استراتيجيا بالنسبة للقوات المصرية في ذلك الوقت، بالتالي كان لا بد من مهاجمة المستعمرة والاستيلاء على هذا الطريق، وفي الرابع عشر من تموز عام 1948 هاجم المتطوعون من أهالي القرية والقرى المجاورة وبمساندة من المدفعية المصرية المستعمرة إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة عليها نظرا لموقعها المرتفع والاستحكامات القوية بداخلها التي احتمى المستوطنون داخلها، وعن هذه المعركة يروي الحاج محمد عبد الهادي العزة (83 سنة) قائلاً:

قالوا بدنا نهاجم خربة موسى جابوا المدفعية المصرية وصارت تظرب من الصبح للساعة أربعة المسا وقالوا خلص مظلش فيها ولا واحد طيب، هانا هجموا المناضلين عالخربة اشي من هان واشي من هان هانا طلع واحد منهم اسمه شلومو قال أنت يا فلان بقصد واحد من جماعتنا كان اسمه العبيط قلوا ارجع يا عبيط والعبيط هاظا اسمه احمد محمد العزة قلوا ارجع إحنا ما متناش إحنا طيبين وبنظل جيران، شلومو فوق في راس التلة وإحنا في سهل الناس ما ردت عليه هانا الشيك ملغوم ثار الشيك واستشهد اثنين واحد منهم من الدوايمة، يعني كل هالطخ وهالمدفعية وجاي يا زلام جاي واليهود زي ما هم في راس هالقرنة، بعدين انسحبوا الناس واخذوا اللي ثار فيهم اللغم أخذوهم وسحبوا حالهم وروحوا وكان يمكن أكثر من ميت مناضل يومها من بيت جبرين وغيرها.

كما أشارت روايات الأجداد إلى معارك أخرى شارك فيها المتطوعون من أهالي القرية والقرى المجاورة إلى جانب الجيش المصري والسوداني مثل معركة بوايك عطا الله ومعركة المقحز، كما تحدثت بعض الروايات عن مشاركة متطوعين من قرية بيت جبرين في معركة كفار عصيون التي اشترك فيها الجيش الأردني، هذا عدا عن الإشتبكات والمناوشات المتفرقة التي كانت تحدث بين الحين والآخر في محيط القرية.

وبعد انسحاب الجيش المصري من القرية في السابع والعشرين من كانون أول عام 1948 والذي تبعه مباشرة خروج أهالي القرية دخلت القوات الصهيونية القرية بعد أن قصفتها بالطائرات مما حدا بالشيخ عبد الرحمن العزة لان يستنجد مرة أخرى بالأمير عبد الله، فحضرت في اليوم التالي إلى مشارف القرية دبابتان ومجموعة من الجنود الأردنيين لا يتجاوز عددهم اثني عشر رجلا وعلى رأسهم ضابط إنجليزي فأطلق الجنود بعض الطلقات ثم أمرهم الضابط بالعودة، وعن ذلك تروي الحاجة عريفة محمد الحليقاوي (70 سنة) قائلة:

اجت القوة الأردنية على بيت جبرين بعد قدام الظهر هانا أجوا الجيش اليهود وخشوا في البلد لا لقوا طخ ولا لقوا لا كثير ولا قليل استلموا البلد بردا وسلاما اجت القوة الأردنية طخوا بيجي أربع خمس طلاق اتصل الزابط البريطاني اللي مع اليهود اتصل بالزابط البريطاني اللي مع الجيش الأردني هاظا الاشي واقف عليه اخوي أبو للشب اللي قدامك هاظا، أعطى الأوامر للزابط العربي انه اسحب البلاد مسلمة قلو بديش اسحب نخى على شباب من الموجودين يطخوه يعني يطخو الزابط البريطاني، قلهم طخوه وبنقول اجتو قذيفة من إسرائيل، سمع الخراف إلا هو بقول وحياة ديني إلا ترجع الدبابة على قفاها للكيلو واحد وخمسين يعني قريب من ترقوميا، رجعها للكيلو واحد وخمسين وسلم البلاد وسحب حاله وروح ظلينا من المغارة هذه للمغارة هذه وإحنا في كروم الخليل لما انه سووا مخيم بير السفلى سجلوا في مخيم بير السفلى وأعطوا كل عيلة شادر، بقن يقولن:

ودوّوا لعبد الله سخام الطناجر ظيع وطنا وأعطانا شوادر.

وبشكل عام، فقد أظهرت غالبية المقابلات مع جيل النكبة بأن الجيش المصري كان له دور بارز في المنطقة وفي حماية القرية وتدريب المقاومين من أهالي القرية، كما تحدثت هذه الروايات عن صمود الجيش المصري بقيادة جمال عبد الناصر والبيك طه في قرى الفالوجة وعراق المنشية وهي من القرى القريبة من بيت جبرين، وقلما كانت هناك روايات تنتقد الدور المصري بينما نجد بأن غالبية الروايات قد انتقدت الدور الأردني الذي كان الضباط الإنجليز – حسب ما تشير إليه هذه الروايات– يشكلون فيه رأس الهرم في القيادة العسكرية ولهم تأثير مباشر على القرارات السياسية، وأما فيما يخص المقاومة المحلية فقد

أشاد كبار السن بها إلا أنهم يعزون ضعفها وعدم تمكنها من الصمود إلى افتقار هذه المقاومة للتسليح الجيد كما ونوعا، وتفوق العدو عليهم في هذا المجال.

كما أظهرت غالبية المقابلات مع جيل النكبة وجود فروق واضحة بين الذكور والإناث من هذا الجيل فيما يتعلق بدور الجيوش العربية والمتطوعين في الدفاع عن القرية، حيث انحصر تأثير متغير الجنس في بعض التفاصيل المتعلقة بأعداد الجنود المصريين والأردنيين الذين حضروا إلى القرية وكذلك بالفترات الزمنية التي حضر فيها كل طرف، كما أظهرت هذه الروايات بأن الذكور كانوا على دراية أكثر فيما يتعلق بالخلاف الذي كان قائما حينذاك بين الجيش المصري والجيش الأردني حول مناطق صلاحيات كل طرف، فمثلا نجد بأن هذه التفاصيل واضحة في رواية الحاج عواد أحمد العزة (80 سنة):

" أول اشي أجا علينا الجيش العربي الأردني وكان في الدبابة واحد اسمه ألعمري، كانوا بطلع ست سبع جنود بس الشيخ عبد الرحمن العزة اتفق مع المصرية انه يطلع الأردني ويحل المصري مكانه وهاظا اللي حصل، هاظا الحكي يمكن بعد ما بلشت الحرب بشهر تقريبا وأجا المصري وحط العلم عالمركز كانوا بطلع ميت جندي ومعهم مدفعية، وكانوا اليهود يهاجموا البلد ويطخو والجيش المصري والمناظلين يطخو، ظلوا المصرية في البلد لحد ما طلعنا ما ظل معهم ذخيرة يدافعوا فيها وعند ما طلعوا راح الشيخ عبد الرحمن للأمير عبد الله وطلب منو المساعدة فودالوا دبابتين وبطلع عشر اتنعشر جندي وصلوا حدود البلد هانا اليهود كانت داخلة البلد في الليل وإحنا اطلعنا طخوا كم طلق الأردنية وبعدين أمرهم الزابط الإنجليزي بالانسحاب وراحوا.

تشير رواية الحاج عواد، وهذا ما أشارت إليه غالبية روايات الذكور من هذا الجيل، إلى أرقام وإحصائيات متعلقة بأعداد الجنود المصريين والأردنيين، كما تبين هذه الرواية الفترة الزمنية التي حضر فيها الجيش المصري إلى القرية والمدة التي قضاها هناك ومن ثم عودة بعض الجنود الأردنيين بعد الانسحاب المصري واحتلال القرية، وفي المقابل نجد بأن معظم هذه التفاصيل قد غابت عن غالبية روايات الإناث وهو ما يبدو واضحا في رواية الحاجة لطفية محمود غطاشة (78 سنة)، التي روت قائلة:

قال عبد الرحمن عبد اللطيف هذول الأردنيين ثلاث أربع جنود في المركز هذول بدهم يحموا بيت جبرين، قالوا الأردنيين لو نحط الحطة فوق العلم بتحمي بيت جبرين، بيت جبرين مش مع اليهود، شد العلم وخبط عليه وأجا الجيش المصري خابروا الأردنيين بالتلفون قالولهم اسحبوا اطلعوا طلعوا عالخليل والله هذي البلد ما تظل بعدين صاروا يناوشوا فينا اليهود ويردوهم المصرية وهالشباب ويوم سحبوا المصرية ما ظل حدا يحمينا.

هذا فيما يخص أثر متغير الجنس أما المتغيرات الأخرى كمكان السكن وغيره فلم يكن لها تأثير يذكر في غالبية روايات الآباء، وأما بخصوص الجيل الثاني [الأبناء] وما في جعبتهم عن دور الجيوش العربية

والمتطوعين في الدفاع عن القرية، فقد أظهرت غالبية المقابلات مع هذا الجيل وجود إختلافات بين الآبـاء والأبناء بهذا الصدد، فكانت روايات الآباء أكثر تفصيلا لمجريات الأحداث وفي الوقت نفسه فهـي تسـرد الأحداث ضمن تسلسل زمني واضح، كما إنطوت ذاكرة الآباء على تداخلات عدة بين العام والخاص فعندما كان يقترب الحدث من الشخص الراوي أو أحد أقاربه كان يستوقفه ذلك ليبدأ حديثه عن محيطـه الخـاص ومن ثم يكمل في السياق العام لمجرى الأحداث، بخلاف روايات الأبناء التي تحدثت عن هـذا الموضـوع بنوع من العمومية دون أن تخوض في التفاصيل الدقيقة كما أنها لم تعر اهتماما للتسلسل الزمني الذي طالما كانت تراعيه غالبية روايات الآباء وخاصة روايات الذكور، وبشكل عام فقد خلت روايـات الأبنـاء مـن جوانب معرفية كثيرة متعلقة بهذا الموضوع كانت واضحة في روايات الآباء، وهنا تجدر الإشارة إلـى أن الاختلاف بين الآباء والأبناء لم يكن مفاجئا بين الطرفين وإنما كان تدريجيا بحيث لـم تكـن الاختلافـات جوهرية بين الآباء والأبناء الذين تجاوزوا الستين سنة وكلما كانت الفروق العمرية تزيد بين الجيلين كـان الاختلاف والتباين بينهم يزيد ليصل إلى ذروته لدى من انحصرت أعمارهم في الأربعينات، ولدى مقارنـة رواية السيد خالد عبد الله الشوابكة (42 سنة)، مع روايات الجيل الأول السابقة بهذا الشأن فإنه يلاحظ بأن هناك فروق واضحة بينها، فيقول السيد خالد:

كان الجيش المصري في البلد والجيش الأردني انسحب، الجيش المصري كان في الفالوجة بقيادة جمال عبد الناصر، وهو الجـيش الوحيد اللي ظل يقاوم بس في النهاية اضطر انه ينسحب لأنه ما ظل معاه ذخيرة يقاوم، وبالنسبة للمقاومة فطبعا البندقية مـا بتسـوي اشي مع المدفع والطيارة.

يلاحظ بأن رواية السيد خالد لم تتطرق إلى الفترات الزمنية التي حضرت فيها القوات المصرية وكذلك الأردنية إلى القرية، كما أنها لم تشر إلى أعداد الجنود من كلا الطرفين الأردني والمصري وهي أيضا لـم تذكر شيئا بخصوص عودة الجيش الأردني التي تلت إنسحاب الجيش المصري، وأخيرا فهي لـم تتحـدث كثيرا عن أعداد المقاومين وتسليحهم الذي كان، ويمكن القول: إن غالبية روايات الأبناء الذين تقع أعمارهم في الأربعينات والخمسينات كانت رواياتهم مشابهة كثيرا لرواية السيد خالد الشوابكة، وفي المقابل – وكما أشرنا سابقا– فإن روايات الأبناء الذين هم في الستينات من أعمارهم كانت أقرب إلى روايات الآباء في هذا

الخصوص، ولدى مقارنة روايات الآباء السابقة مع رواية السيد عبد الله عبد الرحمن غطاشة (63 سنة) التي يقول فيها:

انا اللي سمعته من الختيارية وعاصرتهم وماتوا هانا كان في البداية بطلع ست سبع جنود من الجيش الأردني وطلعوا، وكان في البلد مناضلين يسموهم مناضلين وكانوا مع الجيش المصري وكانوا المتطوعين يقولولهم إما الحزام الأحمر أو الزنار الأحمر حاجة زي هيك يعني، وكانوا مجاهدين يجاهدوا مع الجيش المصري وكانوا مثلا يرموا على العيلة هذه كمن بارودة وعلى العيلة هذه كمن بارودة ويحملوهن شباب من العيلة ويطلعوا يجاهدوا معاهم، ولما طلع الجيش المصري من البلد كانوا اليهود يظربوا من الطائرات بسموهن الختيارية كيازين يعني يظربوا صواريخ من الطائرات وشردت البلد وطلعت. يعني اخذتلها الشغلة يمكن ست اشهر سبع اشهر لأنه الجيش المصري قعد في عمارة بيت جبرين وصاروا يجاهدوا وبعديها أجا الجيش الأردني وكان موجود عند هرايب الخاروف لغاد شوية في المطلع الطريق اللي بتروح عالقبيبة عند بوابك العطلات والمصريين هم اللي قاتلوا في بيت جبرين مش الأردنيين.

فإنها تبدو أقرب إلى روايات الآباء من رواية السيد خالد الشوابكة التي سبقتها، حيث تطرق السيد عبد الله في روايته إلى بعض التفاصيل التي تحدث عنها الآباء في رواياتهم، فمثلا تتحدث الرواية عن بعض الأرقام المتعلقة بأعداد الجنود والمتطوعين، وكذلك المدة الزمنية التي استمرت فيها المناوشات بين الجيش المصري والمناضلين من جهة والقوات الصهيونية من جهة ثانية وهي أشياء لم تكن واضحة في الرواية التي سبقتها على اعتبار أنها تعود لأحد الأبناء الذين تقل أعمارهم عن الستين سنة.

كما أشارت غالبية روايات الأبناء إلى وجود فروق بين الذكور والإناث بما يتعلق بهذا الموضوع، ولكن هذه الفروق انحصرت في الغالب لدى الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة وما دون ذلك لم تكن هناك أي فروق جوهرية بينهم، فمثلا تبدو هذه الفروق واضحة لدى مقارنة رواية السيد عبد الله غطاشة السابقة مع رواية السيدة عائشة أحمد العزة (66 سنة) التي تقول فيها:

المركز كان ناحية دار عمي عبد الرحمن وكان فيه جيش أردني وكانوا اليهود في خربة موسى وبعدين دخل الجيش المصري وقعدوا في المركز وكانوا يطخوا على بعضهم هم واليهود ولما انه طلع الجيش المصري الناس شردت من البلد.

وفيما يتعلق بالمتغيرات المستقلة الأخرى كمكان السكن ومستوى التعليم فلم تظهر هناك أي فروق جوهرية بين اللاجئين من هذا الجيل وتعزى إلى هذه المتغيرات أو غيرها، فتقاربت إلى حد كبير غالبية روايات الأبناء بهذا الخصوص ولم تظهر هناك أي فروق بينهم باستثناء تلك الفروق التي ظهرت بين الذكور والإناث وهي – كما أشرنا سابقا – انحصرت بين الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة.

وأما بخصوص المعارك والاشتباكات التي وقعت في بيت جبرين ومحيطها بـين المقـاومين والجـيش المصري من جهة والقوات الصهيونية من جهة ثانية – وكان الآباء قد أشاروا إليها في روايـاتهم – فـإن غالبية الأبناء في مقابل ذلك لا يعرفون عنها شيئا، كما أنهم لا يعرفون أسماء الشهداء الذين سقطوا في تلك المعارك باستثناء القليل منهم الذين لا تتعدى معرفتهم سوى أسماء لبعض المعارك دون معرفة أي تفاصيل عنها، وفي الوقت نفسه – وكما أشارت بعض الاقتباسات السابقة من رواياتهم – فهم تحدثوا عـن وقـوع مواجهات واشتباكات بشكل عام ولكنهم لم يتحدثوا عن معارك بعينها حصلت هناك كالتي ذكرها الآباء في رواياتهم.

وللأحفاد ما يخصهم في هذا الموضوع، فقد أشارت غالبية المقابلات مع هذا الجيل بأنهم لا يتحصلون إلا على القليل من المعرفة المتعلقة بدور الجيوش العربية والمقاومين في الدفاع عن بيت جبرين، حيث لـم تتعد هذه المعرفة سوى بعض الجمل البسيطة التي تشير فقط إلى وجود للجيش المصري في بيت جبـرين دون معرفة أي تفاصيل متعلقة بدور هذا الجيش، وقليل منهم أشار إلى وجود الجيش الأردني، وبعضـهم تحدث عن وجود لجيش عراقي، وآخرون لم تكن لديهم أي معرفة تذكر عن هذا الموضوع، وبشكل عـام فإن غالبية روايات الأحفاد في هذا الخصوص لم تأت بأكثر مما ورد في رواية السـيدة عائشـة محمـود الحموز (33 سنة) التي تقول فيها:

انا حسب ما سمعت انه ما صار مقاومة قوية، بس طلعوا نتيجة الدعاية النفسية، في كان الجيش المصري والأردني والعراقي، هذول الثلاث جيوش داخلين عشان يدافعوا عن البلاد بس الأسلحة اللي كانت معهم خربانة وما دافعوش ولا قاوموا.

كما أن غالبية روايات الأحفاد لم تشر من قريب أو من بعيد إلى أسماء المعارك التي حدثت في منطقة بيت جبرين أو في القرى المجاورة كذلك لم تشر هذه الروايات إلى أي من أسماء الشهداء الذين سقطوا في تلك المعارك، وهم [الأحفاد] لا يعرفون عنها شيئا مع أن بعضهم أشار إلـى وجـود مقاومـة وحـدوث مواجهات مع القوات الصهيونية ولكن دون الإشارة إلى أحداث بعينها وإنما مقاومة جـاءت فـي سـياق الأحداث التي مرت بها القرية بشكل عام، ويبدو ذلك واضحا في رواية السيد مخلص عيسـى العـزة (38 سنة)، على الرغم أن روايته تعد من أكثر روايات الأحفاد وضوحا بهذا الشأن، ويقول فيها:

انا مثل ما سمعت انه باقي في مقاومة بس مقاومة محدودة يعني عدد بسيط جدا يعني ما بقدر أقول كل بيت جبرين بقت تقاوم هالامكانيات إلي بقت موجودة ممكن يعني كل اثنين أو ثلاثة تشاركوا وشروا باروده أو كل عشرة لما إنهم قدروا يجيبولهم باروده إنجليزية قديمة بشان يقاوموا فيها، بعدين يعني لو إنهم اشتروا كميات ومفش إمدادات الهم بتنتهي.

إن ما سبق وأشرنا إليه بخصوص روايات الأحفاد، فهو ينطبق على غالبية تلك الروايات وليس عليها جميعا، فهناك روايتان أو ثلاث قد أظهرت بأن أصحابها لديهم معرفة جيدة بهذا الموضوع ومواضيع أخرى متصلة بذاكرة الاقتلاع والتهجير، والسبب في ذلك يعود إلى أن اثنين منهم قد أجريا بحثا عن بيت جبرين خلال دراستهم الجامعية وإستندا في ذلك إلى بعض الروايات الشفوية من كبار السن، والثالث كان يبدو بأن لديه إهتماماً خاصاً بالموضوع وهو دائم البحث فيه.فمثلا تعد رواية السيد بسام عبد الله الشوابكة (32 سنة) أقرب من غيرها إلى روايات الآباء والأبناء بهذا الخصوص، فروى قائلا:

البلد كان فيها مقاومة عناصر من البلد وعناصر من خارج البلد لكن حجم أو كم المقاومة لا يتعدى ربما واحد على ميّة والسبب بعود لقلة السلاح، وبالنسبة للجيوش العربية كانت هناك خلافات بين الجيش المصري والجيش الأردني وهذا بحد ذاته اثر سلبا على العرب وساعد اليهود بطريقة غير مباشرة فأول اشي كان الجيش الأردني وانسحب ومن ثم دخل الجيش المصري وبعد خروج الجيش المصري استطاع اليهود إنهم يدخلوا البلد لأنه المقاومة لوحدها ما بتستطيع إنها تحمي البلد.....

لقد أشارت رواية السيد بسام إلى كثير من النقاط التي أُشير إليها في روايات الآباء والأبناء وفي المقابل لم يكن لهذه النقاط أي وجود في غالبية روايات الأحفاد، فروايته تنم عن معرفة جيدة بالظروف التي أحاطت بالمقاومة حينذاك كما وصفها كبار السن، وكذلك معرفة بالجيوش العربية التي دخلت إلى بيت جبرين والخلافات التي حصلت بين هذه الجيوش، كما أظهرت الرواية الترتيب الزمني لدخول هذه الجيوش ومن ثم انسحابها الذي تزامن مع احتلال القرية من قبل القوات الصهيونية. وبشكل عام فقد أظهرت غالبية روايات الأحفاد عدم وجود فروق جوهرية بين اللاجئين من هذا الجيل يمكن أن تعزى إلى متغير الجنس أو متغير مستوى التعليم وكذلك متغير مكان السكن.

وأخيرا يمكن القول: إن غالبية المقابلات مع اللاجئين قد كشفت عن اختلافات جوهرية بين الأجيال الثلاثة من اللاجئين فيما يخص الذاكرة المتعلقة بدور الجيوش العربية والمتطوعين في الدفاع عن القرية قبل احتلالها، وقد بدأت هذه الاختلافات بالظهور تدريجيا بين هذه الأجيال، فهي لم تكن جوهرية بين الآباء من جهة والأبناء الذين تزيد أعمارهم عن ستين سنة ثم تصاعدت وأصبحت ملموسة أكثر بين الآباء

والأبناء الذين تقل أعمارهم عن الستين سنة وبلغت ذروتها عندما وصل الأمر إلى الأحفاد، فالآبـــاء كـــان لديهم الكثير ليقولونه عن تجربتهم مع الجيوش العربية التي دخلت قريتهم وكذلك تجربتهم فـــي المقاومـــة، أيضا الأبناء كان لديهم ما يمكن قوله بهذا الخصوص مع انه لا يصل إلى حد ما قاله الآباء، ولكن غالبيـــة الأحفاد قد أُختزل كل ما لديهم عن هذا الموضوع ببعض الانطباعات والتصورات التي غالبا ما تـــنم عـــن معرفة عامة بأحداث النكبة، وقلما كان لها علاقة بما اختصت به قرية بيت جبرين دون غيرها.

4 :3. بوادر الترحيل: قصف القرية بالطائرات ولجوء الأهالي إلى المغاور والكهوف:

كما أشير إليه في بداية هذا الفصل وهو ما أظهرته أيضا غالبية روايات الآباء، بأن شهر تشرين أول 1948 قد شهد تصعيدا كبيرا، وذلك عندما كثفت القوات الصهيونية هجماتها على القرية وبعـــض القـــرى الأخرى في المنطقة كالفالوجة وعراق سويدان وغيرهما في إطار ما يعرف بعملية يوآف التي بدأت فـــي أوائل ذلك الشهر للسيطرة على قطاع الفالوجة حيث تقع بيت جبرين ضمن هذا القطاع وكان الهدف مـــن وراء هذه العملية فصل شمال فلسطين عن جنوبها ومحاصرة الجيش المصري في المنطقة، وحينهـــا بـــدأ أهالي القرية يشعرون بالخطر الشديد الذي بات يتهددهم وخاصة عندما بدأت الطائرات الإسرائيلية بقصف القرية من حين لآخر وهو أمر لم يعهده أهالي القرية في السابق مما اضطرهم إلى ترك بيوتهم والاحتمـــاء في المغاور والكهوف المحيطة بالقرية، وعن هذا القصف تروي الحاجة زينب محمد أبـــو منصـــور (70 سنة) قائلة:

وإحنا قاعدين كانت رمضان وحاطين الناس الفطرة وعندنا ظيوف من التينة، عمة أمي مجّوزة في التينة وكانت تظل تيجـــي علينـــا كانت جاية هي وجوزها وولد من أولادها وسوينا الهم أكل وحطوا الأكل وقاعدين بفطروا، يعني أول الفطرة اجت الطيارة وما اســـتفاقوا إلا بتظرب، ظربت أول ظربتها إلا هي في دار فيها تبن فش فيها سكان اجت في التبن، التبن إلي في الدار دوروا عليه ما لقوش منو ولا ذخرة طار ولّا هو غار ولاّ أبصر وين راح ما لقوش الو اثر بالمرة يعني، وبعدين الدار إلي اجت فيها الظربة انهدّت وغيرها اتصدّعن، الدّور إلي حواليها في الحوش، حيشان كانت الناس مش زى الحين كل واحد الو سكنه لحاله، كل خمس ست اعيل في حـــوش يكونـــوا، وبعدها بشوية صارت تيجي الطيارة تحوم وهالشباب يطخوا عليها وتشرد وتروح، والله في ليلة وحدة ظربت 150 كيزان[11]، والله مطرح ما تظرب إنها الزيتونة انخلعت، شروشها طلعن فوق ودلوبها طاحن في الجورة مطرح ظربتها، صاروا الناس يشردوا في عندنا عرقـــان مغر في البلد كل مغارة بتوسع نص البلد، صاروا يشردوا الناس ويوخذوا اغراظهم ونسوانهم ويوخذوا هلي يخافوا عليه ويروحوا يباتوا في العرقان، ليلة ما ظربت الطيارة الظرب الكثير هاظا كنّا في العرقان بقينا ازغار، ليلتها عمتي أخت أبوي ظلت في الدار كان ظهرهـــا

11- الاسم الذي كان يطلقه الناس على القنابل التي تلقيها الطائرات.

يوجعها ما بتقدرش تمشي قالت اشردوا وأنا خليني في الدار إن متت متت وان طبت بظلي طيبة، بقى اخوي لابس مع الجيش المصري يروح كل ما راحت الطيارة يروح يطل عليها يقلها يا عمة انت طيبة تقله انا طيبة روح اشرد روح اشرد، تتنقل في هالدور، مرة تروح في الدار هذه ومرة تروح في الطابون ومرة تروح في المتبن، مرة طلعت باب دارنا في جرن طلعت في الجرن قعدت اجت الطيارة خافت منها وشردت مطرح ما كانت قاعدة ظربت الطيارة بعيد عنك كتلت حمار وكتلت كلب، يعني مالهاش منيّة تموت هالختيارة.

وقد ترافق هذا القصف مع الأخبار التي كانت ترد من هنا وهناك عن وقوع بعض المجازر في مناطق مختلفة بالإضافة إلى ما كان يتناقله الناس حينذاك عن تعرض النساء للاغتصاب من قبل رجال العصابات الصهيونية، كما تحدث الآباء عن منشورات باللغة العربية كانت تلقيها الطائرات الإسرائيلية عليهم وكانت تطالبهم فيها القوات الصهيونية بالإستسلام وطرد ما وصفتهم بالأغراب وهم – حسب الروايات – الجنود المصريون والمتطوعون من القرى الأخرى، وقد تزامن ذلك مع رحيل سكان غالبية القرى في المنطقة ولجوء قسم كبير منهم إلى بيت جبرين، وفي الوقت نفسه أصبح الجيش المصري في وضع لا يحسد عليه، حيث أوشكت ذخيرته على النفاذ وقطعت به الأوصال بعد أن كان الناس يعولون عليه في توفير الحماية لهم، وعن ذلك يروي الحاج محمود غنايم الحموز (82 سنة) قائلاً:

رمت علينا الطيارة 160 كيزان في ليلة وحدة القنبلة تبحش تقول مطب لتون[12] من العتيقات، ولو بنعلم وندري إحنا إنّ راح نصل للي وصلنا الو كان متنا في بلادنا والله وما طلعنا لأنه اليهود ظربوا البلد 160 كيزان في ليلة وحدة وظربوا مناشير وقالوا فيها يا أهل بيت جبرين سلمو واطردوا الأغراب من بلدكم بس الناس بقت خايفة عالعرض وخافوا يصير فيهم مثل دير ياسين وبعدينش كل القرى الثانية طلعت قبلنا ولّا الناس مش طالعة ولا على بالها، حتى لو في خوف الناس مش طالعة من وطنها، الوطن بظل عزيز علينا. الناس طلعت على سبيل ترجع، هالحين اليهود لما الناس طلعت نسفوا البلد أولها على آخرها يعني بتعرفش ولا دار منها يعني خربة زي ما كانت من زمان.

وعندما قرر الجيش المصري الانسحاب من القرية بعد أن تلقى عدة ضربات من الطائرات أثناء تواجده في مركز شرطة القرية وكانت قد قُطِعت خطوط إمداداته ولم يعد بوسعه الصمود أكثر حينها قرر أهالي القرية الرحيل وخاصة أن الشيخ عبد الرحمن العزة[13] قد سبقهم ورحل عن القرية مع عائلته قبل أيام وهو ما أشارت إليه غالبية روايات الآباء، وكان الاعتقاد لدى الناس بأن الشيخ يعرف أكثر منهم بما سوف تؤول

---

12. حفرة كبيرة كانت توضع بداخلها الأحجار الجيرية وتحرق لاستخراج مادة الشيد منها التي كانت تستخدم في البناء.
13. احد وجهاء بيت جبرين البارزين في ذلك الوقت.

إليه الأوضاع في القرية، وفي ظل تلك الظروف لم يعد أمامهم من خيار سوى الرحيل، وعن تلك اللحظات العصيبة بالنسبة لأهالي القرية تروي الحاجة لطفية محمود غطاشة (78 سنة) قائلة:

" يوم سحبوا المصرية ما ظل حدا يحمينا، عبد الرحمن عبد اللطيف حمّل وراح عند خوالوا في حلحول ولا هو عند نسايبه دار الناظر في الخليل قبل الكل وإحنا بالقواريط شو بدنا نسوي حملنا على الجمال والحمير واطلعنا عالطيران برّة وبعدين تنقلنا على إذنا وعالخليل وعلى حلحول.

كما أشارت بعض الروايات بأن الشيخ عبد الرحمن وبعد أن أرسل عائلته إلى الخليل ذهب مباشرة إلى الأردن وقابل الأمير عبد الله هناك وطلب منه إرسال قوات أردنية إلى القرية وعندما تأخر وصول هذه القوات عن موعدها طلب الشيخ عبد الرحمن من أهل القرية الرحيل وفي الليلة نفسها احتلت القوات الصهيونية القرية وفي اليوم التالي وصلت القوات الأردنية إلى مشارف القرية وفي تلك الأثناء كان لا يزال قسم من الأهالي في أطراف القرية ولم يغادروها إنما كانوا يراقبون ما يجري في القرية، وعن ذلك يروي الحاج أحمد خليل النجار (73 سنة) قائلا:

هجموا اليهود على مركز البوليس بطلع مرتين ثلاث، الجيش المصري ما كانش عنده إمدادات، والله بتذكر قبل ما نطلع بليلة أو ليلتين ظربت الطيارة قلعت بطلع 14 زيتونة من قراميهن، أجا الجيش المصري وقال يا عمي إلي بدو يظل يظل والي بدو يرحل يرحل وسحبوا حالهم وطلعوا من البلد ظل شوية مناظلين في البلد بس شو بدهم يسوو، الحين بقى رحمة عبد الرحمن عبد اللطيف بعد ما طلع رايح للملك عبد الله الأمير يستنجد فيه قله يا عزة ما تطلعش انا بدي اقزيلك إمدادات وجيش هانا تأخر الجيش الأردني رحمة عبد الرحمن قلهم اللي بدو يرحل يرحل الناس خافت وطلعت لأنه مظلش مين يحميهم واليهود احتلوا البلد وثاني يوم إلا هو الأمير مقزي دبابتين وكان الزابط إنجليزي هانا الدبابتين ظربن ثلاث طلقات وبعدين أمر الزابط الإنجليزي بالانسحاب وسحبن حالهن الدبابتين واجين مروحات، أهل البلد شو معهم؟.

وقد تميزت غالبية روايات الآباء التي تروي قصة وجودهم الأخير في القرية بأنها جمعت بين العام والخاص في آن واحد، فكان الراوي يبدأ بسرد الأحداث التي مرت بها القرية بشكل عام في الأيام الأخيرة التي سبقت عملية الترحيل، ثم سرعان ما ينتقل للحديث عن نفسه وبعض الأشخاص القريبين منه في تلك اللحظات، وهذا ما يبدو واضحا في رواية الحاجة زينب عودة الشوابكة (70 سنة)، فروت قائلة:

يومن اجن الطيارات يظربن طلعنا ولما طلعنا وين حطينا أول نهار عند الشيخ براق[14] بقوا يقولوا الشيخ براق بقى عنده بطمه اكبر اكبر من دارنا صارن الطيارات يمرقن عمطرح الاستحكامات ذيلات الجيش المصري ويظربن هناك كيازين، يومن تيجي الطيارة كن أمي تفرد علينا إلحاف عالملحفة عشان الطيارة تقول هذول حجار، فزعوا العسكر فزعوا الكل والكلاني سلمت البلد، بقيت يومها رايحة القط

---

14. احد المقامات الموجودة في أطراف القرية.

حبة جميز انا ورحمة الحاج اخوي، وأنا عالجميزة بقّله يا بي الجيش كلهم في المركز، اجن الدبابات عالمركز، قال طيب طيحي، لقطت شوية جميز وبعدين وين رحنا على الشيخ براق ليلتها فزعت الناس.....

أيضا وعلى الرغم من مرور سنوات طويلة على فقدان الوطن فإن عاطفة الحنين إليه لا زالت حاضرة بقوة لدى جيل النكبة الذين عاشوا طفولتهم في أحضانه، وكانت هذه العاطفة تظهر بوضوح في عيون البعض التي أدمعت عندما كانوا يتذكرون بعض اللحظات التي قضوها هناك، وهي [عاطفة الحنين] لا تخفى أيضا في بعض العبارات التي دأب غالبية الآباء على ترديدها بين الحين والآخر وهم يسردون أحداث ذلك اليوم الذي ودعوا فيه قريتهم على أمل العودة القريبة إليها، فقالوا –على سبيل المثال لا الحصر–: " وين كنا ووين صرنا "، " لو بنعرف هيك بدو يصير فينا كان متنا وما طلعنا "، " بقينا ملوك في بلادنا " وما إلى ذلك من عبارات أخرى، وأخيرا فأن غالبية روايات الآباء بهذا الخصوص كانت متقاربة إلى حد كبير فلم تظهر بينها أي فروقات جوهرية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن تلك الأيام كانت حاسمة ومصيرية بالنسبة لجميع أهالي القرية، فالجميع كان يحرص على معرفة كل ما يدور حوله من أحداث ويترقب ما يمكن أن تسفر عنه تلك الأحداث، فمن لم يشاهد الحدث كان يسمع عنه ممن شاهده أو شارك في صنعه بعد وقت قصير وقبل أن ينال الزمن ما استطاع من حيثيات وتفاصيل ارتبطت بالحدث.

وأما الأبناء فقد أظهرت غالبية رواياتهم بان هناك اختلافات جوهرية بينهم وبين الآباء بهذا الصدد على الصعيدين الكمي والنوعي، فهناك أحداث كثيرة أغفلت في روايات الأبناء وأحداث أخرى كانت معرفتهم عنها مجرد معرفة عامة وسطحية، فمثلا وصفت روايات الآباء بدقة عمليات القصف الجوي التي تعرضت لها القرية حيث بينت غالبية هذه الروايات الأوقات التي كانت تسقط فيها القنابل ومكان سقوطها وعدد القنابل وكذلك الأضرار التي نجمت عن عملية القصف، أما الأبناء فتحدثوا فقط عن تعرض القرية لقصف جوي دون معرفة تفاصيل ذلك القصف كما بينته روايات الآباء، وقد يبدو الفرق واضح لدى مقارنة ما أوردناه سالفا من روايات الآباء التي تصف عمليات القصف الجوي على القرية وما تقوله السيدة فايزة عبد

المجيد الحليقاوي (56 سنة) في روايتها التي تعد نموذجا لغالبية روايات الأبناء بهذا الخصوص، فتقول فيها:

بقولوا انه كانت تيجي الطيارات تقصف، هالحين لما صارت تقصف هذول الناس في منهم خوف وفي منهم كان يقع بينهم إصابات ويقولوا البلد الفلانية سلمت يطلعوا اللي فيها حتى يتركوا كل اشي الهم يحمل الواحد يا ابنه يا بنته واشي قليل اللي يقدر يحمله وكلهم يغادروا البلاد، بيت جبرين اجت الطيارات حسب ما رووا الختيارية الكبار انه الطيارات دخلت على البلد وكانت على مستوى منخفض وترمي كيزانات بقوا يسموهن، وبالطريقة هذه صاروا يطلعوا أكثرهم خوف تركوا بلادهم.

فرواية السيدة فايزة لم تحدد عدد القنابل التي أسقطتها الطائرات على القرية ولا أماكن سقوطها كما أنها لم تشر إلى التدمير الذي خلفته تلك القنابل والأوقات التي كانت تسقط فيها على القرية.بالتالي فان هذه التفاصيل قد غابت إلى حد كبير من غالبية روايات الأبناء، كذلك فإن الاختلافات بين الآباء والأبناء لم تقف عند هذا الحد فحسب وإنما تجاوزت ذلك لتصل إلى حد إغفال أحداث كثيرة حصلت في تلك الأيام لطالما أكد عليها الآباء في رواياتهم، فقد لوحظ بأن غالبية روايات الأبناء كانت تقفز عن محطة اللجوء الأولى لأهالي القرية وهي الفترة التي قضاها الأهالي في الكهوف والمغاور التي تقع في أطراف القرية عندما بدأ القصف الجوي كما أن غالبية روايات الأبناء لم تتطرق إلى انسحاب الجيش المصري من القرية الذي تبعه مباشرة احتلال القرية وترحيل الأهالي عنها، وكذلك فهي لم تتطرق إلى مجيء بعض الجنود الأردنيين إلى مشارف القرية بعد يوم من احتلالها في محاولة بائسة لاستعادتها من القوات الصهيونية، إذا فكل هذه الأحداث لم يرد لها ذكر في غالبية روايات الأبناء ومنها على سبيل المثال رواية السيد عبد الحافظ محمد دعدرة (45 سنة) التي يقول فيها:

يوم دخلوا اليهود كانوا يدخلوا منطقة منطقة والبلد كان عندها معلومات عن مذبحة دير ياسين ومذبحة الدوايمة والبلد كانت متحصنة وفي المسلحين كانوا موجودين على نقاط على الحدود حدود البلد وكان أغلب السلاح جاي عن طريق العزة طبعا بتعرف الأطفال والنساء في مرحلة الحرب في خوف فكانوا يطلعوهم ويبعدوهم يعني للامام وكانوا الرجال موجودين وبعدين أجا الطيران قصف على البلد عالسكن يعني كان قصف شديد من الطيران الإسرائيلي والمدفعية وطبعا شو سلاح المقاومة بدو يسوي كان قديم وتعبان قاوموا بما يستطيعوا وفي الآخر انتهى الأمر وطلعوا في 1948......

كما أظهرت غالبية روايات الأبناء بأن العامل النفسي كان له أثر أكبر من العامل العسكري في ترحيل أهالي القرية، وحسب هذه الروايات فإن ما كان يتناقله الناس وتبثه وسائل الإعلام عن وقوع مجازر واغتصاب للنساء زاد من حالة الخوف لدى أهالي القرية وسرَّع في خروجهم من قريتهم، وإن الأحداث

العسكرية التي حدثت هناك لم تكن من الشدة والضراوة لدرجة تجبر الناس على الخروج من القرية، وهذا ما يبدو واضحا في رواية السيدة رجاء عبد الفتاح الخاروف (52 سنة) التي تقول فيها:

الدعاية أثرت على الناس أكثر من تأثير الضغط العسكري عليهم، ما كانت الجيوش واقفة الهم ولا صار عندهم اشي بجبرهم على ترك البلد بس حاربوهم بالإشاعات يعني حرب نفسية مثلا اليهود عملوا كذا وكذا في دير ياسين ذبحوا الناس وانتهكوا الأعراض فهم خافوا، والي ساعد في طلوعهم من بلادهم أكثر الخوف ومش الحرب العسكرية.

والأبناء يختلفون في ذلك عن الآباء الذين لم ينكروا أثر العامل النفسي عليهم ولكنهم في الوقت نفسه أرجعوا السبب الأساسي في ترحيلهم إلى القصف الذي تعرضوا إليه وانسحاب القوات المصرية من عندهم وبالتالي عدم قدرتهم على مجابهة الغزاة الذين يتفوقون عليهم في التسليح كما ونوعا، وكان ذلك واضحا في بعض الاقتباسات السابقة من روايات الآباء.

أيضا فقد ركزت غالبية روايات الأبناء على السياق العام للأحداث التي مرت بها القرية في تلك الفترة وقلما كان هناك ذكر لمواقف أو تجارب خاصة لبعض الأشخاص كأحد الأقارب مثلا وتم نقلها من الأب إلى الابن – وهو ما أظهرته غالبية روايات الأبناء وكان واضحا كذلك في بعض الاقتباسات السابقة التي أوردناها من رواياتهم – وهم [الأبناء] يختلفون في ذلك عن الآباء الذين بدأت غالبية رواياتهم بالأحداث العامة التي كان لها تأثير على أهالي القرية بشكل عام وانتهت ببعض المواقف الخاصة التي مر بها الشخص الراوي أو بعض المقربين منه وعلقت بذاكرته وكنا قد أشرنا إلى ذلك في مكان سابق من هذا الفصل.

كما أن عاطفة الحنين إلى الوطن التي بدت واضحة في روايات الآباء لم تكن ظاهرة بشكل واضح في غالبية روايات الأبناء، ولكن هذا لا يعني خلو روايات الأبناء من بعض العبارات التي تشير إلى الارتباط بأرض الآباء والأجداد ولكن – وكما تدل على ذلك بعض العبارات – يبدو بأنه ارتباط من نوع آخر، فهو ليس مجرد عاطفة رومانسية تتغذى على بعض الذكريات كما عند الآباء، ولكنه ارتباط متمركز في ذهنية اللاجئ ووعيه بالحق الذي سلب من آبائه وأجداده في لحظة تاريخية ساد فيها منطق القوة وبما أنه حق ثابت فهو يؤمن بحتمية عودة هذا الحق لأصحابه الشرعيين في يوم من الأيام، فمثلا هذا السيد عبد الحافظ

محمد دعدرة (45 سنة) يؤكد على ذلك الحق بقوله: *" مهما طال الزمن مصيرنا نرجع، ولا يمكن انا ننسى حقنا، انا ما عشت في بيت جبرين لكن هي بلدنا الأصلي، انا بديش القصر في المخيم وبدي ارجع على الطيران اللي في بيت جبرين".*

أيضا فقد أظهرت غالبية روايات الأبناء وجود فروق جوهرية بين الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة وأولئك الذين تقل أعمارهم عن الستين، فالذين تجاوزوا الستين من أعمارهم كانت رواياتهم أقرب إلى روايات الآباء وتنطوي على تفاصيل أكثر بالأحداث التي وقعت في تلك الفترة، وربما يعود السبب في ذلك إلى قربهم الزمني من الحدث [النكبة] وأنهم عاشوا طفولتهم المبكرة في القرية كما أنهم عاصروا غالبية الآباء الذين هاجروا من القرية، وقد تبدو هذه الفروق واضحة لدى مقارنة الاقتباسات السابقة من روايات الأبناء مع رواية السيد محمد محمود العزة (65 سنة) التي يقول فيها:

تعرضت بيت جبرين إلى هجوم من الطيران حيث ضربت بالطيران عدة مرات بقذائف ضخمة الكيزان بسموه وحتى أن عيزر وايزمان اعترف وذكر في لقاءات فيما بعد انه كان يشارك في قصف بيت جبرين وأخليت القرية وسكن الناس حولها في ملاجئ لأنه في ببيت جبرين كهوف وطيران وسكنوا فيها وكان القصف في البلد، وأنا في إلي عم رحمة الله عليه استشهد في غزة ابن عم أبوي بالضبط لا زلت اذكره قصف الطيران بيتهم وحرق جسمه وما زلت اذكر وكان متأثر كثيرا وعند ما خرجنا وصل إلى غزة وقاتل مع الجيش المصري في غزة واستشهد في غزة يعني كانت هناك هجمات وبعدين اشتدت الهجمات على بيت جبرين أكثر من اللازم بحيث انه المقاتلين من أبناء البلدة استبسلوا مع الجيش المصري في الدفاع عن بيت جبرين ولكن جاء دور السياسة انه انسحبت القوات المصرية وبقي أبناء بيت جبرين ولم يكن بوسعهم صد اليهود لأنه كان حجم الهجوم والقوات الإسرائيلية اكبر بكثير أضعاف من حيث العدد والعدة من المجاهدين.

كما أظهرت غالبية المقابلات مع الأبناء وجود فروق جوهرية بين الذكور والإناث، حيث كانت روايات الذكور أقرب إلى حد ما من روايات الإناث إلى روايات الآباء كما أنها انطوت على تفاصيل أكثر وأدق، وربما يعود السبب في ذلك إلى وجود فرص أكثر أمام الذكور لمجالسة كبار السن في الدواوين والأماكن العامة وفي المقابل لا تستطيع الإناث فعل ذلك بحكم بعض العادات والتقاليد التي تفرض قيودا على الإناث في هذا الاتجاه، وقد ألمحت بعض النساء إلى هذه النقطة أثناء إجراء المقابلات معهن. وأما فيما يتعلق بالمتغيرات الأخرى كمستوى التعليم ومكان السكن فقد أظهرت غالبية الروايات عدم وجود فروق ذات قيمة بين اللاجئين من هذا الجيل تعزى إلى هذه المتغيرات.

وبعد أن جرى إستعراض لما جاءت به روايات الآباء وكذلك الأبناء عن مقدمات الترحيل التي تزامنت مع القصف الجوي للقرية ولجوء الأهالي إلى المغاور والكهوف، بقي أخيرا أن نتعرف على ما تَحَصَّل عليه الأحفاد من الذاكرة الجماعية بهذا الخصوص، حيث أظهرت غالبية روايات هذا الجيل وجود تقارب كبير بينهم وبين الأبناء في بعض الجوانب وفي المقابل ظهرت بعض الاختلافات بينهم في جوانب أخرى، وبشكل عام فقد كانت الفروق بين الأحفاد والآباء أعمق من الفروق التي تم رصدها بين الآباء والأبناء.

وقد أظهرت غالبية روايات الأحفاد بأن كل ما لديهم من معرفة وتصورات وما إلى ذلك عن تلك الفترة لم يتعد سوى بعض الجمل البسيطة والمقتضبة التي لم يُذكر فيها أحداث كثيرة وقعت في تلك الفترة، كما أنهم [الأحفاد] لا يعرفون أي تفاصيل عن الأحداث التي سمعوا عنها وكانوا قد ذكروها في رواياتهم، فغالبيتهم يعرف بأن بيت جبرين قد تعرضت للقصف من الطائرات ولكنهم لا يعرفون أي شيء عن الفترة التي بدأت فيها الطائرات بقصف القرية ولا الأضرار التي لحقت بالقرية وأهلها جراء ذلك القصف، كما أن غالبيتهم تجاوز عن الفترة التي قضاها أهل القرية في المغاور والكهوف الواقعة في أطراف القرية للإحتماء من قصف الطائرات فهم يفترضون في رواياتهم بأن أهالي القرية قد خرجوا مباشرة من بيوتهم إلى خارج حدود القرية دون أن يمروا بهذه المحطة، وتعد رواية السيد محمود عبد الله الشوابكة (29 سنة) نموذجا لغالبية روايات الأحفاد بهذا الخصوص، فيروي قائلاً:

حسب ما سمعت من الختيارية كانت الطائرات ترمي عليهم قذائف وكانوا يسموها كيازين والناس كانت قليلة ومفش قوة عندهم يقاوموا اليهود، واللي خوفهم أكثر وخلاهم يطلعوا الإشاعات والأخبار اللي كانت تصلهم عن المذابح والمجازر فكل هذه الأسباب أجبرت أهل البلد إنهم يطلعوا في النهاية.

يلاحظ بأن رواية السيد محمود لم تتطرق إلى تفاصيل كثيرة رافقت عملية القصف الذي تعرضت له القرية كالأماكن التي كانت تسقط عليها القنابل والتدمير الذي أحدثته، كما أنها لم تتطرق إلى لجوء أهالي القرية إلى الكهوف والمغاور للإحتماء من القصف قبل أن يجري ترحيلهم بشكل نهائي عن القرية، أيضا فهي لم تشر إلى إنسحاب الجيش المصري الذي تزامن مع احتلال القرية وترحيل الأهالي عنها وما إلى ذلك من أحداث وتفاصيل أخرى، وبذلك فإن روايات الأحفاد قد افتقرت إلى ميزة مهمة تميزت بها غالبية

روايات الآباء وبعض روايات الأبناء وهي عملية تصنيف وترتيب الأحداث وسردها بطريقة توحي بأنها رواية متكاملة لها بداية ووسط ونهاية. فبعضهم كان يبدأ بلحظة الخروج ثم يعود إلى الأحداث التي أجبرت الناس على الخروج والبعض الآخر كان حديثه عبارة عن استنتاجات وتصورات بعيدة عن حقيقة ما رواه كبار السن في هذا المضمار.

وتتفق روايات الأحفاد مع روايات الأبناء في تأكيدها على أن السبب الحقيقي للتهجير كان خوف الناس على حياتهم وأعراضهم وأن ما تعرضت له القرية من قصف وعمليات عسكرية مختلفة لم يكن سوى سببٍ ثانويّ ساعد في عملية التهجير، وهذا ما أشارت إليه غالبية روايات الأحفاد ومنها على سبيل المثال رواية الآنسة وفاء أحمد العزة (18 سنة) التي تقول فيها:

حسب ما سمعت كان في طيارات يضربن وكمان وصلت أخبار للناس عن اللي صار في دير ياسين والدوايمة فمن الخوف الناس حملت أغراضها وأولادها وشردت خوف على أنفسهم وعلى عرضهم، فالسبب المباشر للخروج كان هو الدعاية اللي زادت عن حدها لأنه ما كان ذاك الضرب والقصف عليهم.

والأبناء والأحفاد يختلفون في ذلك عن والآباء وكنا قد أشرنا في مكان سابق إلى ما رواه الآباء بهذا الخصوص، كما ركزت غالبية روايات الأحفاد على السياق العام للأحداث التي مرت بها القرية، فلم تذكر هذه الروايات أي أحداث أو مواقف اختص بها أشخاص محددون من القرية كالجد أو الجدة مثلا أو أحد الأقارب، فكانت تبدأ رواياتهم بالقرية وأهالي القرية بشكل عام وتنتهي بهم من غير أن تتوقف عند بعض المحطات الخاصة، ويبدو ذلك واضحا في الاقتباسات السابقة وكذلك في غالبية روايات الأحفاد إذا لم تكن جميعاً وهو الأمر الذي تميزت به كذلك غالبية روايات الأبناء ولكن بدرجة أقل من الأحفاد، فهناك عدد من الروايات ولكنها قليلة التي ذكر فيها الأبناء بعض المواقف التي مر بها أحد أقربائهم خلال تلك الفترة وفي الوقت نفسه فإن ذلك يعد من جملة الفروقات التي ظهرت في الروايات بين الآباء من جهة والأبناء والأحفاد من جهة ثانية.

كما أن العبارات التي دأب الآباء على ترديدها في رواياتهم تعبر عن المخزون العاطفي لديهم تجاه القرية وذكرياتهم فيها غابت كليا من روايات الأحفاد مثلما كانت غائبة من روايات الأبناء، وبدلا من ذلك

فقد عبر الأحفاد عن تمسكهم بأرض آبائهم وأجدادهم من خلال بعض الرؤى والمواقــف التــي طرحوهــا بوضوح في سياق حديثهم عن لحظة التهجير ودونما توجيه أسئلة بهذا الشأن، وقد تشــابهت غالبيــة هــذه الرؤى والمواقف لدى هذا الجيل، وفي الوقت نفسه فهي تجاوزت القرية ولاجئي القرية لتعبر عن الــوطن كلّه وعن اللاجئين جميعا، وفي هذا يختلف الأحفاد عن الأبناء الذين قلما كانت مواقفهم تتجاوز القرية، ويعد الموقف الذي طرحه السيد مخلص يونس العزة (38 سنة) حيال قضية اللاجئين مشابها لغالبية المواقف التي طرحت في سياق أحاديث الأحفاد عن لحظة الاقتلاع والتهجير، فقال:

إحنا كلاجئين ولا يمكن في يوم من الأيام انا نتنازل عن حق العودة إلي أراضينا وقرانا المهجرة وهاظا ألحكي ينطبق مش بس على اللاجئين الموجودين في فلسطين كمان اللاجئين الموجودين في لبنان وسوريا والأردن هاظا حق مشروع النا، والتعويض فــي النهايــة مرفوض، فالعودة حق طبيعي، انا صح انولدت هانا في مخيم العزة بس جذوري بترجع لبيت جبرين.

ويضاف إلى جملة التقاطعات التي أسلفنا ذكرها بين روايات الأبناء وروايات الأحفاد التي اختصت بهذا الجانب من ذاكرة الاقتلاع والتهجير الفروق التي ظهرت بين الذكور والإناث في غالبية روايات الأحفــاد، فعلى الرغم من غياب الصورة التفصيلية في مخيلة الطرفين للأحداث التي مرت بها القرية في تلك الفتــرة إلا أن الذكور بشكل عام كانوا أكثر إحاطة ومعرفة من الإناث في بعض التفاصيل المرتبطة بأحداث تلــك الفترة، فغالبية الذكور كانوا يعرفون بأن القرية قد تعرضت للقصف الجوي كما أن بعضهم كان يعرف بأن الأهالي قد احتموا في المغاور والكهوف التي تقع في أراضي القرية خلال أيــام القصــف، أمــا الإنــاث فبعضهن لم يكن لديهن معرفة بأن القرية قد تعرضت للقصف الجوي والقليل منهن كن يعرفن عن لجــوء أهالي القرية إلى المغاور والكهوف. هذا فيما يتعلق بأثر متغير الجنس ، أما فيما يتعلق بمتغير العمر فــي داخل الفئة العمرية نفسها فقد ظهرت بعض الفروق بين الأحفاد الذين تقل أعمارهم عن الثلاثين سنة وأولئك الذين تجاوزوا سن الثلاثين ولكنها فروق بسيطة وليست جوهرية ،أما المتغيــرات الأخــرى كالمســتوى التعليمي، ومكان السكن، فلم يكن لها أي تأثير ظاهر في غالبية روايات الأحفاد.

أخيرا وبناء على ما أظهرته غالبية روايات اللاجئين من مختلف الأجيال فقد اتضح بأن متغير العمــر كان له أثر كبير على مجمل ما تختزنه ذاكرة الأجيال عن الأحداث التي شهدتها قرية بيت جبرين خــلال

شهر تشرين ثاني عام 1948 حينما إشتدت هجمات القوات الصهيونية على القرية في إصرار مـن هـذه القوات على تهجير السكان وهو ما قد حصل في أواخر ذلك الشهر، حيث تميزت روايات الآباء التي تروي أحداث تلك الفترة بأنها تنطوي على الكثير من المشاهد والصور والذكريات التي حركت بداخلهم مشـاعر الحنين إلى المكان الذي ودعوه في تلك الأيام، ورغم طول الانتظار إلا أن هذه المشاعر لم تجف وهو مـا أمكن ملاحظته بوضوح أثناء تسجيل المقابلات، وما إن تم الانتقال إلى روايات الأبناء حتى بدأت تظهـر الفروق بين ما اختزنته ذاكرة الآباء وما استطاع الأبناء أن يحصلوا عليه من تلك الذاكرة ثم أخـذت هـذه الفروق تتعمق أكثر حينما تم الإمساك بروايات الأحفاد، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق قد طالـت المستويين الكمي والكيفي في الذاكرة المتعلقة بتلك الأيام وأحداثها، وأما على صعيد المتغيـرات المسـتقلة الأخرى فقد أظهرت غالبية روايات اللاجئين عدم وجود فروق جدية بين اللاجئين باستثناء تلك الفروق التي ظهرت بين الذكور والإناث في روايات كل من الأبناء والأحفاد.

4 :4. رحلة العذاب من القرية إلى المخيم:

قبل أن تنطلق رحلة العذاب – كما يصفها غالبية اللاجئين – من القرية في السـابع والعشـرين مـن تشرين أول عام 1948 أشار اللاجئون إلى جملة من الظروف والعوامل التي أجبرت أهالي القرية في نهاية المطاف على الهروب الجماعي من القرية، وفي الوقت نفسه فقد أكَّد كبار السن منهم بأنهم كانوا يتوقعـون العودة بعد مدة قصيرة ولكن هذه المدة طالت وطال معها الانتظار. وكنا قد أشرنا في الصفحات السابقة إلى بعض من هذه الظروف والعوامل التي أجبرت الأهالي على الخروج من القرية، فتحدثت الروايـات عـن تعرض القرية للقصف بالطائرات وقذائف الهاون وهو الأمر الذي أجبر أهالي القرية في المرحلة الأولـى من هذا القصف على الإحتماء في المغاور والكهوف التي تنتشر بكثرة في أطراف القرية، ورافق عمليـة القصف هذه إنزال بعض المنشورات من الطائرات وتدعو هذه المنشورات أهالي القرية إلـى الاستسـلام وطرد الجنود المصريين وكذلك المتطوعين، وفي تلك الأثناء وصل إلى القرية عدد كبير من أهالي القرى المجاورة بعد أن جرى ترحيلهم عن قراهم وهو الأمر الذي زاد من شعور الأهالي بأن ترحيلهم عن القرية

بات مسألة وقت، ثم توالت الأخبار عن المجازر التي إرتكبتها القوات الصهيونية في بعض المناطق ورافق ذلك إنتشار لبعض الإشاعات التي زادت من خوف الأهالي على حياتهم وأعراضهم.

وبقي أهالي القرية بين مد وجزر إلى أن جاء اليوم الذي انسحبت فيه القوات المصرية من القرية بعد أن تعرضت إلى قصف عنيف من الطائرات والمدفعية وكان ذلك في يوم الأربعاء الموافق 27 تشرين أول عام 1948 وحينها شعر الأهالي بأن لا خيار أمامهم سوى الرحيل عن القرية وهو ما حصل بالفعل في اليوم نفسه الذي إنسحبت فيه القوات المصرية وفي ساعات الليل تمكنت القوات الصهيونية من إحتلال القرية بعد مناوشات متفرقة مع عدد من رجال المقاومة الذين لم يتمكنوا من الصمود طويلا بأسلحتهم البسيطة أمام الطائرات والدبابات التي اجتاحت القرية من مختلف الاتجاهات. وفي صباح اليوم التالي حضرت إلى مشارف القرية قوة من الجيش الأردني مكونة من دبابتين وحوالي إثني عشر جنديا، وكان الشيخ عبد الرحمن العزة وهو الوجه البارز في القرية قد إستنجد بالأمير عبد الله عندما قررت القوات المصرية الانسحاب من القرية، ولكن القوة الأردنية لم تتمكن من الدخول إلى القرية وبعد وقت قصير أمر الضابط جنوده بالانسحاب لتضاف بعد ذلك قرية بيت جبرين إلى مئات القرى الفلسطينية الأخرى التي جرى تهجير أهلها منها ومن ثم تدميرها. كان ذلك مجمل ما تحدثت به روايات اللاجئين عن الظروف التي أحاطت بعملية تهجير أهالي قرية بيت جبرين، وفي هذا الباب سوف يتم تسليط الضوء على أهم المحطات التي تخللتها الرحلة الطويلة لأهالي القرية منذ اللحظة التي أُجبروا فيها على الخروج من قريتهم حتى انتهى بهم المطاف في المخيم، مستهلين ذلك بروايات الآباء ومن ثم الأبناء وأخيرا الأحفاد.

ولأنهم كانوا يتوقعون بأن الرحلة لن تطول تركوا كل شيء في بيوتهم ولم يأخذوا معهم سوى ما خف حملانه وكان ضروريا لرحلة قد تستغرق أياماً وربما شهراً أو شهرين على أسوأ تقدير رغم أنه كان بإمكانهم أخذ الكثير لأن القوات الصهيونية لم تكن قد دخلت القرية في تلك الأثناء، وكانت المحطة الأولى لغالبية الأهالي هي القرى والأراضي القريبة من القرية الواقعة إلى الشرق منها، ولسان حالهم كان يقول بأنه لا داعي للابتعاد أكثر لأن العودة قريبة. هذا ما كان يعتقده أهالي القرية عندما أُجبروا على الخروج

من قريتهم حسب ما أفادت به غالبية روايات الأجداد، فتروي الحاجة زينب محمد أبو منصور (70 سنة) قائلة:

طلعوا هالناس على إذنا وترقوميا وعلى بيت أولا وعلى هالبلاد القريبة واشي عالخليل، أكثر الناس دشروا حبهم ودشروا حوايجهم وأغراضهم وطلعوا يعني الواحد حامل صرّة غيارات للأولاد واشي حامل إلحاف واشي حامل فرشة، بقوا يقولوا أيام وبترجعوا وبعدين تنعوفوا هالناس وراحوا وظلت هي الطلعة لا رجعنا ولا حاجة.

فكانت المحطة الأولى لا تبعد سوى بضعة كيلو مترات عن القرية حيث توزع غالبية أهالي القرية على بعض القرى القريبة من بيت جبرين التي بقيت تحت سيطرة الجيش الأردني مثل إذنا وترقوميا وبيت أولا وهناك بعض العائلات توجهت مباشرة إلى مدينة الخليل، وفي تلك الفترة شعر الأهالي بان غيابهم عن القرية سوف يطول والشتاء أصبح على الأبواب فكان لا بد من التسلل إلى القرية لأخذ ما يمكن أخذه من أمتعة وحاجيات كانوا قد تركوها في بيوتهم وكذلك ما استطاعوا حمله من القمح والشعير الذي بقي مخزنا في الخوابي،[15] ولكن بعضهم دفع حياته ثمنا لذلك، حيث تحدثت الروايات عن عدد كبير من أهالي القرية الذين استشهدوا خلال عمليات التسلل تلك، فأطلقت النار على بعضهم بعد أن وقعوا في قبضة القوات الصهيونية وآخرين انفجرت فيهم ألغام كانت مزروعة في محيط القرية وفي داخل بعض البيوت، وتروي الحاجة عائشة عبد الرحمن العزة (78 سنة) قصة إستشهاد زوجها السابق وخاله عندما تسللوا إلى القرية من أجل إحضار ما يمكنهم حمله من محصول الشعير الذي بقي مخزنا في أحد الآبار المخصصة لتخزين الحبوب، فروت قائلة:

ظل في النا بير مليان شعير في بيت جبرين، البير مش في وسط البلد كان في حبلة أم جديع بير شعير والله يوم صاروا يخزنوا فيه قال رحمة إبراهيم لأمه عدي يمة صارت كل ما يوخذو نقلة عالجمل وعلى بعيد منك الحمار تحط حصوة في عبها تروحت وداروا الحصو اللي في عبها إلا هو تعريمة الزبدية بقن زبادي زرق، عد عد إلا هن ستين فردة شعير هاظا البير ظل، صاروا يتسللوا عليه ينطروا فيه انهار بدهم يطيحوا على دارنا مش على حدا هانا بدهم يطلعوا من دار حسين أبو حسين على ظهر الحيط وعلى ظهر الحيط بقى في شباك يطيح منو الزلمة بدهم يمرقوا من هناك على البير واثاري اليهود حاطين ألغام في الدور والا هم بدقمو سلك ويثور اللغم هو وخالو ماتوا وظلوا على ظهر الحيط، في واحد بقلولوا جوز أم العز من الغبارية وكمان واحد بقلولوا العنيد باقيين أسرى عند اليهود اجو اليهود على ثورة اللغم وشافوهم مرميين قال اليهودي جيب كاز يا حبيبي ودير عليهم واحرقهم هذيلاك عرفوهم حسين العنيد بقى يخدم عليهم وهاظا جوز أم العز بقى حصاد ومرتو غمارة على دار حماي، اليهودي قال احرقوهم مرظيش العنيد وهظاك، قايل العنيد لهظاك بتعرف هاظ مين؟ قلو هاظ يا إبراهيم يوسف يا أبوه، قال ظلينا نتحايل عاليهودي ولا يا خواجا تحطيناهم في سقيفة ورجدوا عليهم

---

[15]. آبار كان يستخدمها الناس لتخزين الحبوب وخاصة القمح.

ورروحوا محرقوهمش، إحنا درينا سمعنا اللغم يومن ثار بقينا في عراق ثريا معزبين مع الحلال سحب حالو حماي وطـاح هـو وسـعيد شاكر باقي طايح وهو في تل صندا حنة بس سامع الصيحة إبراهيم قايل آه يا قطيعتك يابا وهظاك قايل آه يا قطيعتك يا اخوي ثاني يـوم اخذوا الجمال واخذوا هالشباب وطاحوا يجيبوهم تفتحوا السقيفة اللي حاطينهم فيها لقوا سلك على رجليهم مش قايمينوا قـالوا هـذول ملغومين إحنا بدنا نكتل حالنا عاودوا سدوا هالسقيفة يا بني وظلت هي قبرهم لهلحين ولبكرة.

ولم يقف الاحتلال عند حد احتلال القرية وتهجير أهلها منها، فعلاوة على ذلك قام جنوده بملاحقة الناس في المناطق التي لجأوا إليها، فقتلوا عددا منهم وأسروا عددا آخر على الرغم من أن المناطق التي تجمـع فيها أهالي القرية بعد ترحيلهم كانت خارج حدود الدولة اليهودية التي أعلن قيامها في منتصف شهر أيـار عام 1948 وهي تقع تحت سيطرة الجيش الأردني ولكن ذلك لم يمنع القوات الصهيونية من قتـل المزيـد منهم والإمعان في تشريدهم حتى من أماكن اللجوء، ويروي الحاج موسى عبد القادر الشوابكة (77 سنة) ما كان شاهداً عليه من عمليات قتل ومطاردة، فروى قائلا:

بعد ما طلعنا شو بدي احكيلك حطينا في خربة بقلولها القصّة بالغنم مش بقلك إحنا اطلعنا مع غنم حطينا هناك وصرنا وين نرعـى؟ قريب من ارض بيت جبرين تحت نهوِّد في المنطقة نهار إلا طالعة هالطيارة تحوم وين الجيش الأردني بقى، احـزر؟ بقـى حـاط عنـد ترقوميا تحت شايف والله شردنا وتلفعنا والله شوي وشوف عيني هذي وأنا الساع حي ارزق إلا طالعات أربع دبابـات بلـون السـمقة الحمرا بلون هالبساط، في واد القف شايف وصلن خربة بقلولها جمرورة كتلوا وقتها واحد حدار وكتلوا بنت لعيلة القيسي شردت وهـي على كتف عمتها بنت زغيرة اجت فيها رصاصة وكتلتها شايف وكتلوا كمان حرمة، وبقن جمال وكتلوهن وبقى في بقـر يرعـو هنـاك ساقوا البقر برعيانهن وهودوا غربة بعدها إلا جاي علي واحد أردني انا كان وقتها عمري في العشرينات هاظ بعد ما طلعنا بفترة، بقلّـو يا زلمة اليهود وصلوكو وكتلوا هالعالم وما اطلقتوا عليهم ولا طلقة قال يا خيو هاظا سر حكومة عيب انا أقلك إياه، والله من البسـطار للشعار معاش واحد إحنا واليهود، وإحنا انتخينا والقايد قال ارمو سلاحكم روحوا الله يساهل عليكو وعند ما نرمي سـلاحنا شـو بـدنا نسوي في اليهود عاودنا قعدنا وسكتنا، لموا إللي لموه واخذوا إللي أخذوه وحاشوا إللي حاشوه وظلوا مغربين شـايف كيـف. هـذول الأردنيين عاودوا بحشوا خندق وحطوا مدفع والله ما كان واحد أردني يقعد عند المدفع وهو يمكن مدفع فاظي شايف، مؤامرة يـا خـال مؤامرة كلها هذي كلها مؤامرة عربية لا تسجل ولا تتعب حالك.

وبعد أن ساءت الظروف المعيشية للناس نتيجة لحالة البؤس والفقر التي وصلوا إليها وكـذلك بسـبب مطاردة القوات الصهيونية وملاحقتها لهم في تلك المناطق أخذوا يتنقلون من مكان لآخر ومن محطة إلـى أخرى بحثا عن لقمة العيش والمأوى والأماكن الأكثر أمنا، وبعد عدة أشهر على هذا الحال تم إنشاء مخيم بير السفلى في المنطقة الواقعة بين بيت أولا وترقوميا وحينها تجمع أهالي القرية من جديد في هذا المخـيم واستمروا فيه لعدة شهور إلى أن تم إغلاقه ومن ثم توزع أهالي القرية مرة أخرى وكانت هذه المرة علـى مخيمات اللجوء التي طال فيها الانتظار وخاصة مخيم الفوار، وبيت جبرين (العزة)، والعروب، وعايـدة،

وبعض المخيمات الأخرى في الأردن كمخيم جرش، والبقعة، وعين الباشا، وقليل منهم استقر به الحال في بعض المدن الفلسطينية كالخليل وبيت لحم ورام الله.

وبالإضافة إلى ما رواه الآباء عن تجربة الاقتلاع والتهجير التي مر بها أهالي القرية بشكل عام فقد تحدثت رواياتهم كذلك عن تجاربهم الخاصة فروى كل منهم رحلته منذ اللحظة التي ودع فيها القرية حتى لحظة وصوله إلى المخيم مركزا بذلك على كل ما أسعفته به الذاكرة عن تلك الرحلة الطويلة بمحطاتها المختلفة، فمثلا، هذه الحاجة ظريفة عواد الحموز (70 سنة) تروي رحلة العذاب التي سافرت فيها مع أسرتها حينما كانت طفلة في الثانية عشرة من عمرها، فروت قائلة:

لما اطلعنا انا كنت حامل على ظهري في واد القف وأمي حاملة على راسها وبتصيح لاقتنا وحدة من العرب إللي بنعرفهم كمان هي حاملة وبتصيح التقت هي وأمي وصارن يصيحن بدوية هذي، إحنا شردنا في الطيران يا بني، كل حين بقينا نشرد، لما اطلعنا بالمرة طلعنا المغرب وطلعنا والطخ قايم وطلعنا ورحنا على قريب من إذنا شو اسمه إللي اصطلحوا فيه أهل بلدنا وأهل إذنا خربة هذي بسموها القوقا، في القوقا قعدنا والله العظيم صارن يطحنن على ايديهن وصاروا يسرقوه يسرقوا الحبات إللي حاطهن بس على قدك، منهم فيهم اللي معوش يسرق، قالت أمي هذي بدها تصير الحياة مش كويسة ياالله خلينا نروح ورحنا وهناك ظلينا على بير بيت علان قاعدين، اجو بقلك روحوا وراحوا جابوا حوايج دار عمي وهالمتأخرات وحولوهن وحطوهن هناك وصلنا إذنا وبعد إذنا قلنا ياالله خلص نروح وسحبنا حالنا وطلعنا وهالناس كلها شاردة يوم ادير وجهك تقول شو في عالم ما تقدرش تمشي عالاسفلت هالعجول مذبحات مدعوس عليهن، وهالناس تجري، والله يا بني محملين، طلعنا جينا على الطريق هذي بيت علان ولا شو اسمها هناك لاقانا واحد كان يُدرسّنا زيت لاقانا قال والله من وين يا أختي انتم؟ قالت أمي إحنا من البلاد اللي الله قطعها قال قطع الله كل البلاد، خليلي هو معاه بغل بعيد عنك، قال أمانة الله ما أنت أم العبد قالت والله أم العبد بزاتها قال والله مني عارفك يا حرمة أنت عبدة ولا حرة قالت الهوا إللي أجانا بكفينا واخذ بقى اخوي محمد زغير حملوا وحطو معاه وركبنا يسرى عالفرس من ورا على البغل وطلعنا إحنا وظلينا ماشيين وين روحنا روحنا على حارة الشيخ عالخليل، في واحد أبو نوارة اسمه بقى يجي علينا في بيت جبرين كأنه ملك الذبايح والأكل والشرب الو ولنسوانه والله ما تعرَّف علينا شايف كيف ما إحنا لاجيين صرنا، والله ظلينا هناك واخوي والله اتظيع بليلتها صاروا يدوروا عليه قال أبوي خلص انا بروح اشوفو وراح هناك وظل يدوِّر لما انه جابو زغير بقى يمشي، وظلينا هناك قعدنا عندهم والله في مغارة ميكلها الدلم وبعدها رحلنا الدنيا أثلجت طحنا على إذنا الزلمة إللي بقى يشتغل على بابورنا قال طيحوا على أبو جبرين في إذنا رحنا على أبو جبرين قالت أمي شو سويتنا يا أبو جبرين قال والله انا بدي اشوفلكم دار واقعدوا الليلة عند دار أخوي وبكرة بندبركم قالت والله إحنا مش قاعدين عند دار أخوك هيك إحنا بندبر حالنا كان أبوي مع الحلال هو وعبد اخوي إلا هو طايح شايفنا هالجامع جامع كبير قعدنا فيه، دار أبو فودة ودار إبراهيم احمد قعدوا فيه، كل شقة قد الدار هذي قوس قلاب، قعدنا فيهن تأفرجها الله، والله يطيحو عالبلد بيت جبرين الناس شو بدهم يجيبوا حاجة يوكلوها يطيحوا عالبلد يقحشوا هلي بلقوه، نهار طايحين في دار للدعاجنة إلا فيها سلاح هذي على طرف البلد وكل واحد على مقدرته اللي قدر يجيبو بيجيبو وأعطوه للجهاد المقدس بقى في جهاد مقدس، وشو بدي أقلك. قعدنا في إذنا بيجي ثلاث اشهر وبعدين رحنا على شعب الملح هاظا في الخليل عند هالناس الطيبين والله هالولد ابنهم الله يرحمه وأبو كويِّس هم من الخليل من دار النّي، قال يا أم العبد والله ما انتو طالعين من هانا، قالتلو يا ابني. قال اسمعوا انتم لاجيين الله يعينكم والله العظيم انه من زاد أبونا الخليل ولا من زادكم بتذبحوا ما ذاق حاجة بقى شاب في الجيش الأردني، والله ظلينا عندهم كويسين ومحترمين عنبية ودبس وكل اشي والله يجيبو البندورة والخيار عالحمار والله من جميعه كوساية بامية لوبيا بندورة كل شي هاظا النا يجيبوه بالبلاش، والله قعدنا بيجي سنة وبعدين روحنا على مخيم هاظا شو اسمه بير السفلى يا قعدت غراب البين كل يوم مكتلين ناس مروحين مكتلين، والله يجوا اليهود والله يصلوا ترقوميا يعني شو بدي أقلك بقيت انا وعبد اخوي رايحين نودي فطور لابن أبو فودة، يوم رحنا قلتلو هالحين بدنا نروح قال وإحنا نقطع حطب عشان نوخذو معانا، لاقتنا وحدة من بلدنا بنت الشوبكي وأختها لاقينا قالت والله توخذو هالمفتاح تعطوه لمرة الدسوقي تفتح على هالجاجات، أخذت انا المفتاح، الله وكيلك أول ما خشينا إلا اليهود جايين لحقوهم طخوا المرة اللي أعطتنا المفتاح

وكمان وحدة بقى معها بنتها شوية مروحينها عالجمل ميتة، وبنت عمها كمان صارت تفافي في غير شقة وحالة بقت زفت مغلي كل يوم الناس يتكتلوا ويطلعوا اليهود يلحقوا الناس لحد ترقوميا اللي يلاقوه في طريقهم يوخذوه ولي ما يقبظوه يطخوا عليه، والله عاودنا روحنا قالت أمي انا بديش إياها هذي المنطقة، إحنا رحنا آخر الناس على مخيم بير السفلى والله ما القينا خيمة أجوا في اساتزة اثنين بقربو لامي الاستاز موسى يونس والاستاز عبد المعطي قال يا خالة هينا سوينا خيمة الك وإحنا ازلام وين ما كان بنقعد عند دار احمد حسن عند أي واحد أعطونا إياها وقعدنا فيها، بعدها بشوية هيك قعدنا والله وطولنا فيها، وقعدنا في هالخيمة، بعد بير السفلى جابونا هانا عالفوار حطونا عند الريحية هناك رمونا، وين ما كان انتقلنا ونروح عالحطب والله شفنا أيام زي القطران، والله العظيم انا بقيت زغيرة إني والله أصيح عشان اطلعنا من البلد نصيح تنهلك تقول جدتي يا جدة توكلي على الله اتصيحيش بنرجع، والله انعمين عنينا وإحنا نصيح بقينا مكيفين في البلد يا بني.

وكما أظهرت روايات الآباء بأن غالبية أهالي القرية قد خرجوا من القرية مشيا على الأقدام وبعضهم ركب على الدواب فإن هذه الروايات أظهرت كذلك بأن غالبية أبناء حامولة العزة قد خرجوا في الباصات التي استأجرها أشخاص منهم وكذلك في بعض السيارات التي كانوا يملكونها، كما أن مسار رحلتهم وبعض محطات التوقف قد اختلفت هي الأخرى، وربما يعود السبب في ذلك إلى المستوى الاقتصادي الجيد لهذه الحامولة الذي تميزت به عن الحمائل الأخرى بشكل عام، وكنا قد أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق. فكانت الوجهة الأولى لغالبية أفراد هذه الحامولة هي مدينة الخليل وقليل منهم لجأ في البداية إلى القرى المحيطة ببيت جبرين كما فعل غالبية أهالي القرية، ومن الخليل توجه بعضهم إلى مدينة أريحا والبعض الآخر إلى قرية بيت أولا، ولم تمض بضعة شهور حتى عاد من ذهب منهم إلى أريحا ليستقر به الحال بعد ذلك في بيت لحم، وحينها أقيم مخيم بيت جبرين أو مخيم العزة كما يطلق عليه الذي استقطب إليه فيما بعد غالبية أبناء الحامولة الذين لم يغادروا فلسطين وهم الآن يشكلون غالبية اللاجئين المقيمين في هذا المخيم، وتجدر الإشاره هنا إلى أن هذه الاختلافات التي أشرنا إليها بين حامولة العزة وبقية الحمائل الأخرى لم تكن ظاهرة في روايات الآباء من الحمائل الأخرى وإنما أُشير إليها فقط في روايات الآباء الذين ينتمون إلى حامولة العزة، وهي لم تظهر في رواياتهم بقصد التأكيد على تميز هذه الحامولة وإنما جاء ذلك في سياق رواية الآباء عن رحلة عذابهم الطويلة من القرية إلى المخيم بغض النظر عن وسيلة التنقل وكذلك محطات التوقف. ويبدو ذلك واضحا في رواية الحاج عواد أحمد العزة (80 سنة) الذي يروي رحلة خروجه من القرية حتى انتهى به المطاف في مخيم بيت جبرين/العزة، فيقول:

طلعنا انا وابن عمي جبنا تَرَك وحملنا العفش فيه وطلعنا على الخليل، طولنا في الخليل قعدنا حوالي شهرين وبعدين عاودنا على بيت أولا وقعدنا مدة في بيت أولا سنتها أثلجت على الخليل ثلجة قوية ولما أثلجت عاودنا رحنا على بيت أولا انا وأولاد عمي اثنين وطولنا في بيت أولا، في ناس من جماعتنا ظلوا في الخليل أولاد عمي طلعوا على ريحا وفي واحد منهم ظل في الخليل، بعد بيت أولا انا اجيت هانا على بيت لحم لأنه صاروا كل قرايبي تقريبا في مخيم العزة اللي بقى في ريحا أجا من ريحا واللي بقى في الخليل أجا من الخليل وتجمعنا هانا في المخيم.

وأخيرا، فقد أظهرت غالبية روايات الآباء عدم وجود أي فروق ذات قيمة بين اللاجئين من هذه الفئة العمرية باستثناء ما أشرنا إليه بخصوص ما أظهرته روايات الآباء ممن ينتمون إلى حامولة العزة من إختلافات لها علاقة بوسيلة التنقل التي اعتمد عليها غالبية اللاجئين من هذه الحامولة لحظة خروجهم من القرية، فهم خرجوا بالباصات التي كانوا قد استأجروها وكذلك في بعض السيارات والشاحنات التي كانوا يملكونها، بينما خرج غالبية اللاجئين من الحمائل الأخرى مشيا على الأقدام وبعضهم ركب الدواب، كما أن المحطة الأولى لغالبية اللاجئين من حامولة العزة كانت مدينة الخليل، بينما كانت المحطة الأولى لغالبية اللاجئين من الحمائل الأخرى هي القرى الواقعة على الحدود الشرقية لقريتهم. وما عدا ذلك لم يكن هنالك من اختلافات بين الآباء لها علاقة بمكان السكن أو الجنس وما إلى ذلك من متغيرات أخرى.

وأما الأبناء، فقد أظهرت غالبية رواياتهم وجود فروق جوهرية بينهم وبين الآباء بهذا الصدد، فكما أسلفنا عن روايات الآباء بأنها كانت تصف عملية التهجير وما رافق ذلك من رحلة عذاب طويلة بأدق تفاصيلها من لحظة الخروج حتى المحطة الأخيرة في هذه الرحلة فإن غالبية روايات الأبناء في مقابل ذلك قد قصرت الموضوع على تسمية الأماكن أو المحطات التي لجأ إليها أهالي القرية وقلما كانت لديهم معرفة بالتفاصيل المرتبطة بتلك المحطات كما أن بعضهم قد تجاوز عن بعض المحطات في هذه الرحلة والبعض الآخر كان يذكرها دون مراعاة للتسلسل الزمني كما وردت في روايات الآباء، فكان يبدأ الحديث مثلا عن المحطة الأخيرة ومن ثم يعود بحديثه إلى المحطة الأولى أو الثانية وهكذا، ولكن بشكل عام فإن غالبيتهم قد ذكروا في رواياتهم أهم المحطات التي تجمع فيها أكبر عدد ممكن من أهالي القرية، أيضا فإن غالبية روايات الأبناء كانت تركز أكثر على أهالي القرية بشكل عام والمحطات التي تجمع فيها غالبية اللاجئين مثل مخيم بير السفلى، ومدينة الخليل، ثم المخيمات الحالية بخلاف روايات الآباء التي كانت تركز أكثر

على تجربة الراوي نفسه مع عدم إغفالها للسياق العام لتجربة أهالي القرية ولكن بتركيز أقل، وتبدو هـذه الاختلافات واضحة لدى مقارنة رواية السيد أكرم حسني الحليقاوي (45 سنة) التي تشكل نموذجا لغالبيـة روايات الأبناء بهذا الخصوص مع روايات الآباء السابقة، فيروي قائلا:

طلعوا الناس من البلد على منطقة مش بعيدة، على منطقة إذنا وجمرورة ومش عارف ايش يعني على الحدود ما بين إذنـا وبيـت جبرين وطلعوا على أساس إنهم بدهم يرجعوا وطالت الخريفية وبعدين الوكالة صارت تعمللهم مخيمات أولها من الخيام مثل مخيم الفوار والعزة والعروب وفي بعض مخيمات الأردن وتجمعوا فيهن وفي ناس راحوا عالخليل وظلوا فيها، انا جدي عاش في الخليل بعد الطلعـة وتوفى فيها.

ويلاحظ بأن رواية السيد أكرم لم تتطرق إلى كثير من التفاصيل التي وردت في روايات الآباء، فهناك الكثير من المحطات والمواقف والأحداث التي تخللت رحلة الخروج من القرية إلى المخيم لـم تـرد فـي روايته، وفي المقابل فهي قد وردت بتفصيل في روايات الآباء، كما أنه لم يتطرق في روايته كثيـرا إلـى التجربة الخاصة التي مر بها الأب أو الجد وركز أكثر على تجربة أهالي القرية بشكل عام.

أما فيما يتعلق بعمليات التسلل إلى القرية من قبل اللاجئين وهو الأمر الذي أدى إلى استشهاد عدد منهم خلال تلك العمليات في مرحلة اللجوء الأولى عندما كانوا قريبين من القرية، فقد تحدثت روايات الأبناء عن هذا الموضوع ولكنها تحدثت عنه بشكل عام ولم تشر إلى حوادث معينة والتفاصيل المتعلقة بها كمـا فـي روايات الآباء وإنما اكتفت رواياتهم [الأبناء] بالإشارة فقط إلى حدوث عمليات تسلل وكانت أسماء الشهداء تذكر فقط عندما يكون هنالك صلة قرابة بين الشهيد والشخص الراوي وما عدا ذلك كانت تتم الإشارة إلى وقوع شهداء ولكن دون تحديد أسمائهم، ومثال ذلك ما روته السيدة رجاء عبد الفتاح الخاروف (52 سـنة) في روايتها التي تقول فيها:

كانوا الشباب يرجعوا ويتسللوا في الليل يروحوا يجيبوا قمح وأغراض الهم من البلد ويرجعوا طبعا واللي كانوا يمسكوه اليهود كـانوا يقتلوه، وفي ناس يروحوا يلموا فشك فاضي ويبيعوه في مدينة الخليل عشان يصرفوا على حالهم والي قرابة استشهد بعد الطلعة اسـمه عبد الحافظ المهدي جوز فاطمة عودة.

إن ما روته السيدة رجاء عن عمليات التسلل إلى القرية بعد التهجير والشهداء الذين سقطوا في تلـك العمليات يعد نموذجا لما ورد في غالبية روايات الأبناء بهذا الخصوص، وهم [الأبناء] يختلفون في ذلـك

عن الآباء الذين شملت رواياتهم أسماء الشهداء والظروف التي استشهدوا فيها بغض النظر عن وجود صلة قرابة بين الشهيد والشخص الراوي أم لا.

كما أشارت غالبية روايات الأبناء إلى السبب الذي منع أهالي القرية من حمل كل أغراضهم ومستلزماتهم وحبوبهم التي بقيت في القرية بعد ترحيلهم منها، وهو السبب نفسه الذي جعلهم يفضلون البقاء مدة من الزمن في المناطق القريبة من القرية بعد الترحيل، وبالتالي فإن الأبناء قد أدركوا بأن الآباء كانوا متفائلين كثيرا بالعودة القريبة إلى القرية في ذلك الوقت وربما يعود السبب في ذلك إلى تركيز الآباء على هذه النقطة في رواياتهم واستخدامها أحيانا في سياق ردودهم على بعض الأبناء والأحفاد الذين يوجهون اللوم إليهم [للآباء] لأنهم تركوا القرية، وتشير رواية السيد حسن إبراهيم الحمـوز (40 سنة) وغيرها من الروايات الأخرى إلى ما كان يعتقده الآباء حينما اضطروا إلى الرحيل عن القرية، فيقول السيد حسن:

كل القصص اللي بتنحكى بتأكد على اشي واحد انه هم كانوا يعتقدوا إنهم راجعين والمسألة مسألة وقت عشان هيك أول ما كان اللجوء كان على المناطق القريبة من بيت جبرين ومش بعيدة عنها وما اخذوا معهم إلا القليل وبعدين اضطروا مع الوقت إنهم يرجعوا للمخيمات لما وكالة الغوث جمعتهم في المخيمات.

أما فيما يتعلق بوسائل النقل التي استخدمها أهالي القرية لحظة خروجهم فلم تركز روايات الأبناء كثيرا على هذه النقطة وغالبا ما كان يتم التطرق إلى ذلك الموضوع عندما يتم توجيه سؤال بهذا الخصوص، على عكس غالبية الآباء الذين كانوا يتحدثون عن كيفية خروجهم من القرية بطريقة عفوية للتدليل على حجم المعاناة التي واجهوها في رحلتهم، وعندما كان يتم توجيه سؤال للأبناء بهذا الشأن غالبا ما كانوا يعرفون طريقة خروج آبائهم من القرية، فغالبية الأبناء الذين ينتمون إلى حامولة العزة كانوا يعرفون بأن غالبية أبناء حامولتهم قد استخدموا السيارات وبعض الباصات المستأجرة عندما رحلوا عن القرية وفي المقابل فإن غالبية الأبناء من الحمائل الأخرى كانوا يعرفون بأن آبائهم قد خرجوا مشيا على الأقدام وعلى بعض الدواب المتوفرة لديهم، وتشير رواية السيد شريف محمد العزة (41 سنة) إلى طريقة خروج والده وجده وأحد أعمامه من القرية، فيقول:

أهل البلد طلعوا مرة وحدة اللي كان عنده خيل طلع عالخيل، بالنسبة لأبوي كان عندهم خيل وكان في سيارة ترك لواحد من قرايبنا للشيخ محمد عبد الهادي، أبوي وسيدي طلعوا عالخليل في السيارة الترك واخذوا هالفشكات والذهبات والليرات معهم أما عمي اكبر من أبوي طلع عالخيل في خربة بين ترقوميا وإذنا.....

أما السيد خالد عبد الله الشوابكة (45 سنة) فهو يشير في روايته إلى الطريقة التي خرج بها غالبية أهالي القرية، فيقول: ***"بخرفو الختيارية إنهم طلعوا مشي وعلى الدواب معظم أهل البلد وبعدين كل أهل البلد طلعوا مرة وحدة من بيت جبرين وفي منهم ناس أجا على السنابرة قريب من ترقوميا وناس أجا على تفوح....."***

أيضا وفي سياق الحديث عن الفروق بين الأبناء، فقد أظهرت غالبية الروايات وجود فروق جوهرية بين الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة وبين من هم دون الستين، فهناك الكثير من الأحداث والمواقف التي حصلت خلال رحلة الخروج من القرية إلى المخيم يتذكرها الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين رغم صغر سنهم في ذلك الوقت وبالتالي فإن رواياتهم كانت أقرب إلى روايات الآباء من روايات الأبناء الذين تقل أعمارهم عن الستين سنة، فتحدثت رواياتهم عن بعض التفاصيل المتعلقة بمحطات اللجوء التي تخللت رحلة الخروج من القرية، كما أنها تسلسلت في تتبع تلك المحطات كما في روايات الآباء وبالتالي فهي لم تقدم محطة على أخرى بعكس ما أظهرته روايات الأبناء الذين تقل أعمارهم عن الستين سنة، وقد يبدو ذلك واضحا في رواية السيد عبد الله عبد الرحمن غطاشة (63 سنة) وكذلك روايات الأبناء كافة الذين تجاوزوا الستين سنة، فيروي السيد عبد الله قائلا:

طلعوا تقريبا في آخر سنة أل 48 إحنا طلعنا وأنا بتذكر انه أبوي كان حاملني على ظهره كان عمري أربع خمس سنوات اذكر زي الحلم بالزبط كان حاملني على ظهره وسايق قدامه بقرة، البقرة النا كان سايقها قدامه وحاط عليها الاواعي والباقي يمشي واخوي الكبير هاظا يمشي وكان حاملني على ظهره ولما طلعنا ووصلنا كروم الخلايلة جعت انا قلتله يابا بدي أوكل جعان إحنا مفش معانا حاجة نوكلها والله اذكرها كأنها قدام عيني الحين انه لاقى خبزة خضرة مخضرنة في حيط أعطاني إياها وقرشتها زى الحلاوة والله أكلتها كأنها حلاوة وأنا بقيت زغنون واذكرها ميّة في الميّة. وبعديها طلعنا على حلحول شوية قعدنا ببجي كمن شهر وعاودنا اجينا عالخليل هانا على منطقة اسمها عيصى وقعدنا في المغر هناك والحمد لله رب العالمين بدال ما يظيفونا أهل هالبلاد لأنه إحنا هاجرنا كانوا ينزلوا يسرقونا وسرقونا واخذوا اللي معانا كان مع العجايز حاجات ذهبات سرقوهن واخذوا الباروده تبعت اخوي الكبير سرقوها وأخذوها لأنه مكانش موجود بعديها لما انسرقنا طحنا استأجرنا في الخليل وقعدنا في الخليل نزلنا من عيصى وقعدنا في الخليل، سكنا 18 سنة إحنا في الخليل وكبرت بقيت ولد زغير كبرت وتجوزت في الخليل وأبوي توفى في الخليل واندفن في الخليل وإحنا تربينا يتامى وكبرنا وتجوزنا في الخليل وبعديها شاءت الأقدار انه النا ميّة نيجي هانا عالفوار سكنت انا هانا في 1975 في الفوار.

أما فيما يتعلق بأثر بعض المتغيرات المستقلة الأخرى كالجنس ومستوى التعليم، وكذلك مكان السكن على ما تضمنته روايات الأبناء التي اختصت بالحديث عن رحلة العذاب من القرية إلى المخيم فإنه لم يتم رصد أي اثر ملموس لهذه المتغيرات على روايات الأبناء بهذا الخصوص، فغالبية الروايات كانت متقاربة

إلى حد كبير باستثناء روايات الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة، وهو ما أشرنا إليه سالفا. بالتالي فإن المتغير الأساسي الذي أظهرت غالبية الروايات بأن له أثر ملموس على روايات الأبناء هو العمر.

وبعد أن جرى إستعراض لأهم ما تضمنته روايات الآباء والأبناء من معرفة وتصورات وتخيلات وكذلك بعض الدلالات المتعلقة بخروج الأهالي من القرية إلى المخيم – وكنا قد لمسنا وجود فروقات بين الجيلين بهذا الخصوص – بقي أخيرا أن نتعرف على ما جاءت به روايات الأحفاد عن هذه الذاكرة ومدى التقارب أو الاختلاف بين هذا الجيل والأجيال التي سبقته في هذا المضمار.

ولقد أظهرت غالبية روايات الأحفاد بأن الصورة التفصيلية لرحلة الآباء من القرية إلى المخيم كانت غائبة إلى حد كبير من مخيلتهم وأن كل ما لديهم عن هذه الرحلة لم يتعد سوى الإشارة إلى بعض المحطات التي توقف فيها الآباء بعد أن هُجِّروا من القرية، وبالتالي فإن رواياتهم كانت مجردة إلى حد كبير من الصور، والدلالات، والتشبيهات التي غصت بها روايات الآباء، وبعض روايات الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة عندما كانوا يصفون رحلتهم وحجم المعاناة التي ألمت بهم خلال تلك الرحلة، وتوضح رواية السيد وليد خالد الحموز (39 سنة) الصورة العامة التي أظهرتها غالبية روايات الأحفاد عن رحلة أجدادهم من القرية، وهنا ينبغي الإشارة إلى أن روايات الأحفاد كانت تركز أكثر على المحطات التي لجأ إليها أقارب الشخص الراوي [الحفيد] وقليلا ما تطرقت إلى أهالي القرية بشكل عام، ويروي السيد وليد قائلا:

لما طلعوا أهل البلد في أل 48 بعرفش بالزبط في أي شهر، اللي كان منهم يعرف ناس في القرى الثانية راح عليهم يعني راحوا ناس على بيت أولا وراحوا ناس عالخليل، أهلي سكنوا في الخليل عند نسايب الهم أول اشي قعدوا في سهول قريبة من إذنا لفترة ما بعدين راحوا عند نسايب النا في الخليل وسكنوا عندهم شوية بعدين أجوا عالمخيم هان، مع بداية الخمسينات الناس سكنوا في خيام في المخيم وبدأوا يحضرولهم غرف الوكالة يعني يحضروا لمخيم دائم من مخيم خيام لمخيم غرف.

وبشكل عام لا يمكن الحديث عن فروق جوهرية بين الأحفاد والأبناء فيما يتعلق بمعرفة كل طرف منهم عن محطات اللجوء، هذا إذا ما استثنينا الأبناء الذين تجاوزت أعمارهم الستين سنة، فغالبية روايات الأبناء خلت هي الأخرى من التفاصيل المتعلقة بمحطات اللجوء، واكتفت بذكر أسماء تلك المحطات كما في روايات الأحفاد، ولكن يبقى هناك فرق طفيف بينهم وهو أن روايات الأبناء كانت تركز

أكثر على محطات اللجوء التي لجأ إليها قسم كبير من أهالي القرية ولم تركز كثيرا على المحطات التـــي تخص الأقارب، أما الأحفاد فكانوا على العكس من ذلك حيث ركزت رواياتهم على الأماكن التي تجمع فيها أقاربهم وفي هذا الجانب تكون روايات الأحفاد أقرب من روايات الأبناء إلى روايات الآباء.

أما فيما يتعلق بعمليات التسلل إلى القرية بعد الخروج مباشرة التي استشهد فيها العديد من أبناء القريـــة فإن معرفة الأحفاد بهذا الموضوع تكاد تكون معدومة، فعدد قليل منهم وخاصة ممن استشهد أقارب لهم في تلك العمليات كان لديهم معرفة يسيرة وهي لا تتعدى مجرد الإشارة إلى حدوث عمليات تسلل إلى القريـــة، وكذلك إلى أسماء بعض الشهداء الذين استشهدوا في تلك العمليات، والأحفاد بذلك لا يختلفون كثيـــرا عـــن الأبناء والفرق الوحيد بينهم هو أن غالبية الأبناء – إن لم يكن جميعهم –كانوا يعرفون عن وقوع عمليـــات تسلل وسقوط شهداء في تلك العمليات، أما الأحفاد فعدد قليل منهم كان يعرف عن هذا الموضـــوع ومـــنهم على سبيل المثال السيد جعفر حسني الحليقاوي (37 سنة) الذي استشهد أحد أعمامه واثنان من أقاربه عندما تسللوا إلى القرية، فيقول:

إلي عم استشهد في بيت جبرين اسمه عبد المحسن اخو أبوي بعد ما طلعوا رجع يجيب من القمح والشـــعير اللـــي تركـــوه وراهـــم ومسكوه اليهود مع أولاد عم أبوي اثنين وقتلوهم عالمحل وشيكوا عليهم شيك ولغموهم بالمتفجرات على أساس ما حد يقتـــرب مـــنهم ويسحبهم.

وفي سياق جملة التقاطعات التي ظهرت بين روايات الأبناء والأحفاد فقد أشارت غالبية روايات الأحفاد إلى الاعتقاد الذي كان سائدا لدى الآباء في الفترة الأولى التي تلت عملية تهجيرهم من القرية والمتمثل في قناعتهم بأن العودة إلى القرية لن تطول وأنها عبارة عن مسألة وقت، وتوضح رواية السيد محمود عبد الله الشوابكة (29 سنة) ما كان يعتقد به الآباء في تلك الأيام، فيقول: ***" حسب ما خرفونا الختيارية إنهم ظلوا ساكنين فـــي أطراف البلد يعني بيت جبرين لأنهم بقوا يفكروا إنهم يرجعوا وما يطولوش وبعدين لما فقدوا الأمل صاروا يبعدوا وفي ناس منهم ســـافر برَّة ".***

كما لوحظ بأن هناك فروقاً طفيفة بين الأبناء والأحفاد فيما يتعلق بطريقة خروج أهالي القرية أو وسائل النقل التي اعتمدوا عليها عندما جرى ترحيلهم عن القرية، فغالبا لم يتم التطرق إلى هذا الموضوع من قبل الأحفاد إلا في حال توجيه سؤال إليهم بهذا الخصوص وغالبا ما كانوا يعرفون ولكن بدرجة أقل من الأبناء

حيث أن غالبية الأحفاد الذين ينتمون إلى حامولة العزة لم يكن لديهم تصور أو معرفة واضحة عن الطريقة التي خرج بها أقاربهم من القرية، وفي هذا السياق تقول السيدة منار عثمان العزة (24 سنة): *" اللي كان معاهم مصاري كانوا يجيبوا تاكسي من الخليل تحملهم وتحمل أغراضهم واللي ما معهم مصاري كانوا يمشوا يوخذوا أولادهم ويمشوا مشي، انا بعرفش أهلي كيف طلعوا هم ركب ولا مشي".*

وفي المقابل فان غالبية الأحفاد من الحمائل الأخرى كان لديهم تصور بأن أهالي القرية بشكل عام خرجوا مشيا على الأقدام واستخدموا بعض الدواب لنقل أمتعتهم وأغراضهم، ويبدو ذلك التصور واضحا في رواية السيدة عائشة محمود الحموز (33 سنة)، فتقول: *" بتصور طلعوا حاملين أغراضهم على ظهورهم وعلى الدواب يعني معظمهم كان يمشي مشي لأنه الدواب كانوا محملين عليها أغراضهم وحاجياتهم".*

وأما فيما يتعلق بالفروق بين الأحفاد أنفسهم فقد أظهرت رواياتهم – وهو ما كنا قد أشرنا إليه سالفا- بأن الفرق الوحيد الذي تم ملاحظته بوضوح كان بخصوص طريقة خروج أهالي القرية لحظة اقتلاعهم حيث تبين بأن غالبية الأحفاد الذين ينتمون لعائلة العزة لم يكن لديهم تصور واضح عن هذا الأمر بينما أظهرت الروايات بأن غالبية الأحفاد من الحمائل الأخرى كانوا يعرفون أو على الأقل لديهم تصور يطابق إلى حد كبير حقيقة ما رواه الآباء بهذا الصدد، بمعنى أن الانتماء العائلي كمتغير مستقل كان له أثر على جانب محدد من روايات الأحفاد وربما يعود السبب في ذلك إلى إختلاط الأمر بالنسبة للأحفاد الذين ينتمون إلى عائلة العزة بسبب خروج قسم من هذه العائلة مشيا على الأقدام والقسم الآخر باستخدام السيارات، وبعض الحافلات المستأجرة لذا كان من الصعب عليهم تحديد أي من الطرق التي اعتمد عليها أقاربهم عندما خرجوا من القرية، وفي المقابل فإن الأحفاد الذين ينتمون إلى العائلات الأخرى لم يسمعوا قط عن خروج أجدادهم بسيارات أو ما شابه، بالتالي كان من السهل عليهم أن يتصوروا الوسيلة الوحيدة التي خرج بها أجدادهم من القرية. وما عدا ذلك فإن غالبية روايات الأحفاد كانت متقاربة إلى حد كبير على الرغم من طول الفئة العمرية بعكس الأبناء الذين كان لمتغير العمر أثر ملموس على رواياتهم وخاصة بين الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة وبين من هم دون هذا العمر، كما أن مستوى التعليم، ومكان السكن،

وكذلك الجنس لم يكن لها أي تأثير ملموس على ما تضمنته غالبية روايات الأحفاد بهذا الخصوص سـواء من الناحية الكمية أو النوعية.

وأخيرا يمكن القول إن المتغير الأساسي الذي كان له أثر واضح وملموس على غالبية روايات اللاجئين من مختلف الفئات العمرية هو متغير العمر، فكما لاحظنا في الصفحات السابقة بأن هناك فروقاً جوهرية تم رصدها بين الأجيال الثلاثة بهذا الشأن حيث تميزت روايات الآباء بأنها تصف رحلة الخروج من القريـة إلى المخيم بأدق تفاصيلها وتسرد أحداث تلك الرحلة ومحطاتها وكانت إلى حد كبير تراعي التسلسل الزمني في عملية السرد، وفي الوقت نفسه فان روايات الآباء انطوت كذلك على كثير مـن الصـور والـدلالات بالإضافة إلى المعلومات التي تحاول إظهار حجم المعاناة، والعذاب الذي واجههم في طريقهم من القرية إلى المخيم. ثم أصبح هناك تناقص ملحوظ وجوهري في هذه المعلومات والصور والدلالات عندما تم التعامـل مع روايات الأبناء وتعزز هذا التناقص أكثر في روايات الأحفاد.

الفصـــــــل الخـــــــامس

انتقال الذاكرة الجماعية بين أجيال اللاجئين

5 :1. تمهيد:

نظريا هناك العديد من الأطر والقنوات التي يمكن من خلالها أن تنتقل الذاكرة الجماعية من جيل إلـــى جيل وهو ما أُشير إليه في الفصل الأول من الدراسة في باب الحديث عن إنتقال الذاكرة وتوارثهـــا عبـــر الأجيال، وكنا قد أوردنا حينها مجموعة من الأطر والقنوات التي ورد ذكرها في بعض المصادر والمراجع ذات العلاقة بالموضوع، وفي السياق نفسه كنا قد أشرنا كذلك إلى كيفية انتقال الذاكرة الجماعية من خـــلال هذه الأطر والقنوات، بمعنى أن هناك عملية انتقال تتم بطريقة منظمة ومخطط لها وعادة ما تمارس مـــن خلال بعض الأجهزة والمؤسسات الرسمية في المجتمع كوسائل الإعلام ومؤسسات التربية والتعليم وبعض الأحزاب السياسية وغيرها من المؤسسات الرسمية الأخرى، وهناك أيضا عملية انتقال تتم بطريقة عفويـــة وتمارس بشكل تلقائي وغير مدروس. وعادة ما تحدث عملية الانتقال هذه – على سبيل المثال لا الحصر – من خلال الروايات الشفوية التي يتناقلها الناس عن بعض الأحداث التي مر بها المجتمع أيضا من خـــلال الحكايات والقصص المستقاة من التراث.

وفي هذا الفصل سيتم التعرف بداية على القنوات الدارجة والمستخدمة عند اللاجئين في نقـــل الـــذاكرة الجماعية، ووفق الترتيب الذي سرت عليه في الفصلين السابقين فسوف نبدأ أولا بجيل النكبة أو جيل الآباء ومن ثم الأبناء وأخيرا الأحفاد، وفي الوقت نفسه سيتم رصد أي فروق قد تظهر بين اللاجئـــين فـــي هـــذا السياق يمكن أن تعزى إلى بعض المتغيرات المستقلة كمستوى التعليم والجنس وكذلك مكان السكن، وبعـــد التعرف على نوع الأطر والقنوات لدى كل جيل ستكون هناك عملية إجمال لأهم الأطر والقنـــوات التـــي يعتمد عليها اللاجئون بشكل عام وما يتميز به كل جيل عن الأجيال الأخرى في هذا المجال ســـواء فيمـــا يتعلق بالقنوات التي استقى من خلالها هذا الجيل أو ذاك الذاكرة الجماعية، أو فيما يتعلق بالقنوات التي تتم من خلالها عملية نقل الذاكرة من جيل إلى جيل. وما قاله اللاجئون في هذا السياق سوف يوضح فيمـــا إذا

كان هناك إختلاف بين القنوات التي يستقي من خلالها اللاجئون الذاكرة الجماعية والقنوات التي يورثــون بها هذه الذاكرة وبالتحديد لدى الأبناء والأحفاد لأن جيل النكبة في هذه الحالة يختلف عن الأجيال التالية فهو شهد الحياة في القرية وعايش أحداث الاقتلاع والتهجير بكل حواسه وبالتالي فان مجموع ما يتــذكره عــن القرية والأحداث التي مرت بها وتجاربه فيها كونت ذاكرة جماعية عن القرية توارثها الأبناء والأحفاد عبر مجموعة من الأطر والقنوات التي تعتمد بشكل كبير على ما يُختزن في ذاكرة هذا الجيــل كونــه يشــكل المصدر الأساس لهذه الذاكرة، لذا فإن الاختلافات التي نتوقع أن تظهر بين الآباء في هذا السياق قد تنحصر فقط في طريقة توريث الذاكرة وليس في الطريقة التي حصلوا من خلالها على هذه الذاكرة، أمــا الأبنــاء والأحفاد فقد يكون هناك اختلاف بينهم في طريقة تلقيهم للذاكرة وكذلك في طريقة نقلهم لها وهو ما سيتضح لاحقا من خلال ما تحدث به اللاجئون في هذا المضمار.

5 :2. انتقال الذاكرة الجماعية عند جيل النكبة (الآباء):

تفيد غالبية روايات هذا الجيل بأن ما اختزنته ذاكرتهم عن طبيعة الحياة في بيت جبرين والأحداث التي مرت بها هذه القرية وأهلها إبان الاقتلاع والتهجير جاء نتيجة للمعايشة والمشاهدة، فتحدث غــالبيتهم عــن حياة كانوا يعيشونها ويشاركون في صنعها وأحداث مروا بها وأثرت بهم بشكل مباشر وقلما تحدثوا عــن أحداث أو تجارب عرفوها من الآخرين، وهم بذلك يختلفون عن الأبناء والأحفــاد الــذين تلقــوا الــذاكرة الجماعية من خلال بعض الأطر والقنوات التي أوصلتهم بخزان الذاكرة عند الجيــل الأول، بالتــالي فــإن الحديث عن عملية انتقال الذاكرة الجماعية عند الآباء سوف يكون باتجاه واحد وهو تصدير الذاكرة أو نقلها للأجيال التالية، ولن نكون بصدد القنوات التي وصلت من خلالها هذه الذاكرة للآباء على إعتبــار أن مــا تحدثوا به في رواياتهم يتصل مباشرة بحياتهم التي عاشوها في القرية وبالأحداث التي مروا بها إبان عملية الاقتلاع التي تعرضوا لها عام 1948.

وقد أظهرت غالبية المقابلات مع جيل النكبة بأن عملية انتقال الذاكرة الجماعية وتوارثهــا مــنهم إلــى الأبناء والأحفاد غالبا ما تتم بطريقة عفوية وغير مخطط لها، وهم [جيل النكبة] يعتمدون بشكل أساس على

الرواية الشفوية بمعنى أنهم يتحدثون لأبنائهم وأحفادهم عن أسلوب حياتهم في القرية بما في ذلك عاداتهم وتقاليدهم وفلاحة الأرض والمواسم وما إلى ذلك من مظاهر للحياة التي كانت سائدة في القرية بالإضافة إلى الأحداث والتجارب التي مروا بها لحظة إقتلاعهم من القرية، وهم عادة ما يتداولون هذه الأحاديث في البيوت والمجالس والدواوين وخاصة في المناسبات، لا تكاد تخلو مقابلة واحدة من المقابلات التي أجريت مع هذا الجيل [الآباء] من إشارات إلى هذه الطريقة في نقل الذاكرة الجماعية من الآباء إلى الأبناء والأحفاد، ومن الأمثلة على ذلك ما تحدثت به الحاجة زينب مراد الشوابكة (70 سنة)، فقالت:

والله بقلهم الأولاد وهيهم اسألهم لما رحنا على بيت جبرين من حد ما شفت البلاد هناك قعدت أصيح إحنا بلادنا بلادنا والله من حد ما شفتها انه على ايدك اليمين هذي اللي مسوبينها عنب بقت كلها زيتون لدار أبوي واللّيّ إقبالها من عند خط عجور يوم انك بتلف القطعة هذي اللّيّ عند آخر الكبانية هذي لدار أبوي هذي كانت كلها زيتون رومي، والله كان رحمة حسين اخوي يطلع عالجمل لمّا يفرط زيتون والله انا بتيجي على بالي البلاد، وبقلهم يمة صار واحد اثنين ثلاثة فينا.

وعلى الرغم من أن الرواية الشفوية تعد الرافد الأساسي الذي تنتقل من خلاله الذاكرة الجماعية من الآباء إلى الأجيال الأخرى إلا أن هذا الرافد يتعرض أحيانا إلى بعض العوامل التي من شأنها أن تحد من فعاليته في نقل الذاكرة، فقد عبر بعض الآباء عن عدم رغبتهم في الحديث إلا في حال توجيه سؤال لهم في هذا الشأن أو أن هناك موقفاً معيناً قد يعيدهم بالذاكرة إلى القرية وحياة القرية وبالتالي يدفعهم للحديث عن ذكرياتهم هناك، ويضاف إلى ذلك عدم توفر الرغبة الدائمة لدى الأبناء والأحفاد في الاستماع لروايات الآباء، فلدى سؤال الحاجة لطفية محمود غطاشة (78 سنة) عن طريقتها في نقل الذاكرة لأبنائها وأحفادها أجابت بالقول: ***" ما بدي احكي لحد، إللي بسألني بحكيلو واللي ما بسألني ما بحكيلو، هيك انا ".***

وهناك عدد آخر من الأجداد الذين عبروا عن مدى قابليتهم للحديث عن ذكرياتهم للأبناء والأحفاد بالطريقة نفسها التي عبرت بها الحاجة لطفية، لذا فإن عملية انتقال الذاكرة الجماعية إذا ما ارتكزت على هذه القناة [الرواية الشفوية] فقد ينتابها – أحيانا – بعض الإخفاقات وهذا من شأنه أن يعرض هذه الذاكرة إلى بعض الثقوب التي قد تؤدي في نهاية المطاف إلى فقدان جزء لا يستهان به من مخزون الذاكرة الجماعية لدى الأجيال الأخرى.

وبالإضافة إلى الرواية الشفوية كقناة تتم من خلالها عملية نقل الذاكرة الجماعية من الآباء إلى الأجيال الأخرى فقد تحدث عدد كبير من الآباء كذلك عن زيارتهم للقرية برفقة أبنائهم وأحفادهم لتعريفهم بالقرية وأراضي العائلة والمكان الذي كان يقام عليه البيت الذي كان يأويهم في يوم من الأيام هذا بالإضافة إلى بعض المعالم الأثرية الموجودة هناك، ولكن هذه الزيارات – وكما أشار اللاجئون – قد أصبحت شبه مقطوعة في الآونة الأخيرة نظرا للإجراءات المتبعة من قبل السلطات الإسرائيلية التي تقضي بمنع الفلسطينيين من دخول فلسطين المحتلة عام 1948، وقلما يتمكن بعض اللاجئين من الحصول على تصاريح تسمح لهم بزيارة القرية، وعن زيارة القرية برفقة الأبناء والأحفاد يقول الحاج محمد سلامة دعدرة (79 سنة): ***" أخذت الأولاد وأولاد الأولاد على بيت جبرين وقلتلهم هذي الأرض النا وهذي لجيرانا وهذي لفلان وهذي الك وهاظا النا وهذول كرومنا وريتهم، وبنحكيلهم كمان ".***

وخلال إجراء المقابلات فقد تم ملاحظة بعض القنوات التي تتم من خلالها عملية نقل الذاكرة الجماعية للأبناء والأحفاد بطريقة غير مباشرة ويأتي ذلك عبر محافظة الآباء على بعض مظاهر الحياة القروية التي كانت سائدة في القرية، فجميع من تمت مقابلتهم من هذا الجيل كانوا يرتدون الزي القروي الجبريني، كما أن عدداً كبيراً منهم لا زالوا يحتفظون ببعض الأواني النحاسية والفخارية التي كانت تستخدم في القرية وكذلك بعض المطرزات التراثية التي زينوا بها جدران بيوتهم في المخيم هذا بالإضافة إلى بعض الأوراق الثبوتية التي أمكن مشاهدتها عند البعض وخاصة تلك التي تثبت ملكيتهم للأرض وهم يبدون حرصهم الشديد عليها ويورثونها لأبنائهم وأحفادهم كما يورثون أملاكهم الأخرى، كما تحدثت الإناث من هذا الجيل عن سرد الحكايات الشعبية المستقاة من التراث لأحفادهن. وأخيرا فقد تحدث بعض الآباء عن تمسكهم ببعض أنواع الأطعمة الشعبية التي تعودوا عليها في القرية، وهذا ما أشارت إليه الحاجة زينب عبد الرحمن غطاشة (80 سنة) بقولها:

إحنا من بيت جبرين ها من وين إحنا أصلنا من بيت جبرين هو الواحد بظيع أصله إحنا ربنا هيك كتب علينا يمّة. بقينا المفتول نسويه والرقاقة والعدس، ارقاقة وبندورة، نطبخ كشك، بيجي عبالي طبيخ البلاد بيجي عبالي الرقاقة والعدس الرقاقة والبندورة، الجريشة، بيجي عبالي الكشك هيو الكشك عندي كل سنة بعمل كشك.آثار البلاد هاظا لن أنساه أبدا .

إذا هذه هي القنوات والآليات التي يستخدمها الآباء في نقل ذاكرتهم إلى أبنائهم وأحفادهم ويلاحظ بأن عملية نقل الذاكرة الجماعية من خلال هذه القنوات غالبا ما تتم بطريقة عفوية وغير مخطط لها وبالتـــالي يمكن إرجاع بعض الإخفاقات التي إنتابت عملية نقل الذاكرة – وهو ما كان واضحا في الفصلين الســـابقين – إلى هذا السبب وهو الانتقال العفوي وغير الممنهج لعملية نقل الذاكرة الجماعية من الآباء إلـــى الأبنـــاء والأحفاد.

كما أنه لم يلاحظ أي فروق جوهرية بين الآباء فيما يختص بعملية نقل الذاكرة والقنوات والآليات التي يتبعونها في ذلك حيث أظهرت غالبية المقابلات تشابها كبيرا بينهم في هذا المجال، فكلا الجنسين – الذكور والإناث – ارتكز في الأساس على الرواية الشفوية، وغالبيتهم قاموا بزيارة القرية برفقة أبنائهم وأحفـــادهم بعد عام 1967 والطرفان يتمسّكان ببعض مظاهر الحياة التي كانت سائدة في القرية ويحتفظـــون بـــبعض المقتنيات والوثائق مع أن الذكور كانوا أكثر اهتماما بحفظ هذه الوثائق وتوريثها وعادة ما كان يتم توريثها للذكور من الأبناء والأحفاد، وفيما يتعلق بمتغير مكان السكن فلم تظهر غالبية المقابلات وكذلك ما أمكـــن ملاحظته أثناء إجراء المقابلات ما يشير إلى وجود فروق بين الآباء يمكن أن تعزى إلى هذا المتغير أو أية متغيرات أخرى.

5 :3. انتقال الذاكرة الجماعية عند الجيل الثاني (الأبناء):

كما أشير إليه في باب الحديث عن انتقال الذاكرة عند الآباء بأن ما اختزنته ذاكـــرتهم عـــن الحيـــاة الاقتصادية والاجتماعية في القرية وعن تجربة الاقتلاع والتهجير التي مروا بها جـــاء نتيجـــة للمعايشـــة والمشاهدة والتجربة الحسية وقلما انطوت ذاكرتهم على أشياء سمعوا عنها ولم يشـــاهدوها، وهـــم بـــذلك يختلفون عن الأبناء والأحفاد الذين استقوا الذاكرة الجماعية من خلال بعض الأطر والقنوات التي أوصلتهم بخزان الذاكرة عند الآباء، وهذا يعني أن الأبناء والأحفاد هم متلقون ومورثون للـــذاكرة وليســـوا كالآبـــاء مورثين لها فقط، وبالتالي فإن ذلك يقتضي ضرورة التعرف على القنوات التي استقى من خلالهـــا الأبنـــاء والأحفاد الذاكرة الجماعية وكذلك القنوات التي يورثون من خلالها هذه الذاكرة.

ولقد أظهرت غالبية المقابلات مع الأبناء بأن عملية تلقيهم للذاكرة الجماعية قد ارتكزت في الأساس على الرواية الشفوية وهي القناة التي ركز عليها الآباء في توريث الذاكرة ولكن ذلك لم يمنع من وجود بعض القنوات الأخرى التي اعتمد عليها بعض الأبناء في تعزيز مخزونهم من الذاكرة الجماعية عن قريتهم وتجربة الاقتلاع والتهجير التي تعرض لها آباؤهم وأجدادهم، ومن هذه القنوات – على سبيل المثال لا الحصر – زيارة القرية، حيث أظهرت المقابلات بأن غالبية الأبناء قاموا بزيارة القرية مرة واحدة على الأقل وفي أغلب الأحيان كانت تتم هذه الزيارات برفقة الآباء وكانوا يصطحبون معهم أبناءهم أي الأحفاد في هذه الزيارات ويلتقطون لهم صورا فوتوغرافية هناك، وفي هذا السياق يقول السيد عبد الحافظ محمد دعدرة (45 سنة):

في روايات طبعا من ختيارية بيت جبرين من ضمنهم أبوي وفي بقى أبو حسن غطاشة الختيارية هذول كلياتهم بقوا دايما يحكونا في الدكاكين في الأعراس بقوا دايما يخرفوا شو اللي حصل معهم وإحنا نكون سمعانين. القصة صارت والأرض اغتصبت بأي وسيلة كانت وانتهت وصار الاحتلال عليها هالحين انا طبعا زي ما أخذني أبوي وعرفني على كل ارضي أنا أخذت أولادي ورحنا هناك ومش مرة ومرتين وأنا حافظ جميع الأرض تاعتنا فيها موجود طابو والطابو قسم موجود عندنا وقسم مع عمي في الأردن، عرفني أبوي عليها كلها السهل والجبل ومحل البيت وراني إياه كامل، وأنا حافظ جميع الأرض تاعتنا فيها موجود طابو والطابو قسم موجود عندنا وقسم مع عمي في الأردن، عرفني عليها كلها السهل والجبل ومحل البيت وراني إياه كامل، إحنا في الدار بنعلمهم الأطفال من وين أصلنا يعني لما أجا المسلسل التغريبة الفلسطينية قلنالهم يابا هذي القصة إلي حصلت مع سيدكم وأهل البلد كاملة نفس القصة نفس التفصيل كلها كانت نفس إلي حصل بالتغريبة وتهجير الناس هو نفس إلي حصل معنا بس مهما طال الزمن مصيرنا نرجع.

يلاحظ من حديث السيد عبد الحافظ بأنه اعتمد في الأساس في توريث الذاكرة لأبنائه على القنوات نفسها التي ورث هو هذه الذاكرة من خلالها وأضاف عليها ما يمكن أن يلتقطه الأحفاد من خلال بعض البرامج والمسلسلات التلفزيونية كالمسلسل التلفزيوني "التغريبة الفلسطينية" على اعتبار أنه عكس تجربة اللجوء التي عاشها الشعب الفلسطيني بعد عملية الاقتلاع التي تعرض لها عام 1948، وما تحدث به السيد عبد الحافظ في هذا السياق يعد نموذجا لما تحدث به عدد كبير من الأبناء الذين تمت مقابلتهم. بالتالي فقد أضاف الأبناء قناة جديدة لتوريث الذاكرة الجماعية لأبنائهم والمتمثلة في بعض البرامج والمسلسلات التلفزيونية التي تتناول قضية اللاجئين الفلسطينيين.

وبالإضافة إلى القنوات التي أسلفنا ذكرها فقد تحدث عدد من الأبناء عن احتفاظهم ببعض الوثائق وخاصة ما يرتبط منها بملكية الأرض وهم يعزون سبب حرصهم على تلك الوثائق لأمرين، الأول: أنها

تمثل احد الشواهد المادية على حق لهم جرى اغتصابه في لحظة تاريخية معينة من قبل الصهاينة، وأما السبب الثاني: فهي تعد جزءا من الذاكرة الجماعية التي ورثها الأبناء عن الآباء، وعن انتقال هذه الوثائق من الآباء إلى الأبناء ومن ثم الأحفاد يقول السيد عواد موسى النجار (57 سنة):

زي ما حكالي رحمة أبوي انا كمان بحكي لأولادي بنفس الطريقة وكمان راح أعطيهم الأوراق اللي كان رحمة أبوي محتفظ فيهن عن جدي وأعطاهن لأبوي وأبوي أعطاني إياهن وأنا راح أعطيهن لأولادي يعني ما اختلف الوضع لأنه هذول الوثائق هن بمثلن هويتي الفلسطينية وراح نظل محتفظين فيهن.

كما تحدث بعض الأبناء وخاصة الإناث منهم عن اهتمامهم ببعض الموروثات من التراث الجبريني على اعتبار أن ذلك يساهم في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للاجئي القرية، ويأتي ذلك من خلال المحافظة على بعض المقتنيات من الأواني والأدوات التي ورثوها عن الآباء بالإضافة إلى تطريز الثياب التقليدية التي كانت نساء القرية يرتدينها قبل اللجوء، وقد لوحظ خلال إجراء المقابلات أن بعض الأبناء من كلا الجنسين لا زال يرتدي هذه الملابس، وفي هذا السياق تقول السيدة آمنة عيسى غطاشة (41 سنة):

بالنسبة النا بنقعد وبنحكي بالذات عن تاريخ أبوي وعمي اللي مات وبعدين التراث وشغلات الخياط والتطريز مش ناسيينها وحتى بشوف انه كل سنة بتزيد عن سنة في المخيم وكمان إحنا بالنسبة النا يا النسوان اللي من جيلي كل وحدة بتهتم انه يكون في دارها اشي من التراث، في إلي صاحبة عندها اللي بطحنوا فيه القهوة وكمان شغلات قديمة أصلها من البلد وهذه الأشياء إحنا بنورثها لأولادنا.

تلك هي أهم القنوات التي اعتمد عليها الأبناء في استقاء الذاكرة الجماعية وكذلك في توريثها لأبنائهم، وبخلاف الآباء الذين لم تظهر بينهم فروق جدية في هذا المجال فقد أظهرت غالبية المقابلات وجود بعض الفروق والاختلافات بين الأبناء، وكان من أبرزها ما تميز به المتعلمون وبالتحديد من زاد تعليمهم عن المرحلة الثانوية حيث لوحظ بأن عملية نقل الذاكرة لأبنائهم غالبا ما تتم بطريقة مقصودة ومخطط لها بعكس الأبناء الذين لديهم مستوى تعليمي أقل وهؤلاء غالبا ما يورثون الذاكرة الجماعية لأبنائهم بطريقة عفوية وغير مخطط لها وهم يتقاطعون مع الآباء في هذا الأمر، ويبدو ذلك واضحا في حديث السيدة فايزة خليل غنايم (52 سنة) وكذلك غالبية الأبناء الذين لا يتعدى مستوى تعليمهم المرحلة الثانوية: " ***الأولاد بسمعوا من الناس وأنا خطرة حكيتلهم زمان وبقت رحمة أمي تحكيلهم بس بقوا ازغار أولادي والله بعض مرات بخرفهم يعني انا والبنات وبقلهم في ارض النا في بيت جبرين، إذا انفتحت السيرة بنتخرف***".

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الاختلاف بين الأبناء في هذا المجال لم يطل قنوات انتقال الـذاكرة وإنمـا طال فقط الكيفية التي تنتقل من خلالها الذاكرة للأحفاد عبر القنوات التي يركز عليها الأبناء، ومـا قالتـه السيدة رجاء عبد الفتاح الخاروف (52 سنة) وكذلك غالبية الأبناء المتعلمين الآخرين بهذا الصـدد يشـير بوضوح إلى أن عملية نقل الذاكرة من قبل هذه الشريحة من الأبناء إلى الأحفاد تختلف عن عملية نقلها من قبل الآباء وكذلك الأبناء الذين لا يتعدى مستوى تعليمهم المرحلة الثانوية، فهي تنطوي على وعي بضرورة توريث هذه الذاكرة والحفاظ عليها، وتقول السيدة رجاء:

بكرة جيلنا هاظا بروح واللي بعدينا لازم يعرفوا، لما واحد من الأولاد بقول انا من الفوار بقله لأ انت جدك من بيت جبرين، انت مش من الفوار انت من بيت جبرين، إحنا شوابكة بيت جبرين، انا بحاول إني ما أخليهم ينسوا وطنهم الأصلي انا بغرس فيهم كل اشي بعرفه عن البلاد.

أيضا وفي سياق الفروقات والاختلافات بين الأبناء فقد أظهرت المقابلات بأن الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن 65 سنة غالبا ما كانوا يعتمدون في رواياتهم على ذكريات الطفولة وتجاربهم التي اختزلوها في الذاكرة حينما كانوا أطفالا صغارا، وقلما كانوا يتحدثون عن أشياء سمعوا عنها من الآخرين وخاصة فيما يتعلـق بتجربة الاقتلاع والتهجير وهم بذلك يشتركون مع الآباء في مصدر حصولهم على الذاكرة الجماعية ولكـن ذلك لا يعني عدم وجود بعض الاختلافات بينهم [بين الآباء وهذه الشريحة من الأبناء] وخاصة فيما يتعلق بتفاصيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرية، وهو ما كان واضحا في الفصلين السابقين، والحديث هنا يدور عن ثلاثة أبناء فقط من أصل عشرين أب تمت مقابلتهم وهم الذين تقع أعمارهم ما بين 65 سنة إلـى 69 سنة وكان من بينهم السيد محمد محمود العزة (65 سنة) الذي أكد على أن ما تحدث به خلال المقابلـة كان عبارة عن تجارب وخبرات مر بها حينما كان طفلا صغيرا وظلت محفورة في ذاكرته، فيقول:

انا بدي أقلك قصة حصلت معي لأؤكد لك بان ما رويته كان محفورا بالذاكرة منذ طفولتي، انا كنت في خارج فلسـطين وعـدت مـع السلطة الفلسطينية وعندما عدت هنا طلبت في اليوم الثاني أن اذهب إلى بيت جبرين وخرج معي اثنين من أقاربي وهم اكبر سـنا منـي ويعرفون أكثر مني انا كنت طفل هم كانوا شباب لما طلعنا من بيت جبرين لم اعرف الطريق لكن عندما وصلنا إلى بيت جبرين ومـدخل بيت جبرين أو ما يسمى بالقوس بجانب مقبرة البلد قالوا هذا القوس هي بيت جبرين وكانوا يريدون أن يشرحوا لي عن بيت جبرين قلت لهم لا تتحدثوا، هناك بيتنا وهناك بيت عمي احمد وهناك بيت الحاج عطايا وهناك الصحيّة وهنالك المسجد وهنالك المركز كل مـا يـذكر الطفل من معالم تعيش فيها، عدت إلى بيت جبرين إلى السن الذي خرجت فيه منها وتعجب أولاد عمي من ذكائي وفطنتي حتى اختلفنـا على موقع معين فأصريت عليه وتذكروا انه انا على حق رجعوا مبهورين من ذكائي قلتلهم ليس ذكاءً أنها بيت جبرين المحفـورة فـي

الذاكرة، كل موقع رأيته محفور في الذاكرة وكل ما حدث معنا في الطريق عندما هجرنا محفورا بالذاكرة أيضا، المشاعر لا يستطيع أن يعبر عنها الإنسان، بيت جبرين لها نكهتها وعندما أذكرها فإنني اعرف أن الأمر صعب، يعني هي جراح قلب.

وأخيرا، فقد أظهرت غالبية المقابلات مع الأبناء بأن الإناث كُنَّ أكثر اهتماما من الذكور في بعض المظاهر الفلكلورية المتصلة بطبيعة الحياة التي كانت سائدة في القرية، فعدد كبير منهن كُنَّ يرتدين الثياب المطرزة أو بمعنى أدق الثوب الجبريني التقليدي بعكس الذكور من هذا الجيل الذين غلب عليهم ارتداء الثياب الحديثة وقلما ارتدى بعضهم القمباز، وهو الثوب التقليدي للرجال الذي كان سائدا في القرية، أيضا فقد عبرت عدد كبير من النسوة عن حرصهن على اقتناء بعض الأواني والأدوات التراثية في بيوتهن التي ورثنها من الآباء، كما تحدثت بعض النسوة عن إهتمامهن بسرد بعض الحكايات الشعبية لأبنائهن الصغار، وما قالته السيدة آمنة غطاشة في مكان سابق من هذا الفصل وغيرها من النساء يشير بوضوح إلى مدى اهتمامهن بهذه المظاهر التي قلما أشار إليها الذكور.

5 :4. انتقال الذاكرة الجماعية عند الجيل الثالث(الأحفاد):

كما أشير إليه في باب الحديث عن انتقال الذاكرة الجماعية عند الآباء وكذلك عند الأبناء بأن الرواية الشفوية كانت هي المصدر الأساس أو القناة الرئيسة التي اعتمد عليها هذان الجيلان (الآباء والأبناء) في استقاء الذاكرة الجماعية وتوريثها فإن الأحفاد أيضا وعلى الرغم من حديثهم عن بعض القنوات الأخرى التي مارسوا من خلالها عملية نقل الذاكرة وتوريثها إلا أن الرواية بقيت هي المصدر الأساس الذي ارتكزوا عليه في استقاء الذاكرة من آبائهم وأجدادهم وهذا ما أظهرته غالبية المقابلات معهم، ومثال ذلك ما قالته السيدة منال عطا سلامة (30 سنة):

أكثر المعلومات اللي انا حصلت عليها عن بيت جبرين سمعتها من جدتي كانت تحكينا كثير وإحنا كنا نسألها، كانت تحكي عن أعراسهم ومناسباتهم وكيف تطلعوا من البلد يعني الختيارية الكبار هم بعرفوا أكثر وإحنا منهم بنوخذ هذه الأشياء وأنا أكيد بدي احكي لأولادي وأصير أدور على كتب وشغلات زى هيك حتى انقل الهم هذه المعلومات.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعض الأحفاد وخاصة من هم دون الثلاثين سنة من عمرهم لم يركزوا كثيرا على عملية توريث الذاكرة واكتفوا بالإشارة إلى القنوات التي يستقون من خلالها هذه الذاكرة كونهم يعتبرون أنفسهم طرفا متلقي لها أكثر من كونهم طرفا مورثا على الأقل في هذه المرحلة العمرية من

حياتهم نظرا لصغر سنهم واعتقادهم بأن هذه المهمة [توريث الذاكرة] يجب أن يقوم بها في الوقت الحاضر من هم أكبر سناً منهم وخاصة الآباء والأبناء وبالتالي فإن حديثهم عن عملية توريث الذاكرة للآخرين لم يَعْدُ عن كونه في الغالب مجرد طرح لبعض الرؤى والتطلعات المستقبلية ولا يعبر عن عملية توريث فعلية للذاكرة الجماعية تمارس من خلالهم في الوقت الحاضر. وهذا ما يبدو واضحا فيما قاله الشاب علاء خليل العزة (17 سنة) بقوله:

من وأنا عمري 11 سنة وأنا أنام في دار سيدي يعني انا تربيت في دار سيدي بقى سيدي يخرفني عن البلاد والحجة جدتي بتخرفني وبقيت لما نروح على الأعراس عند قرايبنا في مخيم العزة في بيت لحم يقعدوا هالختيارية ونقعد معهم ويحكوا عن البلاد وكيف كان الزرع عندهم والمناسبات، انا بحب أتعرف على أي اشي عن البلاد بس هذه المصادر ما بتكفي لازم يكون في كتب تحكي عن كيف طلعوا وشو اللي صار معهم ولازم الناس يوخذوا من هالختيارية ويظلهم يجمعوا في كتب ويوثقوا.

وبالإضافة إلى الرواية الشفوية التي يعتمد عليها الأحفاد بشكل أساس في استقاء الذاكرة الجماعية كما أظهرت ذلك غالبية المقابلات فقد تحدث كذلك عدد منهم وخاصة من لديهم مستوى تعليم ثانوي فأعلى عن مطالعتهم لبعض الكتب التي اهتمت بتوثيق روايات الآباء عن بعض القرى المدمرة على اعتبار أن ما حدث في قريتهم يشابه إلى حد كبير ما حدث في غالبية القرى الفلسطينية التي جرى تدميرها وتهجير أهلها منها عام 1948، وهذا ما أشار إليه السيد بسام عبد الله الشوابكة (32 سنة)، بقوله:

اغلب المعلومات استقيتها من الوالد والوالدة ومن خوالي، تقربي من اغلب كبار السن في المخيم إللي كانوا موجودين في بيت جبرين، أيضا من بعض الكتب يعني ما بتقع عيني على أي قضية خاصة ببيت جبرين حتى لو كانت أربع سطور كنت إلا اقرأها، في كتاب قرأته إلي هو عن القرى إلي دمرها الاحتلال ومن بينها بيت جبرين كتاب موجود في جامعة الخليل بركز يعني على الناحية الاجتماعية وعلى العائلات وبذكر عائلات بالاسم وعددهم وبذكر المشايخ وبذكر أمور كثيرة وكان معتمد في هذه الأشياء على روايات من الختيارية.

كما تحدث عدد كبير من الأحفاد عن زيارتهم للقرية برفقة آبائهم أحيانا وأجدادهم أحيانا أخرى وهم يحتفظون بكثير من الصور الفوتوغرافية لهم في أماكن مختلفة من القرية حيث التقطوها أثناء زيارتهم لها، ولكن هذه الزيارات أصبحت شبه مقطوعة في السنوات الأخيرة نظرا لسياسة الإغلاق التي تنتهجها السلطات الإسرائيلية التي تقضي بمنع سكان الضفة الغربية وقطاع غزة من دخول فلسطين المحتلة عام 1948 إلا بواسطة تصاريح خاصة وهي نادرا ما تمنح لأبناء هذا الجيل، وعن زيارة القرية يتحدث السيد

محمد كامل الحموز (25 سنة) قائلا: *" انا رحت على بيت جبرين أكثر من مرة وأنا زغير ومتذكر شغلات شفتها هناك بعض البيوت والأراضي وغيره بس مش كثير بتذكرها حاليا، وبعد ما صارت التصاريح والمنع بطلنا نقدر نروح"*.

وفيما يتعلق بتراث الآباء والأجداد ومدى اعتماد الأحفاد عليه كقناة يمكن لها أن تساهم في تعزيز مخزون الذاكرة الجماعية لديهم، فقد أظهرت الملاحظة وكذلك غالبية المقابلات بأن [الأحفاد] كانوا الجيل الأقل من بين الأجيال الثلاثة اهتماما بالتراث سواء فيما يتصل باستقاء الذاكرة الجماعية أو بتوريثها من خلال هذه القناة، فعلى العكس من الآباء والأبناء الذين لوحظ بأن غالبيتهم – وخاصة الإناث – كانوا حريصين على إظهار تمسكهم ببعض المظاهر التراثية وخاصة فيما يتصل باقتناء بعض الأواني والمطرزات التراثية في بيوتهم أيضا فيما يتصل بارتداء الزي التقليدي الخاص بالرجال وكذلك بالنساء الذي كان سائدا بين أهالي قرية بيت جبرين قبل النكبة أما الأحفاد فقد لوحظ بأن عدداً قليلاً جدا منهم يرتدي الأزياء الشعبية التقليدية، كما غابت إلى حد كبير عن جدران بيوتهم – ممن يسكنون في بيوت مستقلة وخاصة المتزوجين منهم – بعض المطرزات التراثية وكذلك بعض الأواني والأدوات التي أحضرها الآباء معهم عندما هجروا من القرية التي كانت ظاهرة بوضوح في عدد كبير من بيوت والآباء والأبناء ولكن ربما يعود ذلك إلى أن هذه المقتنيات قليلة وبعضها أصبح نادرا وقد بقيت موجودة في بيوت الآباء والأبناء وربما تنتقل إلى الأحفاد في المستقبل، كما لم تشر المقابلات بأن الأمهات من هذا الجيل يُحَدِّثْنَ أبناءهن ببعض الحكايات الشعبية المستقاة من التراث على الرغم أن بعض الآباء أشاروا في مقابلاتهم بأنهم يحدثون أحفادهم ببعض هذه القصص والحكايات، وبشكل عام فإن كل ما ورد في مقابلات الأحفاد بما يتعلق بالتراث كمصدر لاستقاء وتوريث الذاكرة الجماعية قد اختزل في مجال الزي التقليدي للمرأة الجبرينية وبعض المطرزات التراثية الأخرى التي لم تحز إلا على اهتمام عدد قليل جدا من النساء والفتيات وكان من بينهن السيدة منار عثمان العزة (24 سنة) التي ترجمة هذا الاهتمام من خلال مشاركتها في مشروع لإحياء التراث الشعبي الذي يقوم عليه أحد المراكز الثقافية، وفي هذا السياق تحدثت السيدة منار قائلة:

انا مشاركة في مشروع تطريز من التراث من خلال مركز ثقافي وبنعمل أشياء كثيرة من المطرزات اللي إلها علاقة بتراثنا وإحنا لما بنعمل هذه الأشياء إحنا بنحكي عن تاريخنا وعن بلدنا ومهم انه نعرف تراث أجدادنا وهذا المشروع متكامل وصارلو سنتين.

وأما عن وسائل الإعلام ودورها في عملية انتقال الذاكرة الجماعية عند الأحفاد فقد أظهـرت غالبيـة المقابلات بأن بعض الأحفاد كانوا متابعين بشكل جاد للمسلسل التلفزيوني "التغريبة الفلسطينية" الذي تحدث عنه الكثيرون واصفين إياه بأنه قد عكس إلى حد كبير طبيعة الحياة التي كانت سائدة في الريف الفلسطيني قبل النكبة وكذلك تجربة الاقتلاع والتهجير التي مر بها الشعب الفلسطيني عام 1948، وما عدا ذلك لم يكن هناك أي حديث آخر عن دور لوسائل الإعلام في هذا الاتجاه وهم في الوقت نفسه عبروا عن عدم رضاهم عن وسائل الإعلام الفلسطينية لتقصيرها الواضح في هذا المجال رغم أهميته، وعن دور الإعلام في نقـل الذاكرة الجماعية تحدث السيد مخلص عيسى العزة (38 سنة) قائلا:

حاليا الأطفال أو أولادنا يعني بهتموا للتلفزيون للأمور المرئية بتجذب انتباهم أكثر، مثلا انـا تابعـت باهتمـام مسلسـل التغريبـة الفلسطينية وبعتقد انه ساهم في توضيح صورة القرية الفلسطينية اللي كانت عليها قبل النكبة في أذهان هذا الجيل وأنا عندي انتقاد إلي هو يعني كسلطة فلسطينية حاليا موجودة ما شفت إنهم فكروا أو ساووا برنامج عن قرى فلسطينية تم تهجيرها في أل 48، السبب انا ما بعرف، ممكن التقصير الموجود يتم علاجه في يوم من الأيام بس في النهاية هاظا تقصير، يعني انا لو في عندي إمكانية وأبقى صـاحب قرار ممكن أول حاجة أسويها إلي هو برامج وثائقية عن القرى المهجرة من أل 48 وكل قرية بقريتها عشان كل طفل كل ولد كل بنـت كانوا أهاليهم عايشين في هذه القرية يكون عندهم معرفة عن قريتهم.

كما أظهرت غالبية المقابلات بأن عملية توريث الذاكرة الجماعية عند الأحفاد وخاصة من كان مـنهم متزوجا ولديه أطفال تتم في بعض المواقف بطريقة مقصودة وموجهة من قبل الأب أو الأم تجاه الطفـل، وهم [الأحفاد] يشتركون في ذلك مع بعض الأبناء وخاصة المتعلمين منهم وفي الوقت نفسه يختلف الطرفان مع الآباء الذين اتسمت عملية توريث الذاكرة الجماعية عندهم بالعفوية والتلقائية، فتحدث بعض الأحفاد عن محاولتهم لتعريف أبنائهم بوطن الآباء والأجداد [القرية] من خلال بعض الواجبات المدرسية حيث يتدخلون أحيانا في رسومات أبنائهم وكذلك في الموضوعات الإنشائية التي يكتبونها لتكون في أغلب الأحيـان عـن القرية وطبيعة الحياة التي كان يعيشها أجدادهم هناك قبل النكبة والتهجير، وهناك مواقف أخرى تحدث عنها الأحفاد وهي تشير إلى عملية نقل واعية للذاكرة الجماعية، ويبدو ذلك واضحا فيما قالته السيدة عايدة محمد الحموز (34 سنة) في هذا السياق:

بتصدق إحنا كنا عند سيدي وجدتي نقعد ويخرفونا عن البلاد ولحتى الآن أولادي بقولوا بشان الله خرفينا خريفية عن قصص الختيارية، والله انا المعلومات إلي عندي بحاول بكل وسيلة أوصلها لأولادي، دايما بحكي معهم وبزرع في نفسهم انه انا ارض في بيت جبرين ويعني كنا أسياد عليها هالحين صرنا يعني الواحد يدوبك يملك قوت يومه بصراحة الحموز بقى الهم أراضي كثيرة.

أما فيما يتعلق بالفروقات بين الأحفاد التي ظهرت في سياق عملية انتقال الذاكرة الجماعية فقد أظهرت غالبية المقابلات بأن الأحفاد المتعلمين وبالتحديد الحاصلين على تعليم جامعي كانوا أكثر تنويعا في آليات استقاء الذاكرة وقنوات وكذلك توريثها، فبالإضافة إلى اعتمادهم على الرواية الشفوية التي كانوا يستمعون إليها من آبائهم وأجدادهم تحدثوا كذلك عن قراءتهم لبعض الكتب في هذا المجال وعن متابعتهم للبرامج التلفزيونية التي تعنى بهذا الموضوع وخصوصا البرامج التي تحدثت عن بعض القرى المدمرة من خلال روايات أهالي تلك القرى على الرغم من أنهم انتقدوا وسائل الإعلام – وخصوصا تلفزيون فلسطين – لعدم تطرقها إلا لعدد محدود جدا من هذه القرى. أيضا وفي سياق الفروقات والاختلافات التي ظهرت بين الأحفاد فقد أظهرت غالبية المقابلات بأن الإناث كُنَّ أكثر اهتماما من الذكور في مجال التراث وهو ما لوحظ أيضا عند الأبناء وذلك على الرغم أن التراث كقناة لنقل الذاكرة الجماعية كانت ضعيفة إلى حد كبير لدى الأحفاد بشكل عام حيث اختزل هذا الموضوع لديهم فقط في بعض المطرزات وحياكة الثياب الفلكلورية التي كانت سائدة في القرية، وما عدا ذلك فلم تظهر هناك أي فروقات أخرى بين الأحفاد.

5 :5. ملخص لأهم القنوات الدارجة بين أجيال اللاجئين في عملية انتقال الذاكرة الجماعية:

في الصفحات السابقة تم التعرف على قنوات انتقال الذاكرة الجماعية عند الأجيال الثلاثة كل منها على حدا، حيث برز لدى كل جيل عدد من الأطر والقنوات التي عكفوا على نقل الذاكرة الجماعية وتوريثها من خلالها، وقد لوحظ بأن هناك بعض الفروق والاختلافات التي ظهرت بينهم في هذا السياق منها ما كان بين اللاجئين من الفئة العمرية نفسها أو الجيل، ومنها ما كان بين الأجيال بمعنى أن هناك بعض القنوات التي اختص بها جيل دون غيره، أيضا لوحظ بأن هناك بعض القنوات التي كانت دارجة بين الأجيال الثلاثة ولم تكن مقتصرة على جيل دون غيره وخاصة الرواية الشفوية التي شكلت القناة المركزية لنقل الذاكرة وتوريثها عند الأجيال الثلاثة. وفي هذا الباب سوف يجري إجمال لأهم الأطر والقنوات الدارجة

والمستخدمة بين الأجيال الثلاثة وذلك للتعرف على أكثر القنوات شيوعا بين اللاجئين في نقل الذاكرة الجماعية وتوريثها.

ولقد شكلت الرواية الشفوية القناة الأهم والأكثر شيوعا في نقل الذاكرة الجماعية وتوارثها بين مختلف أجيال اللاجئين وهذا ما أظهرته غالبية المقابلات، وفي الوقت نفسه فقد أظهرت غالبية المقابلات بأن عملية انتقال الذاكرة الجماعية من خلال هذه القناة قد إتخذت شكلين مختلفين، ففي الشكل الأول كانت تنتقل الذاكرة بطريقة عفوية وارتجالية وهو الشكل الذي ميز روايات الجيل الأول [الآباء] بشكل عام وكذلك الجيل الثاني [الأبناء] وخاصة الذين يقل مستوى تعليمهم عن المرحلة الثانوية. وأما الشكل الثاني من انتقال الذاكرة عبر الرواية الشفوية فقد انطوى على جانب من الوعي والإدراك بضرورة نقل الذاكرة وتوارثها عبر الأجيال فكان الحديث عن الماضي يبدو موجها وهادفا أكثر منه حديثا عابرا وعفويا وهو الشكل الذي ميز روايات الأبناء الحاصلين على مستوى تعليم ثانوي فأعلى وكذلك غالبية الأحفاد، وهناك بعض الاقتباسات التي أوردناها في الصفحات السابقة من هذا الفصل تشير بوضوح إلى هذين الشكلين من أشكال انتقال الذاكرة الجماعية من خلال الرواية الشفوية.

ومن القنوات الأخرى التي تحدث عنها اللاجئون وساهمت بشكل أو بآخر في عملية انتقال الذاكرة الجماعية كانت زيارة القرية، وقد ساعدت هذه الزيارات – كما تحدث بعض اللاجئين – على زيادة المخزون المعرفي لديهم عن القرية كما ساهمت كذلك في وضوح صورة القرية بوديانها وسهولها وآثارها التي ترتسم في مخيلة الأجيال التي ولدت وعاشت في المخيم. وتجدر الإشارة إلى أن غالبية اللاجئين الذين قاموا بزيارة القرية يحتفظون بصور فوتوغرافية كانوا قد التقطوها لهم في ربوع القرية وبالقرب من الأماكن الأثرية الموجودة هناك، وتشكل هذه الصور بالنسبة لغالبيتهم شواهد ومعطيات مادية تعيد لمخيلتهم صورة أرض الأجداد كلما حاول الزمن النيل منها.

كما لوحظ خلال إجراء المقابلات بأن غالبية اللاجئين من الجيل الأول وعدداً كبيراً من لاجئي الجيل الثاني وخاصة الإناث كانوا يحرصون على ارتداء الزي الشعبي التقليدي الذي كان سائدا في القرية على

اعتبار أن ذلك يأتي في سياق المحافظة على تراث القرية وتأكيدا منهم على أنهم لم ينسوا حياة القرية، وأن حياة المخيم لم تسلخهم عن أصولهم القروية، أيضا وفي سياق المحافظة على تراث القرية فقد لوحظ كذلك بأن غالبية الآباء وكذلك بعض الأبناء يحتفظون في بيوتهم بأدوات وأواني وبعض المطرزات التي أحضرها جيل النكبة معهم من القرية وكذلك بعض الوثائق وخاصة ما يعرف بالطابو الذي يثبت ملكيتهم للأرض وهم يبدون حرصا شديدا على هذه الموروثات ولا يفرطون بها وفي الغالب يجري توريثها للأبناء والأحفاد كباقي الممتلكات الأخرى.

وأما وسائل الإعلام فقد أعرب غالبية اللاجئين عن عدم رضاهم عن دورها في هذا المجال إلا أن ذلك لم يمنع من اعتبارها احدى القنوات التي استقى من خلالها بعض الأبناء والأحفاد جانب من الذاكرة الجماعية وكنا قد أشرنا في الصفحات السابق لذلك بتفصيل أكثر.

وكان آخر تلك القنوات التي تحدث عنها اللاجئون تلك التي اختص بها الأحفاد دون غيرهم وتحديدا الأحفاد الحاصلين على مستوى تعليم ثانوي فأكثر هي المطالعة، فتحدثوا عن مطالعتهم لبعض الكتب والدراسات التي تناولت مجال الذاكرة الجماعية عند اللاجئين، فأشار بعضهم – على سبيل المثال لا الحصر – إلى سلسلة الكتيبات التي صدرت عن مركز أبحاث جامعة بيرزيت – مشروع توثيق القرى الفلسطينية المدمرة.

وفي الوقت الذي أظهرت فيه غالبية المقابلات بأن الرواية الشفوية تعد القناة المركزية لنقل الذاكرة الجماعية وتوارثها بين أجيال اللاجئين فقد أظهرت المقابلات كذلك بأن القنوات الأخرى التي أشير إليها سالفا كانت عبارة عن قنوات فرعية لا يعول اللاجئون كثيرا عليها في نقل ذاكرتهم الجماعية وهم يعزون ذلك لعدة أسباب، منها ما ارتبط بعدم وجود وعي كافٍ لدى بعض اللاجئين بضرورة تفعيل هذه القنوات ولأن اللاجئين تعودوا أكثر على استقاء الذاكرة من خلال الرواية، وهناك من تحدث عن قلة المصادر المتوفرة التي يتم من خلالها تغذية هذه القنوات بالذاكرة الجماعية، كعدم توفر الكتب والدراسات الكافية التي تتناول هذا الموضوع وعدم وجود منهاج وطني فلسطيني مستقل يأخذ على عاتقه مسؤولية إنعاش الذاكرة

الجماعية الفلسطينية في أذهان الناشئة، وأخيرا هناك من أشار إلى عدم وجود اهتمام كاف من قبل وسائل الإعلام الفلسطينية – وخاصة المرئية منها – بهذا المجال.

وأخيرا، فقد تحدث بعض اللاجئين وخاصة من الجيلين الثاني والثالث [الأبناء والأحفاد] في نهاية المقابلات عن ضرورة استحداث قنوات أخرى جديدة وتفعيل بعض القنوات الدارجة والمستخدمة من أجل ضمان انتقال الذاكرة الجماعية بقوة وفاعلية للأجيال القادمة وللتقليل من الثقوب التي اعترت هذه الذاكرة بسبب بعض الإخفاقات التي انتابت عملية الانتقال الجارية حاليا، فأشار غالبيتهم إلى ضرورة إجراء أبحاث ودراسات تتناول مجال الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين وإلى تفعيل دور وسائل الإعلام في هذا الاتجاه وإقامة مواقع الكترونية والاهتمام أكثر بمجال التراث الشعبي وتضمين المنهاج الفلسطيني والمساقات الجامعية مواضيع متصلة بالذاكرة الجماعية.

الفصـــــــل الســـــادس

نتائـــج الدراســـة

1:6. مناقشة النتائج:

هدفت هذه الدراسة في الأساس إلى الإجابة على مجموعة من التساؤلات المتعلقة بالـــذاكرة الجماعيـــة لدى أهالي قرية بيت جبرين، وهي الأسئلة التي وردت في الفصل الثاني تحت عنوان "مشـــكلة الدراســـة وتساؤلاتها"، وكان من أبرز هذه التساؤلات الذي عُدّ في حينه المشكلة الأساسية للدراسة أو اللغز الذي كان ينتظر حلا من خلال النتائج التي تم التوصل إليها هو:

" هل نجح الآباء أو جيل النكبة في نقل وتوريث ما اختزنته ذاكرتهم من معرفة، وقصـــص، وحكايـــات، وصور...الخ، تختص بطبيعة الحياة التي عاشوها في القرية قبل التهجيـــر وكـــذلك بتجربـــة الاقـــتلاع والتهجير التي تعرضوا لها عام 1948 إلى الأبناء والأحفاد، وان الأبناء والأحفاد بدورهم قـــد التقطوهـــا ولديهم القنوات والآليات التي تمكنهم من نقلها إلى الأجيال القادمة؟.أم أن هناك إخفاقات قد انتابت عملية الانتقال هذه وأن الزمن وبما سيحمله من تحولات وتغيرات سينال من هذه الذاكرة إذا لم يتم تدارك الأمر؟ ".

أيضا فقد انطلقت الدراسة من فرضية أساسية كإجابة مفترضة لسؤال الدراسة الرئيس وتقـــول هـــذه الفرضية أن:

" عملية انتقال الذاكرة الجماعية وتوارثها عبر الأجيال الثلاثة (الآباء، والأبناء، والأحفاد) مـــن لاجئـــي القرية قد انتابتها بعض الإخفاقات، وأن مخزون الذاكرة الجماعية(قصص، وحكايات، وتمثلات، ودلالات، ومعرفة....الخ) المتعلق بطبيعة الحياة التي كانت سائدة في القرية وبتجربة الاقـــتلاع والتهجيـــر التـــي تعرض لها أهالي القرية إبان النكبة عام 1948، يتناقص تدريجيا كلما قل عمر اللاجئ ليصبح أقـــل مـــا يكون عليه لدى جيل الأحفاد ".

وقد أظهرت نتائج الدراسة بأنه لا يمكن الحديث عن نجاح مطلق أو إخفاق مطلق في هذا الاتجاه ولكن بشكل عام يمكن القول: إن عملية انتقال الذاكرة الجماعية من الجيل الأول [جيـل النكبـة] إلـى أبنـائهم وأحفادهم قد حققت نجاحا في بعض جوانبها وفي الوقت نفسه كانت هناك إخفاقات في جوانب أخرى وهي تفوق بكثير الجوانب التي تم تحقيق نجاح فيها، وبالتالي لا يمكن إغفالها أو التقليل من أثرها على رصـيد الأجيال من مخزون الذاكرة الجماعية وخصوصا الأبناء والأحفاد وكذلك الأجيال القادمة هذا إذا لـم يـتم تدارك الأمر من خلال عملية ترميم وصيانة لجدران الذاكرة للحد من أثر الثقوب والتصدعات التي أصيب بها خزان هذه الذاكرة بسبب الإخفاقات التي انتابت عملية انتقالها بين الأجيال.

ومن أكثر الجوانب التي أظهرت نتائج الدراسة بأن عملية انتقال الذاكرة الجماعية قد تخللتها نجاحات لا يمكن التقليل من أهميتها ما ارتبط منها بذاكرة الحياة الاقتصادية بمعنى أن الفوارق التي ظهـرت بـين الأجيال الثلاثة في هذا الجانب لم تكن جوهرية من حيث الكم والنوع بالمستوى الذي كانت عليه في جوانب أخرى من الذاكرة الجماعية وخصوصا فيما يتعلق بذاكرة الاقتلاع والتهجير، فمن جملة العناوين التي تـم تناولها في باب الحديث عن الحياة الاقتصادية لم تظهر هناك أي فروق جوهرية بين الأجيال باستثناء بعض الفروق التي ظهرت عندما تم تناول أراضي القرية وتقسيمها بين العائلات فكان الآباء الأكثر معرفة فـي هذا الموضوع وتلاهم الأبناء ومن ثم الأحفاد، أيضا ظهرت هناك بعض الفروق بين الأجيال فيما يتصـل بالذاكرة المتعلقة بالأعمال التجارية والحرفية التي كانت موجودة في القرية قبل نكبتها، حيث كانـت هـذه الفروق لصالح الآباء، وما عدا ذلك فإن ما كان يعرفه ويتذكره الآباء لم يختلف كثيرا عمّا عرفه أو تخيلـه الأبناء والأحفاد عن طبيعة الحياة الاقتصادية التي كانت سائدة في القرية.

أما فيما يتعلق بذاكرة الحياة الاجتماعية فقد أظهرت نتائج الدراسة بأن الفروق والاختلافات بين الأجيال قد تعمقت وتعززت أكثر مما كان عليه الحال في ذاكرة الحياة الاقتصادية. فمن بين تسعة محاور تم تناولها في سياق الحديث عن الحياة الاجتماعية في القرية كما أظهرتها روايات اللاجئـين كانـت هنـاك فـروق واختلافات جوهرية في سبعة منها بين الأجيال الثلاثة، فباسـتثناء المحـور المتعلـق بطبيعـة العلاقـات

الاجتماعية التي كانت سائدة بين حمائل القرية وعائلاتها وكذلك المحور المتعلق بعلاقة القرية مع القــرى المجاورة حيث لم تظهر اختلافات جوهرية بين الأجيال في هذين المحورين فإن المحاور السبعة الأخــرى أظهرت النتائج وجود فروق جوهرية بين اللاجئين وكانت هذه الفروق تتعزز أكثر كلما قل عمر اللاجــيء وهي لم تقف عند فواصل عمرية واضحة المعالم وإنما كانت تظهر كذلك في داخل الجيل نفسه وخصوصا لدى جيل الأبناء حيث ظهرت بعض الاختلافات بين الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة، والأبنـــاء الذين تقل أعمارهم عن الستين، وكانت هذه الفروق أكثر شدة ووضوحا بين الآباء والأحفاد.

ومن بين المحاور المتصلة بالحياة الاجتماعية كانت الفروق فيها واضحة بين الأجيال الثلاثة لصـــالح جيل الآباء حيث المحور المتعلق بحمائل القرية وعائلاتها وعليه لوحظ بأن هذا الجيل ومن كلا الجنســين كان لديه معرفة تفصيلية بمختلف حمائل القرية وعائلاتها وفروعها ونسبها ومن ثم تناقصت هذه المعرفــة بشكل ملحوظ عند الأبناء وكانت معرفة قليلة ومقتصرة في الغالب على عائلة اللاجىء عند الأحفاد، وكان الأمر مشابها كثيرا في المحاور المتعلقة بذاكرة العرس الجبرينـــي وكـــذلك الأعيـــاد والمواســم الشــعبية والتضامن في حالات الوفاة ومقامات الأولياء الموجودة في القرية.

أما عند الحديث عن الفروق وكذلك التقاطعات التي برزت بين أجيال اللاجئين في روايـــاتهم المتعلقــة بذاكرة الاقتلاع والتهجير [الفصل الرابع]، فقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق جوهرية بـــين الأجيـــال الثلاثة في هذا الاتجاه وهي فروق طالت الجانبين الكمي والنوعي في هذه الذاكرة، حيث أظهــرت غالبيـــة روايات اللاجئين في مختلف محاور هذا الفصل بأن ذاكرة الآباء قـــد ازدحمـــت بـــالكثير مـــن الصـــور، والمشاهد، والدلالات، والخبرات التي أظهرت الأثر العميق الذي أحدثته تلك التجربة عليهم وعلى مجـــرى حياتهم بشكل عام، فوصفوا تفاصيل الأحداث التي وقعت في القرية ومحيطها بدقة، وكانوا يراعون بـــذلك التسلسل الزمني لوقوع تلك الأحداث ويمزجون فيها بين العام والخاص في الوقت نفسه كـــانوا حريصـــين على تذكر جميع محطات التوقف التي مروا بها خلال رحلة الخروج القسرية من القرية إلى المخيم بكـــل

تفاصيلها، وغالبا ما كان يمتزج حديثهم عن هذه التجربة بعاطفة حنين كانت بادية بوضوح علـــى ملامـــح وجوههم ونبرات أصواتهم وبعض العبارات التي كانوا يرددونها بين الحين والآخر.

وعندما جرى مقارنة ما رواه الآباء عن تلك التجربة بما تحدث به الأبناء عن التجربة نفســها بـــرزت هناك فروق جوهرية بين الجيلين كان أهمها اختفاء الكثير من الأحداث التي مرت بها القرية إبان نكبتهـــا وغياب تفاصيل كثيرة لأحداث أخرى لطالما كان يتذكرها الآباء، وغالبا ما كان يقتصر حديثهم عن محطات التوقف التي مر بها الآباء في رحلتهم من القرية إلى المخيم بذكر أسماء الأماكن التي توقف فيها الآباء فقط دون ذكر أي تفاصيل لها علاقة بالظروف المعيشية لأهالي القرية في تلك المحطات، والأهم من ذلك كلـــه أن أحاديثهم لم تكن ممزوجة بعاطفة الحنين إلى القرية التي تميزت بها أحاديث الآباء، ويستثنى من ذلـــك عدد قليل من الأبناء ممن تزيد أعمارهم عن 65 سنة ومنهم يتذكرون أيام طفولتهم الأولى في القرية حيث اقتربت رواياتهم كثيرا من روايات الآباء.

ومن ثم تعززت الفروق والاختلافات أكثر بين الأجيال عندما وصل الأمر إلى الأحفاد، حيث لم تتعـــد معرفتهم عن تجربة اقتلاع وتهجير أجدادهم من القرية سوى بعض المعلومات المقتضبة التـــي اختلطـــت ببعض التصورات والتخيلات وكذلك المعرفة العامة بأحداث النكبة، وقلما كان لدى البعض مـــنهم معرفـــة تفصيلية بحدث ما من الأحداث التي وقعت في القرية إبان التهجير، وهم أغفلوا كـــذلك غالبيـــة محطـــات اللجوء المؤقتة لأجدادهم التي سبقت المخيم، كما غابت كليا من عباراتهم وحتى مـــن تعبيـــرات وجـــوههم عاطفة الحنين التي حركتها بعض الذكريات لدى الآباء وبعض الأبناء الذين تجاوزت أعمـــارهم الخامســـة والستين، بالتالي فإن عملية انتقال الذاكرة الجماعية المتعلقة بتجربة التهجير من الآباء إلى الأبناء والأحفاد لم تكن موفقة وناجحة كثيرا.

إذا فإن ما أظهرته نتائج الدراسة بما يتعلق بالإجابة على سؤال الدراسة الرئيس يؤكد صحة الفرضـــية التي انطلقت منها الدراسة، فكان واضحا بأن مخزون الذاكرة الجماعية لدى الأبناء والأحفاد قـــد انخفـــض وتراجع بشكل ملحوظ كما ونوعا عما كان عليه لدى الآباء أو الجيل الأول، وهو ما لوحظ بوضـــوح فـــي

غالبية محاور الذاكرة التي تم التطرق إليها في الفصلين الثالث والرابع، وغالبا ما كان يتدرج هذا التراجع في مخزون الذاكرة لدى الأبناء والأحفاد بحسب عمر اللاجئ، بمعنى أن هناك علاقة طردية بين العمر وما يَتَحَصَّل عليه اللاجئ من الذاكرة الجماعية وخاصة عند الأبناء، فكان الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة أكثر معرفة من الأبناء الآخرين بحيثيات الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في القرية، وكذلك بتجربة التهجير التي مر بها الأهالي كما أظهرتها ذاكرة الآباء، وتعد روايات الأبناء بشكل عام أقرب إلى روايات الآباء من روايات الأحفاد، كما لوحظ أحيانا بأن الأحفاد الذين تزيد أعمارهم عن الثلاثين سنة كانوا أكثر معرفة من الأحفاد الذين تقل أعمارهم عن ذلك. بالتالي فإن عملية انتقال الذاكرة الجماعية بين أجيال اللاجئين قد انتابتها إخفاقات وهذه الإخفاقات أدت بدورها إلى إحداث ثقوب تسرب من خلالها جانب كبير ومهم من الذاكرة الجماعية، وفي هذا السياق لا يمكن تحميل المسؤولية عن هذا الإخفاق لجهة معينة أو لجيل دون غيره، فالآباء دون شك يتحملون جانبا من المسؤولية، فعملية نقلهم للذاكرة غالبا ما كانت تتم بطريقة عفوية وغير منظمة، والأبناء والأحفاد لم يكونوا جادين في البحث عن الآليات والقنوات المناسبة التي تمكنهم من استقاء ذاكرة الآباء بشكل جيد، كما أن بعضهم كان انتقائيا في ذلك يستقي بعض جوانب الذاكرة التي تستهويه ويترك جوانب أخرى يُنظر إليها من طرفه بأهمية أقل.

وأما بخصوص أسئلة الدراسة الأخرى [الفرعية] فقد توضحت الإجابة على السؤال الأول والثاني في سياق المحاور التي تم التطرق إليها في الفصلين الثالث والرابع، حيث تحدث اللاجئون بمختلف فئاتهم العمرية عن طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في القرية قبل النكبة كما بدت في الذاكرة الجماعية لأهالي القرية، أيضا فقد وضحت الروايات تجربة تهجير أهالي القرية وما تخللها من محطات وأحداث وخبرات تم اختزالها في الذاكرة، وبشكل عام فقد اختزلت الذاكرة الجماعية لأهالي القرية صورا ومشاهد تبدو فيها بيت جبرين قرية وادعة وهادئة وجميلة بسهولها وتلالها الخضراء ويعم الخير فيها على الأهالي جميعاً ويبدو الناس في هذه الصور متحابين ومتكاتفين وغالبا ما كانت تنطوي روايات اللاجئين في هذا الشأن على مفارقات ومقارنات بين حياة القرية السعيدة وحياة المخيم البائسة، وأما فيما

يتعلق بذاكرة الاقتلاع والتهجير فقد أظهرت روايات اللاجئين وخاصة الآباء منهم عمق التجربة وأثرها في نفوس أولئك الذين عاشوها بتفاصيلها وكان ذلك واضحا في روايات الآباء التي عكست أدق التفاصيل المتعلقة بتلك التجربة مع ما رافق ذلك من مظاهر الألم والمرارة التي كانت بادية على وجوههم وهم يروون رحلة عذابهم من القرية إلى المخيم، وهنا تجدر الإشارة إلى قضية مهمة في هذا السياق وهو أن ما تحدثت به غالبية روايات اللاجئين المتعلقة بذاكرة الاقتلاع والتهجير يشير بوضوح إلى أن ما جرى في بيت جبرين عام 1948 يندرج في سياق عملية التهجير القسري التي اتبعتها العصابات الصهيونية حيال أهالي غالبية القرى الفلسطينية الأخرى في ذلك الوقت، بالتالي فان هذه الروايات تدحض الدعاية الصهيونية جملة وتفصيلا التي تحدثت عن دور الإعلام العربي والقيادات العربية والفلسطينية في تشجيع الناس على الرحيل من قراهم ومدنهم إما بشكل مباشر أو غير مباشر، وفي الوقت نفسه فإن مضمون هذه الروايات ينسجم مع دراسات كثيرة لعدد من الباحثين والأكاديميين الفلسطينيين أمثال د. شريف كناعنة ونافز نزال والخالدي والصايغ وغيرهم كما أنه ينسجم إلى حد ما مع تفسيرات بعض الكتاب الإسرائيليين أمثال بني موريس وميرون بنفنيستي(كناعنة، 1992:24-9)، (موريس، 1993: 81-79)، (بنفنيستي، 2001:31-27). وأما الأبناء والأحفاد فكانوا أقل معرفة بالتفاصيل كما لم تظهر عليهم مظاهر الألم والحرقة التي ظهرت لدى الآباء. وبالعودة إلى محاور الفصلين الثالث والرابع حينها يمكن التعرف على تفاصيل أدق بما يتعلق بصورة الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في القرية قبيل النكبة كذلك بما يتعلق بتجربة تهجير أهالي القرية كما عكستها الذاكرة الجماعية لأهالي القرية.

وعن أثر بعض المتغيرات المستقلة الأخرى عدا العمر، كالجنس، ومستوى التعليم، ومكان السكن على مخزون الذاكرة الجماعية عند أجيال اللاجئين وهو ما نص عليه السؤال الثالث للدراسة، فقد أظهرت النتائج بأن هذه المتغيرات لم يكن لها تأثير كبير على مخزون الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين كما هو الحال بالنسبة لمتغير العمر، فمثلا لم يتم رصد أي أثر يذكر لمتغير مكان السكن بمعنى وجود فروق بين اللاجئين الذين يسكنون مخيم الفوار واللاجئين الذين يسكنون مخيم بيت جبرين/العزة، وربما يعود ذلك إلى التشابه

الكبير في نمط الحياة الاجتماعي والاقتصادي السائد في المخيمات الفلسطينية المنتشرة في الضفة الغربية. أما بالنسبة إلى متغير الجنس فقد لوحظ بأن هناك أثراً ملموساً لهذا المتغير في بعض محاور الذاكرة التـــي تم التطرق إليها وفي المقابل هناك محاور أخرى لم يلاحظ أي أثر لهذا المتغير حيث تطابقت إلى حد كبير روايات الطرفين، وقد كانت هذه الفروق في مجملها لصالح الذكور بمعنى أن رصيدهم من مخزون الذاكرة كان أعلى من الإناث بشكل عام باستثناء أحد محاور الذاكرة المتعلق بمشهدية الاحتفالات بليالي رمضـــان والأعياد في القرية حيث كانت النساء من جيل النكبة لديهن صورة اشمل وأدق من الذكور، أمـــا بالنســـبة للأجيال الأخرى [الأبناء والأحفاد] فلم تظهر اختلافات ذات قيمة بين الجنسين في هذا المضمار.

ومن أبرز محاور الذاكرة الجماعية التي ظهر فيها تفوق الذكور على الإناث كـــان المحـــور المتعلـــق بحمائل القرية وعائلاتها حيث أظهرت غالبية المقابلات بأن الذكور من الجيلين الأول والثاني كانوا أكثـــر معرفة من الإناث في هذا المجال، أما بالنسبة للأحفاد فلم تظهر هناك أي فروق تذكر بين الجنســـين فـــي المحور المذكور. هذا فيما يتعلق بذاكرة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفروق التي ظهرت بين الجنسين في هذا المجال، أما فيما يتعلق بذاكرة الاقتلاع والتهجير فقد تفوق الذكور من جيل الآباء وكذلك من جيـــل الأبناء الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة على الإناث فيما يختص بدور الجيوش العربية والمتطوعين في الدفاع عن القرية حيث كان الذكور أكثر دراية ومعرفة بتفاصيل ذلك الدور والمواجهات التي دارت بـــين القوات الصهيونية والعرب في تلك الفترة، أيضا فقد تفوق الذكور من جيل الأبناء وكذلك من جيل الأحفـــاد على الإناث فيما يتصل بالأحداث العسكرية التي سبقت عملية الترحيل وخاصة عمليات القصف الجوي التي تعرضت لها القرية ولجوء الأهالي إلى المغاور والكهوف الواقعة في أطراف القرية. ويمكـــن رد تفـــوق الذكور على الإناث في بعض محاور الذاكرة الجماعية لأسباب لها علاقـــة بمنظومـــة العـــادات والتقاليـــد الاجتماعية التي تحد من مشاركة الإناث في المجالس العامة وبعض المناسبات خارج إطار الأسرة وفـــي المقابل فإن للذكور الحرية الكاملة في ذلك، وهذا من شأنه أن يوفر مصادر إضافية لاستقاء الـــذاكرة عنـــد الذكور ويمنعها عن الإناث.

وأما متغير مستوى التعليم فكان أثره محدودا إذا ما قورن بأثر متغير العمر أو الجنس حيث لم يظهر أي فروق بين اللاجئين يمكن إرجاعها إلى متغير التعليم إلا فيما يتعلق بدور المرأة ومشاركتها في الأنشطة الاقتصادية في القرية حيث اعتبر المتعلمون وبالتحديد من يزيد مستوى تعليمهم عن المرحلة الثانوية لدى الجيلين الأول والثاني، أي الأبناء والأحفاد بأن النساء في القرية كن مضطهدات ولا يحصلن على أي حقوق على الرغم من دورهن الأساسي في عملية الإنتاج، أيضا ظهرت بعض الفروق بين من هم حاصلون على تعليم ثانوي فأكثر ومن هم دون ذلك المستوى التعليمي في الذاكرة المتعلقة بمعالم القرية وآثارها والمقامات الدينية فيها وقد انحصرت هذه الفروق بين اللاجئين من الفئة العمرية الثانية [الأبناء] وكانت لصالح الحاصلين على تعليم أعلى. وما عدا ذلك فلم تظهر أي فروق بين اللاجئين يمكن ردها إلى متغير مستوى التعليم.

أيضا وفي سياق الفروق التي ظهرت بين اللاجئين، فقد ظهرت في بعض محاور الذاكرة الجماعية التي تم التطرق إليها بعض الفروق التي كان مردها إلى أحد المتغيرات التي لم تكن بالحسبان حينما تم تحديد المتغيرات التي سوف يجري فحص تأثيرها على مخزون الأجيال من الذاكرة الجماعية، وهذا المتغير هو الانتماء العائلي، وتحددت هذه الفروق والاختلافات بين طرفين، تمثل الطرف الأول بعائلة العزة التي تفوقت على العائلات الأخرى بملكية الأرض وكذلك بالجاه أو بالسلطة وبقسط من التعليم، وأما الطرف الثاني فتمثل بعائلات القرية الأخرى، ومن أبرز هذه الفروق ما ظهر منها في الذاكرة المتصلة بتقسيم أراضي القرية بين عائلاتها وحمائلها حيث انطوت غالبية روايات اللاجئين الذين ينتمون إلى عائلة العزة على شعور بالتميز عن العائلات الأخرى لأنهم كانوا يملكون أكثر الأراضي وأفضلها على الرغم من صغر هذه العائلة من حيث العدد إذا ما قورنت ببعض عائلات القرية الأخرى.

أيضا فقد ظهر بوضوح أثر هذا المتغير [الانتماء العائلي] في الروايات المتصلة بدور المرأة ومشاركتها في الأنشطة الاقتصادية، حيث عبر اللاجئون من عائلة العزة الذين ينتمون إلى جيلي الآباء والأبناء عن تميز نسائهم عن نساء العائلات الأخرى بأنهن كن أكثر رفاهية ولا يعملن في الأرض كما

أنهن شكلن أغلبية من بين الإناث اللواتي التحقن بمدرسة القرية، أيضا فقد برز أثر هذا المتغير في الذاكرة المتعلقة بوجهاء القرية ومخاتيرها حيث اعتاد أبناء العائلات الأخرى على ذكر أسماء الوجهاء والمخـــاتير من العائلات كافة، أما اللاجئون من عائلة العزة فقد كانوا يركزون في الأساس على وجهاء العائلة وقلمـــا يذكرون غيرهم، وفي ذاكرة الاقتلاع والتهجير برز كذلك أثر متغير الانتماء العائلي وخاصة في المحـــور المتعلق برحلة العذاب نظرا لاختلاف المحطة الأولى في هذه الرحلة بالنسبة لعائلة العزة حيث كانت مدينة الخليل المحطة الأولى لغالبيتهم بينما كانت القرى القريبة من بيت جبرين خاصة تلك التـــي بقيـــت تحـــت سيطرة الجيش الأردني المحطة الأولى لغالبية أهالي القرية من العائلات الأخرى، كمـــا أظهـــرت غالبيـــة الروايات بأن الأبناء والأحفاد من عائلة العزة لم تكن لديهم معرفة واضحة بخصوص طريقة خروج آبائهم وأجدادهم من القرية فكان هناك خلط بين من خرجوا بالسيارات وبين من ركبوا الـــدواب أو مشـــيا علـــى الأقدام أما الأبناء والأحفاد من العائلات الأخرى فكانوا أكثر تحديدا لطريقة خروج ذويهم من القرية.

وفي الفصل الخامس من الدراسة تم التوصل إلى بعض النتائج التي يمكن اعتبارها كإجابة على السؤال الرابع والأخير للدراسة، فبما يتعلق بالشق الأول من السؤال الذي تمحور حول أهم القنوات التي يجري من خلالها عملية انتقال الذاكرة الجماعية وتوريثها من جيل إلى جيل من لاجئي القرية فقد أظهرت النتائج بأن الرواية الشفوية كانت هي القناة الرئيسية التي اعتمد عليها اللاجئون من مختلف الأجيال في نقـــل الـــذاكرة وتوريثها وهذا ما أظهرته غالبية المقابلات، حيث انتقلت من خلال الرواية القصص والحكايات والتجارب والأحداث من جيل إلى جيل، أيضا كانت هناك بعض القنوات الأخرى ولكنها بقيت ثانوية بالمقارنـــة مـــع الرواية الشفوية وكان من أهمها زيارة القرية على شكل مجموعات تضم الآباء والأبناء والأحفاد والإطلاع عن قرب على معالم القرية وآثارها وبعض البيوت التي لازالت قائمة، وغالبا ما كانوا يلتقطون لهم صورا فوتوغرافية هناك ويحرصون على اقتنائها والاحتفاظ بها في البومات خاصة، كما شكل التـــراث مصـــدرا مهما لرفد الأجيال بذاكرة الأجداد من خلال محافظة اللاجئين على بعض مظاهر الحياة التي كانت ســـائدة في القرية كالزي التقليدي وكذلك الاحتفاظ ببعض الأواني والمطرزات التراثية التي تعود في أصلها إلـــى

القرية، أيضا فقد أظهرت المقابلات بأن عدداً كبيراً من اللاجئين لا زال متمسكاً ببعض الوثـــائق القديمـــة وخاصة تلك الوثائق التي تسمى "بالطابو" التي تثبت ملكيته للأرض ويورثوها لبعضهم كبـــاقي الممتلكـــات الأخرى، وأخيرا فقد تحدث بعض اللاجئين عن متابعتهم لبعض البرامج والمسلسلات التي تناولت قضـــية اللاجئين الفلسطينيين وتبث عبر بعض محطات التلفزة، أيضا هناك من تحدث عن مطالعته لبعض الكتـــب التي تعنى بذاكرة الأجداد وبالقرى الفلسطينية المدمرة.

وعن أثر بعض المتغيرات المستقلة كالعمر، ومستوى التعليم، والجنس، وكذلك مكان السكن على نـــوع القنوات والمصادر التي يستقي من خلالها اللاجئون الذاكرة الجماعية، وهذا ما نص عليه الشق الثاني مـــن سؤال الدراسة الأخير، وفي هذا السياق فقد ظهرت هناك بعض الفروق والاختلافات بين اللاجئين، ومـــن أهمها تلك الفروق التي كان مردها متغير الجنس حيث لوحظ بأن الإناث كن أكثر اهتماما بمجال التـــراث كمصدر للذاكرة الجماعية وتمثل ذلك الاهتمام بارتداء الزي التقليدي وحياكته والمحافظـــة علـــى بعـــض المقتنيات التراثية القديمة وقص الحكايات الشعبية المستقاة من التراث للصغار، وأكثر ما لوحظـــت هـــذه الفروق عند الأبناء والأحفاد ولم تكن واضحة بين الأجداد، وفي المقابل فقد لوحظ بأن الذكور كانوا أكثـــر اهتماما باقتناء الوثائق وخاصة أوراق الطابو، أما بما يتعلق بأثر متغير العمر فقد أظهرت المقابلات بـــأن الآباء لم يكن لديهم اهتمام بوسائل الإعلام بخلاف الأجيال الأخرى الذين أبدوا اهتماما بهذه المصادر، أمـــا مطالعة الكتب التي تناولت مجال الذاكرة الجماعية، وخاصة تلك الكتب التي تحدثت عن القرى المدمرة فقد اختص الأحفاد الجامعيون بهذا المصدر دون غيرهم. وأخيرا فقد أظهرت المقابلات بأن الأبناء المتعلمـــين وتحديدا الحاصلين على تعليم ما بعد المرحلة الثانوية وكذلك غالبية الأحفاد بأن عمليـــة انتقـــال الـــذاكرة الجماعية عندهم غالبا ما كانت تتم بطريقة انتقائية وواعية وقلما كانت تتم بطريقة عفوية كما هـــو الحـــال بالنسبة لغالبية الآباء والأبناء، بمعنى أنهم كانوا يتلقون وينقلون بعض جوانب الذاكرة التي كانت تســـتحوذ على اهتمامهم ويتركون جوانب أخرى يعتقدون بأنها ليست مهمة مثل بعض القصص والحكايـــات التـــي تتحدث عن تجارب شخصية ويركزون على أهم الأحداث العسكرية التي جرت في قريتهم إبان نكبتها.

2:6. إستنتاجات أساسية توصلت إليها الدراسة:

بعد أن جرى استعراض وتوضيح لما تم عمله في الدراسة والنتائج التي تمخضت عنها وربطها بأسئلة الدراسة والفرضية الأساسية التي انطلقت منها، نورد هنا أهم وأبرز الاستنتاجات التي تم التوصـــل إليهـــا، وهي على النحو التالي:

أولا: أظهرت النتائج بأن هناك فروقاً جوهرية كمية ونوعية بين أجيال اللاجئين الثلاثة[جيـــل النكبـــة أي الآباء، وجيل الأبناء، وجيل الأحفاد] في غالبية محاور الذاكرة الجماعية التي جرى التركيـــز عليهـــا فـــي الفصلين الثالث والرابع، أي فيما يتصل بذاكرة الحياة الاقتصادية والاجتماعية وذاكرة الاقتلاع والتهجير.

ثانيا: تدرجت الفروق المشار إليها في البند السابق بين الأجيال الثلاثة، فكان اللاجئون مـــن جيـــل النكبـــة يتميزون بالرصيد الأعلى من مخزون الذاكرة الجماعية ثم تلاهم اللاجئون من جيل الأبناء، مع ضـــرورة الإشارة إلى أن هناك فروقا ظهرت بين اللاجئين من الجيل الثاني [الأبناء] وكانت لصالح من هم أكبر سنا، وأما الأحفاد فكان رصيدهم من الذاكرة هو الأقل من بين الأجيال الثلاثة.وبعبارة اخرى فان النتائج دلـــت على ان هناك علاقة طردية بين عمر اللاجئ والمخزون الكمي والنوعي الذي يتحصّل عليه من الـــذاكرة الجماعية.

ثالثا: بالإضافة إلى أثر متغير العمر، فقد أظهرت النتائج كذلك بأن هناك أثراً جوهرياً لبعض المتغيـــرات المستقلة الأخرى على مخزون الأجيال من الذاكرة الجماعية، وكان أكثر هذه المتغيرات تأثيرا هو متغيـــر الجنس ثم تلاه متغير التعليم، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أثر هذين المتغيرين قد انحصر أكثر بين اللاجئين من الجيلين الثاني والثالث وقلما كان لهما تأثير يذكر بين اللاجئين من الجيل الأول.

رابعا: دلت النتائج بأن متغير مكان السكن لم يكن له تأثير يذكر بين اللاجئين، فتشابهت روايات اللاجئـــين الذين يقيمون في مخيم الفوار إلى حد كبير مع اللاجئين المقيمين في مخيم بيت جبرين /العزة ولم تظهـــر بينهم أي فروق تذكر تعزى إلى هذا المتغير. وفي الوقت نفسه فقد برز أثناء إجـــراء المقـــابلات متغيـــر الانتماء العائلي كمتغير مستقل آخر كان له الأثر على مخزون الذاكرة في بعض المحاور، وخاصة فيمـــا

يتعلق بتقسيم أراضي القرية ومشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية وكذلك بما يتعلق برحلة العذاب لأهـالي القرية.

خامسا: أظهرت النتائج بأن الرواية الشفوية شكلت المصدر الأساس الذي يستقي منه اللاجئـون الـذاكرة الجماعية، كما أظهرت النتائج بأن هناك مصادر وقنوات أخرى ولكن اللاجئين لا يعولون عليها كثيرا فـي إستقاء الذاكرة الجماعية ونقلها للأجيال التالية، ومن أهم هذه المصادر والقنوات: زيارة القرية، والاحتفـاظ بصور فوتوغرافية للقرية وببعض الوثائق، ومطالعة بعض الكتب، ومتابعة برامج ومسلسلات تلفزيونية لها علاقة بالنكبة، وممارسة بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة في القرية وإرتداء غالبية كبار السن الزي الشعبي الذي تميزت به قرية بيت جبرين، وقد برزت بعض الفروق بين اللاجئين في هذا المجال وخاصـة عند جيل الأبناء وجيل الأحفاد، وهي تعزى في الأساس إلى متغيري الجنس والتعليم وأما مكان السكن فلم يكن له أي تأثير يذكر بين اللاجئين فيما يتعلق بعملية انتقال الذاكرة الجماعية.

سادساً: لقد اظهرت غالبية المقابلات مع الجيل الاول [الآباء] بأن ذاكرتهم انطوت على قـدر كبيـر مـن الرومانسية والحنين الى القرية كما أنها اختزلت الجوانب السلبية في حياتهم التي عاشوها في القرية بشكل عام وعلاقاتهم الاجتماعية بشكل خاص[علاقات الناس بعضهم ببعض وعلاقة الحمائل والعائلات وكـذلك علاقة القرية بالقرى المجاورة] وفي المقابل ابرزت هذه الذاكرة الجوانب الايجابية في حياتهم التي عاشوها في القرية وخصوصا بما يتعلق باالعلاقات الاجتماعية بين الناس، بخلاف الاجيال الاخرى التي كانت اكثر واقعية في وصف العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في القرية.

3:6. مستقبل الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين على ضوء النتائج التي تم التوصل إليها:

تشكل هذه الدراسة إسهاما في الوقوف على ما آلت إليه الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسـطينيين بعـد مضي أكثر من ثمان وخمسين سنة على النكبة (1948- 2006) وقرب زوال الجيل الـذي شـهد ذلـك الحدث المفصلي في تاريخ الشعب الفلسطيني بسبب تقدمهم في العمر، وحسب بعض الدراسـات فهـم لا يتعدون ما نسبته 3% من مجموع اللاجئين الفلسطينيين(السهلي، 2005: 12)، وهو أيضا ما كان واضـحا

خلال إجراء المقابلات حيث استغرقت عملية البحث عن كبار السن [الآباء] وقتا طويلا وجهدا مضنياً حتى تم الوصول إلى العدد الذي تم تحديده من هذا الجيل في عينة الدراسة (20 مبحوث ومبحوثة). لـــذا فإنـــه أصبح من الأهمية بمكان في هذا الوقت وقبل فوات الأوان البحث عن إجابات علميـــة تـــدعمها دراســـات منظمة على بعض الأسئلة التي تثار هنا وهناك حول ما ستؤول إليه الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين بعد مضي هذه السنوات الطوال ورحيل غالبية جيل النكبة عن الحياة.

وقد أجابت هذه الدراسة على بعض الأسئلة المتعلقة بالذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين، ولكن في مقابل ذلك بقيت هناك أسئلة كثيرة بحاجة هي الأخرى إلى إجابات، كما ساهمت نتائج هذه الدراســـة فـــي الكشف عن جوانب أخرى في مجال الذاكرة الجماعية للاجئين وهي أيضا بحاجة إلى البحـــث والدراســـة. فمثلا هناك نسبة لا يستهان بها من اللاجئين الفلسطينيين الذين انتقلوا للعيش في المدن وتركوا المخيمات أو أن لجوءهم منذ البداية كان إلى المدن، فماذا عن الذاكرة الجماعية لديهم؟ ، هل أن وجودهم في المدن كان له أثر على مخزون الذاكرة الجماعية عندهم وكذلك عملية انتقالها وتوارثها عبر الأجيال؟ ولمـــاذا يركـــز اللاجئون على الشكل التقليدي في عملية انتقال الذاكرة الجماعية من خلال الروايـــة الشـــفوية ولا يولـــون اهتماما بالمصادر الأخرى؟، ما هو مستقبل الذاكرة الجماعية الفلسطينية بشكل عام إذا بقيت عملية انتقالهـــا من جيل إلى جيل عملية فردية ترتكز على اللاجئ نفسه؟ وهل أننا بحاجة إلى مأسسة عملية الانتقال هـــذه من خلال استحداث الأطر والمؤسسات التي تأخذ على عاتقها القيام بهذا العمـــل؟ ومـــاذا عـــن اللاجئـــين الفلسطينيين في الشتات؟ هل أن بعدهم المادي عن فلسطين قد أحدث ثقوبا في الذاكرة لديهم أم أنهم يمتلكون الآليات التي يستطيعون من خلالها المحافظة على هذه الذاكرة وتوريثها للأجيال التالية؟. وهنـــاك أســـئلة كثيرة أخرى لا مجال لحصرها هنا تحتاج إلى إجابات من خلال البحث والدراسة.

والنتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة لا تَدْعُ إلى التفاؤل كثيرا، فهي تشير إلى وجود إخفاقات كثيرة في عملية نقل الذاكرة الجماعية وتوريثها، فكما لاحظنا بأنه كلما كان يقل عمر اللاجئ كان رصـــيده من الذاكرة الجماعية يقل، بالتالي فالمطلوب هو انطلاقة حقيقية لعمل مؤسسي جاد يأخذ على عاتقه إنعاش

الذاكرة الجماعية الفلسطينية والبحث عن السبل الكفيلة بانتقال هذه الذاكرة وتوارثها عبر الأجيال حتى تكون هناك رواية فلسطينية متكاملة تتناقلها الأجيال الفلسطينية القادمة وتكون قادرة على مجابهة الرواية الأخرى وشاهداً على الظلم والغبن الذي لحق بالفلسطينيين منذ أن بدأ المشروع الصــهيوني تجلياتــه علــى أرض فلسطين وحتى يومنا هذا.

المراجـــــــــــع

أولا:المراجع العربية

أبرش، إبراهيم، 1998. **علم الاجتماع السياسي**. عمان:دار الشروق.

أبو فضة، محمد، 1985. **عجور:ارض الأجداد في اجنادين**. ط2. عمان:مطبعة البيت العربي.

أبوغوش، يعقوب، 2004. **قرية عمواس**. سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة. رقم 15. ط2. جامعة بيرزيت: مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني.

اندرسون، بندكت، 1999. **الجماعات المتخيلة**. ترجمة: محمد الشرقاوي. دمشق: المجلس الأعلى للثقافة.

بشارة، عزمي، 1997. " في الذاكرة والتاريخ ". **مجلة الكرمل**. العدد. 5.

بنفنيستي، ميرون، 2001. **المشهد المقدس: طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ 1948**. ترجمة: د.سامي مسلم.رام الله: مدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

جامعة أكسفورد، 2001. **الأطفال والمراهقون في الأسرة الفلسطينية: العيش في ظل تأثيرات النزاعات طويلة الأمد والهجرة القسرية**. لندن: جامعة أكسفورد – مركز دراسات اللاجئين.

حنفي، ساري، ولينا جيوسي، 2004. في تقديمهما لكتاب: **الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتمادا على التاريخ الشفوي في مخيم جنين** لعبد الفتاح القلقيلي. رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني(شمل).

الخالدي، وليد، 1997. **كي لا ننسى**. الطبعة الأولى. بيروت:مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

خوري، الياس، 1990. **الذاكرة المفقودة: دراسات نقدية**. بيروت: دار الأدب.

الدباغ، مصطفى مراد، 1991. **موسوعة بلادنا فلسطين**: الجزء الخامس – القسم الثاني. في ديار الخليل. كفر قرع: دار الهدى.

دكروب، محمد حسين، 1984. **الانتروبولوجيا:الذاكرة والمعاش**. بيروت: معهد الإنماء العربي.

رم، أوري، 1997. " الذاكرة والهوية: سوسيولوجيا نقاش المؤرخين في إسرائيل ". **مجلة الكرمل**. العدد. 51.

الزيات، السيد عبد الحليم، 2002. **التنمية السياسية**: الإسكندرية: دار المعرفة الجامعة.

سعد، احمد، 1985. **التطور الاقتصادي في فلسطين**. حيفا: دار الاتحاد للطباعة والنشر.

سعدي، أحمد، 2003. " الذاكرة والهوية ". **مجلة الكرمل**. العدد. 74 – 75.

سعيد، ادوارد، 1981 .**الاستشراق... المعرفة – السلطة – الانشاء**. ترجمة: كمال ابو ديب. بيروت: مؤسسة الابحاث العربية.

سعيد، ادوارد، 2002. التلفيق: " الذاكرة والمكان ". **مجلة الكرمل**، العدد، 70 – 71.

السيد احمد، سميرة. 1986. " الطفل وتكوين المفاهيم: دور الروضة والمدرسة الابتدائية ". **مجلة العلوم الاجتماعية**. العدد. 3.

الشريف، ريجينا، 1985. الصهيونية غير اليهودية – جذورها في التاريخ الغربي. ترجمة: احمد عبد العزيز.**سلسلة عالم المعرفة** / 96 . الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

الشريف، ماهر، 2004. " الذاكرة الشفهية الفلسطينية والهوية الوطنية في ضوء تعدد المنافي والساحات ".**مجلة صامد الاقتصادي**. المجلد 26. العدد. 135.

الشوا، سلمى، 2003. **الفلسطينيون في اليونان: وحدة الانتماء مع الشتات**. في عباس شبلاق. الفلسطينيون في أوروبا: إشكاليات التكيف والبقاء. رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية.

شولز، هيليانا، 2003. **الشتات الفلسطيني بين القومية وما وراء القومية**. في عباس شبلاق. الفلسطينيون في أوروبا: إشكاليات التكيف والبقاء. رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية.

صايغ، روز ماري، 1980. **الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة**. ترجمة: خالد عايد. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

الصدة، هدى، 1998. " سير النساء والهوية الثقافية: نموذج عائشة ". **في زمن النساء والذاكرة البديلـــة: مجموعة أبحاث**. القاهرة: دار الكتب.

عبد الجواد، صالح. 1995. في تقديمه لكتاب: **صفحات من الذاكرة الفلسطينية: تذكرات حاتم كمال**. رقـــم 6. بيرزيت:منشورات جامعة بيرزيت:مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني.

عبد الكريم، ابراهيم، 1993 . **الاستشراق وابحاث الصراع لـــدى اســـرائيل**.عمـــان: دار الجيـــل للنشـــر والدراسات والابحاث الفلسطينية.

عرا ر، عبد العزيز، 1995. **قرية بيت جبرين**. بيرزيت: جامعة بيرزيت: مركز دراسة وتوثيق المجتمـــع الفلسطيني.

العزة، عبد اللطيف، (بدون سنة نشر). **زمن الاعتكاف:صفحات من تاريخ الأردن وفلسطين: مذكرات عبد اللطيف عبد الرحمن العزة**. مجموعة أوراق غير منشورة.

عطية الله، احمد، 1945. **الذاكرة والنسيان**. القاهرة:مكتبة النهضة العربية.

عودة، محمد، 2000. " حالة اللجوء ودورها في تطوير الهوية الفلسطينية ". **مجلة آفاق**. مجلد 3. عدد. 9 / 10.

غلين، باومن، 1994. " خيال المنفى: بناء المكان الفلسطيني من خارجه " – أوراق قـــدمت فـــي مـــؤتمر بعنوان: **آفاق المشهد في فلسطين** المنعقد في جامعة بيرزيت.

غنايم، محمد حمزة، 2001. في تقديمه لكتاب: **الفلسطينيون صيرورة شعب**، تـــأليف: بـــاروخ كـــامرلنغ ويوئيل شموئيل مغدال. ترجمة: محمد حمزة غنايم، رام الله: مؤسسة الأيام.

القلقيلي، عبد الفتاح، 2004. **الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتمادا على التاريخ الشفوي في مخيم جنين**. رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني(شمل).

كاستورياديس، كورنيليوس، 2003. **تأسيس المجتمع تخيليا**. ترجمة وتقديم: ماهر الشريف. دمشـــق: دار المدى للثقافة والنشر.

كناعنة ، وآخرون، 1987. **سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة – اللجون. رقم 6.** جامعة بيرزيت: مركز الوثائق والأبحاث.

كناعنة، شريف، 1992. **الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير.** القدس: مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية.

كناعنة، شريف، وآخرون، 1991.. **سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة – مسكة. رقم 10.**جامعة بيرزيت: مركز الوثائق والأبحاث.

كوثراني، وجيه، 2000. **الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل: دراسات في البحث والبحث التاريخي.** بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

منصور، جوني، 2001. " الهلوكوست (المحرقة): من الواقع التاريخي والذاكرة الجماعية إلى توظيفها ". **مجلة قضايا إسرائيلية.** العدد، 3.

موريس، بني، 1993. **طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين.** عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية.

الموسوعة الفلسطينية، 1990. القسم الثاني. المجلد الثاني.

يحيى، عادل، 1998. **اللاجئون الفلسطينيون: 1948-1998 (تأريخ شفوي).** رام الله: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Slomovics, Susan, 1998***, The Object Of Memory: Arab and Jew narrate the Palestinian village***. Philadelphia: University Of Pennsylvania. Press 1998.

Sayigh, Rosemary,1998, "Palestinian Camp Women As Tellers of History" . ***journal of Palestine studies,***vol.27, no.2. p.42-58.

Nazzal, Nafez,1978, ***The Palestinian Exodus From Galilee 1948***. Beirut institute for Palestine studies.

Oxford University, 2001, ***Gecide On Trail :War Crimes Trail And The Formation Of Holocaust History And Memory*** .New York: Oxford University Press.

Grodzinky, Yousef, 2001, *"**Historical Commissions In The DP Camps: the resilience of Jewish identity, rough draft for the remarque institute conference on birth of a refugee nation."***April1 9 - 21, 2001.

Gross, Toomas, 2002***, Anthropology collective memory :Estonian*** ,university of Tartu, no. 6.

Miller, Donald & Touryan lorana, 1991. "memory and identity across the generations: case study of Armenian survivors their progeny ", ***qualitative sociology***,vol.14,no.1

Schuman, Howard, 2003, "Keeping the Past Alive : Memories Of Israel Jews at the turn of the millennium", ***sociological forum***, vol. 18, no.1.

Schwartz, Barry,1996,"Introduction: The Expanding Past", ***qualitative sociology***,vol.19,no3.

Zerubavel, Eviater, 1996, "Social Memories: Step To Sociology Of The Past" , ***qualitative sociology***, vol. 19,no 3.

.

The New Encyclopedia of Archacoligical Excavations in the Holy land **,**1993,Vol. 3 IES, Jerusalem, p. 948.

Abdul Fattah ,Kamal and Hutteroth , Wolf-Dieter, 1977***, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in late 16th. Century*** Erlangen, p.149

Segev, Tom, 1993, ***The Seventh Million: The Israelis and the Holocaust*** , ***rains***. New York : Haim Watzman.

Le Goff, J., 1992***, History and Memory***, tran. by Rendal S. and Claman E., New York.

ثالثا: المراجع الإلكترونية(الانترنت):

ملحق رقم (7) خارطة القرية والقرى المجاورة.

http.www.ajjur.net-alkhalil.files-baytgibrin.jpg.files

السهلي، نبيل، 2005، "الرواية الأخرى: النكبة وضرورات التأريخ الشفوي للاجئين الفلسطينيين". الموقع الإلكتروني **لجريدة المستقبل**.

http://www.almustaqbal.com/nawafez.aspx?pageid=18891

الملاحــق

ملحق رقم(1):قائمة بأسماء اللاجئين الذين تمت مقابلتهم

الرقم	الاسم	العمر	مستوى التعليم	مكان السكن	تاريخ إجراء المقابلة
.1	زينب عودة مراد الشوابكة	70	أمية	مخيم الفوار	2006/2/26
.2	محمد سلامة عبدا لله دعدرة	79	تعلم في الكتّاب	مخيم الفوار	26/ 2/ 2006
.3	محمود احمد إسماعيل أبو ربيع	73	الثالث(س)	مخيم الفوار	2006/2/26
.4	محمد عبد الرازق محمد عرار	80	الخامس(س)	مخيم الفوار	2006/2/28
.5	زينب محمد عيسى أبو منصور	70	أمية	مخيم الفوار	2006/2/28
.6	محمود أحمد غنايم الحموز	82	الأول/الكتّاب	مخيم الفوار	2006/2/28
.7	لطفية محمود إسماعيل غطاشة	78	أمية	مخيم الفوار	2006/3/4
.8	عريفة محمد عايش الحليقاوي	70	أمية	مخيم الفوار	2006/3/15
.9	سليمان احمد حسين المهدي	75	أمّي	مخيم الفوار	2006/3/15
.10	حسان محمود عطية الحليقاوي	79	الخامس(س)	مخيم الفوار	2006/3/19
.11	زينب عبد الرحمن سليمان غطاشة	80	أمية	مخيم الفوار	2006/4/9
.12	موسى عبد القادر صالح الشوابكة	77	أمي	مخيم الفوار	2006/4/9
.13	عائشة عبد الرحمن محمد العزة	78	أمية	مخيم الفوار	2006/4/6
.14	ظريفة عواد عبد العزيز الحموز	70	أمية	مخيم الفوار	2006/4/11

الرقم	الاسم	العمر	مستوى التعليم	مكان السكن	تاريخ إجراء المقابلة
.15	محمد عبد الهادي مسلم العزة	83	تعلم في الكتّاب	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/22
.16	عواد احمد مسلم العزة	80	أُمّي	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/22
.17	زينة نمر مسلم العزة	82	أُميّة	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/23
.18	خديجة خليل محمد العزة	76	أميّة	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/23
.19	حِسِنْ احمد مسلم العزة	77	أُميّة	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/23
.20	احمد خليل احمد النجار	73	الرابع(س)	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/24
.21	طلب عبد الهادي محمد غطاشة	54	دبلوم	مخيم الفوار	2006/3/1
.22	عبد الحافظ محمد سلامة دعدرة	45	توجيهي	مخيم الفوار	2006/3/5
.23	إبراهيم محمد علي أبو ربيع	48	السابع(س)	مخيم الفوار	2006/3/5
.24	أكرم حسني محمود الحليقاوي	45	دبلوم	مخيم الفوار	2006/3/18
.25	حسن إبراهيم علي الحموز	40	بكالوريوس	مخيم الفوار	2006/3/19
.26	حكمت عبد المجيد احمد الحموز	45	دبلوم	مخيم الفوار	2006/4/11
.27	ألمازة عبد الرحمن صالح العزة	67	أمية	مخيم الفوار	2006/3/19
.28	فايزة عبد المجيد محمد الحليقاوي	56	دبلوم	مخيم الفوار	2006/4/16
.29	رجاء عبد الفتاح احمد الخاروف	52	دبلوم	مخيم الفوار	2006/3/25
.30	فايزة خليل محمد غنايم	52	الخامس(س)	مخيم الفوار	2006/4/16

الرقم	الاسم	العمر	مستوى التعليم	مكان السكن	تاريخ إجراء المقابلة
.31	لبقة عواد احمد العزة	56	الثالث(س)	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/27
.32	آمنة عيسى عبد القادر غطاشة	41	التاسع (س)	مخيم الفوار	2006/4/16
.33	خالد عبد الله محمد الشوابكة	42	توجيهي	مخيم الفوار	2006/4/18
.34	عبد الله عبد الرحمن إسماعيل غطاشة	63	الأول الثانوي	مخيم الفوار	2006/4/18
.35	مريم عامر احمد القصاص	55	السابع(س)	مخيم الفوار	2006/4/20
.36	محمد محمود محمد العزة	65	بكالوريوس	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/22
.37	عائشة احمد نمر العزة	66	الثالث(س)	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/24
.38	عواد موسى سالم النجار	57	الحادي عشر	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/24
.39	شريف محمد احمد العزة	41	السادس(س)	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/25
.40	مريم سالم محمد البربري	46	الثاني الثانوي	مخيم بيت جبرين/ العزة	2006/4/23
.41	منيف عبد العزيز محمد الحليقاوي	34	توجيهي	مخيم الفوار	2006/3/4
.42	علاء خليل احمد العزة	17	الأول الثانوي	مخيم الفوار	2006/3/14
.43	جعفر حسني محمود الحليقاوي	37	التاسع(س)	مخيم الفوار	2006/3/18
.44	أسمهان حسني محمود الحليقاوي	30	بكالوريوس	مخيم الفوار	2006/3/22
.45	عائشة محمود خليل الحموز	33	بكالوريوس	مخيم الفوار	2006/3/22

الرقم	الاسم	العمر	مستوى التعليم	مكان السكن	تاريخ إجراء المقابلة
.46	ثروة جمعة عودة مراد	35	الثامن(س)	مخيم الفوار	2006/3/25
.47	آمنة عبد الهادي محمد الخاروف	31	الأول الثانوي	مخيم الفوار	2006/3/25
.48	منال عطا عبد الفتاح سلامة	30	دبلوم	مخيم الفوار	2006/3/25
.49	وليد خالد عبد الهادي الحموز	39	بكالوريوس	مخيم الفوار	2006/4/6
.50	آمال إبراهيم عبد الرحمن الحموز	19	سنة أولى جامعة	مخيم الفوار	2006/4/11
.51	عايدة محمد عثمان الحموز	34	التاسع(س)	مخيم الفوار	2006/4/11
.52	إسلام محمد عبد الله الشوابكة	23	بكالوريوس	مخيم الفوار	2006/4/19
.53	محمود عبد الله محمد الشوابكة	29	الأول الثانوي	مخيم الفوار	2006/4/19
.54	بسام عبد الله محمد الشوابكة	32	بكالوريوس	مخيم الفوار	2006/4/20
.55	مخلص عيسى يونس العزة	38	توجيهي	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/25
.56	ناهد نمر محمد العزة	31	بكالوريوس	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/25
.57	خالد فؤاد محمود البربري	18	توجيهي	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/26
.58	وفاء احمد عواد العزة	18	سنة أولى جامعة	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/26
.59	محمد كامل علي الحموز	25	الحادي عشر	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/27
.60	منار عثمان عبد العزيز العزة	24	بكالوريوس	مخيم بيت جبرين/العزة	2006/4/27

ملحق رقم (2): خطة المقابلة

خطة المقابلة

المحاور الأساسية التي ركز عليها الباحث خلال المقابلات مع المبحوثين

لقد تم تحديد أربعة محاور أساسية لإجراء المقابلات مع المبحوثين، وقد تم الاتفاق مع المشرف على إجراء (20) مقابلة مع كل فئة عمرية وهذا يعني أن مجموع المقابلات هو (60)مقابلة، وأما المحاور التي ستشتمل عليها كل مقابلة فهي على النحو التالي:

المحور الأول:البيانات التعريفية: بعد تحديد المبحوث المنوي إجراء المقابلة معه(وهنا سوف يلجأ الباحث إلى المساعدة في التعرف على الأشخاص المنوي مقابلتهم من خلال معارفه كذلك من خلال بعض الأطر والمؤسسات العاملة في المخيم)، في بداية كل مقابلة سوف يتم تسجيل بعض البيانات التعريفية الخاصة بالمبحوث، وهي عبارة عن متغيرات مستقلة اشتملت عليها الدراسة، مثل:

1- الاسم الرباعي 2- العمر 3- مستوى التعليم 3- الجنس 4- تاريخ إجراء المقابلة 5- مكان السكن (مخيم الفوار، مخيم العزة)

المحور الثاني: الحياة الاجتماعية قبل التهجير: يطلب من المبحوث الحديث عن ذكرياته في القرية قبل اللجوء وكل ما يعرفه عن نمط الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرية قبل اللجوء إذا كان من الفئة العمرية الأولى (جيل الآباء)، وأما الفئات العمرية الأخرى (الأبناء والأحفاد) فيطلب منهم التحدث عن كل ما يعرفون، ويتخيلون، ويتصورون عن شكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية لآبائهم وأجدادهم في القرية قبل اللجوء، وهنا يتم توجيه المبحوث للحديث عن الجوانب والمحاور التالية:

1- أراضي القرية وتوزيعها على الحمائل والعائلات

2- أهم المحاصيل الزراعية وكذلك الثروة الحيوانية

3- الأعمال التجارية والحرفية في القرية

4- دور المرأة في الحياة الاقتصادية وأوجه مشاركتها

5- أهم المناسبات والمواسم الدينية والاجتماعية والوطنية التي كان أهل القرية يحرصون على إحيائها، كذلك كيفية إحياء هذه المناسبات من قبل الأهالي.

6- حمائل القرية وعائلاتها

7- العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك: بين الأقارب، بين عائلات القرية المختلفة، بين القرية والقرى المجاورة.

8- العمل التعاوني بين أهل القرية(وخاصة في موسم الحصاد وقطف الزيتون وبناء البيوت)

9- أهم المناصب والشخصيات الاجتماعية والاعتبارية في القرية: المختار، شيخ العشيرة، رجل الدين، وصلاحيات كل منهم.

المحور الثالث: الاقتلاع والتهجير: هنا يطلب من المبحوث – من الجيل الأول (الآباء) – بأن يروي ويسرد ما يتذكره من صور وأحداث رافقت عملية تهجير السكان من القرية ودفعت بهم إلى الخروج (من

اللحظة التي بدأ السكان يفكرون بالخروج حتى انتهى بهم المطاف إلى المخـيم). وأمـا الفئـات العمريـة الأخرى(الأبناء والأحفاد) فيطلب منهم الباحث الحديث عن كل ما يعرفوه عن تلك اللحظة التاريخية التـي اقتلع فيها آبائهم وأجدادهم من القرية ليعيشوا في هذا المخيم.

المحور الرابع: انتقال الذاكرة الجماعية وتوريثها عبر الأجيال: وفي هذا المحور سوف يتم التعرف مـن خلال اللاجئين الذين تتم مقابلتهم على الأطر والقنوات والمصادر التي يستقي منها اللاجئـين مـن الفئـة العمرية الثانية والثالثة الذاكرة(ذاكرة آبائهم وأجدادهم)، كذلك سوف يجري التعرف من خلال الفئة العمرية الأولى على أهم الأطر والقنوات التي من خلالها يورثون ذاكرتهم إلى أبنائهم وأحفادهم.

وأخيراً: فسوف تتم عملية توثيق المقابلة أثناء إجراؤها من خلال جهاز تسجيل (مسجل صغير)، كذلك تسجيل بعض الملاحظات التي يمكن مشاهدتها على اعتبار انه إضافة إلى المقابلة المعمقة التي يستند عليها الباحث في جمع البيانات والمعلومات من المبحوثين فهو سوف يستخدم أيضا أسلوب الملاحظة بالمشـاركة كوسيلة أخرى لجمع البيانات.

ملحق رقم(3): نماذج من المقابلات

مقابلة رقم (1):

الحاجة عائشة عبد الرحمن العزة، 78 سنة

اللهم صلي على سيدنا محمد، انا من يوم ما دخلت (تزوجت) سنتها اجت خير وكويسة، داير سنة اجت محـل، اخذوا الحلال وراحوا على بلاد الشمال وتراحوا عبلاد الشمال هناك اكلوا الربيع هناك وروحوا بالحلال على بيت جبرين محل الدنيا قبل الطلعة بسنة هاظا، في ناس فقرا والله يا بني ما يحتكموا عالعشا، الذرة السمرا هذه اللي طلعت للناس صدقني انك تشم ريحتها من هانا وسيارتك(مسافة 30م) تشم ريحتها بتكتل وفي نـاس معيوشين كويسين يعني حماي شرا الله يرحمه شوية ذرة تجارة هو وعفيف ومحمد احمد الخاروف اشتروا وبقوا يبيعوا، يعني امحلت الدنيا وشافوها مش نافعة روحوها على الدور، بقوا يطلعونا سندقة قال طحين ابيض كويس نخلطو مع الذرة ونوكل يعني اشكالنا مضعضعتش اما في ناس صدق ما يحتكموا عالعشا وفي ناس كويسين في بيت جبرين، هاظا قبل ما نطلع بسنة.

في شوابكة وفي عزة وفي غبارية وفي دعاجنة، بقوا العزة والغبارية والدعاجنة هذول كوم، الشوابكة اللي هم الحموز والغطاشات وبرضو هذول القلعية اللي صار معاهم الحادث هذول كوم في البلد، الشوابكة بقوا قـويين في البلد وبعدين دار العزة بقوا حاكمين البلد، بيني وبينك يعني عبد الرحمن عبد اللطيف ويونس عبد الفتاح هذول لو موجودين كان مصارش هاللي صار(تشير إلى مشكلة بين عائلتين في المخيم ترجع اصولهما إلى بيت جبـرين حيث قتل فيها اربعة من العائلتين خلال العامين الماضيين) هذول الغطاشات كمان بقوا فيهم ختيارية يعني مفـك الواحد يعني ما يصير هاظا الاشي . بقى في البلد يونس عبد الفتاح وعبد الرحمن عبد اللطيف وحسـن سـمور العزة، اللي بقى مختار اول بقى رحمة عمي يونس عبد الفتاح بعدها اجا عمي حسن سمور العزة هذول اللي على وعيي شفتهم مخاتير، عبد الرحمن عبد اللطيف بقوا يقولولوا بيك يعني على الكل على القظا بحالو، القظـا بقـى يجي يفك مصالحو عنده، والحمايل الثانية بقى لكل حمولة كبيرها، والله الناس كويسين مع بعظهم.

بقى يعني يوم يجي العيد هالحين مش بسووا معمول بقوا يسووا زلابية ويسووا مخمارات ويسـووا مطبـق ويطلعوا عالصحرا بعدين نهار العيد يروحوا يصلوا الزلام في الجامع بقى عندنا جامع في بلدنا يروحـوا يصـلوا وبعد ما يصلوا ويطلعوا من الصلاة يطلعوا على الصحرا يعني الك صديق متوفي يروحوا يسووا قهـوة يوخـذوا بكرج القهوة ويغشوا قبور امواتهم يعني الحمولة هذه تغشى الحولة هذه والحمولة هذه تغشى الحمولة هذه وتسلم على بعضها، كويسين بقوا الناس، وبعد هاظا السلام اللي الو رحم يروح على رحمو يعني يروح على ولاياه كلهن مش زى هالحيين، هالحين والله الناس ما الها نفس تخش على بعظها. في بقى يصير مواسم والله انا يـا هـذه رحت على البحر قال بقيت عيانة وقالوا الموسم كويس ورحنا على البحر، قعدنا ولغيبة الشمس –وانت يـا بنـي زى ابني– تحممنا وبعدها بشوية طلعنا على بلد اسمها الجورة وبتنا هناك والصبح رحنا قال على واد النمل هناك قال يدبكوا ويغنوا، قعدنا يوم وثاني نهار وبعدها روحنا يعني يومين، وبقوا يروحوا كمان عالنبي موسى.

بقى في البلد مقام الشيخ تميم والشيخ محمود والنبي جبرين وبير ام جديع، في رمضان بقوا يطبخوا ويوخذوا في الحارات يخرجو، يوخذوا صحون يوخذوا خبز ويروحوا كل حمولة بحمولتها تخرج وتوكل مـع بعـض امـا النسوان كل وحدة في دارها، بقوا يصوموا لكن الصلاة يمكن اخف بس هالختيارية.

بقت إلي حماة الله يرحمها بقى عندها ثلاث خدامين قطروس وحراثين اثنين واولادها الهم غـنم فـي منطقـة بقلولها صندا حنة في البلد، احنا دار حماي بقوا في شقة البلد من قبلي بس اهلي شـرقا لشـاما، هـذه حمـاتي

وحدانية مالهاش اولاد كلهم ازغار تجيبهم العصر تبقى عاجنة وخابزة وطابخة وتوخذ اكل وتقطع على صندا حنة زى هانا وطلعة الريحية (مسافة كيلو متر واحد)، ابنها بقى يرعى الغنم اللي هو جوزي هاظا ابو جمال يرعى مع خوالو دار شاكر حسين ودار شاكر حسين بقوا يظربوا فيهم المثل الناس، تحلب وتدير وتسوي اللي بدها اياه وتسحب حالها وتروح عالبلد تجرش للجمل تطعم الفظالات اللي عندهم في الدار، والله يا بني بقى اللبن حماتي تروحو على حمل الجمل شوالين ابو خط احمر هاظا اللي تروحو حماتي على الدار وجرتين سمنة بلدية.

يوم ما طلعنا بقت الدنيا رمضان قاعدة حماتي بتطبخ – عالحطب بقينا نطبخ – الا هي مارقيتلك هالطيارة زغنونة زى العصفور والله هي قاعدة هيك وانا هيك قبال بعضنا بقلها اطلعي يا عمة زى العصفور، شوية الا هي بتظرب الا البلد كلها بتصير دخان، ظربت وين بدها الظربة لعلية دار يونس العزة هانا وين اجت الظربة النا متابن بعيد منك اجت في بوبهن انا يا دار غطاشة عاودنا بنيناهن، بقوا ميخذين اليهود بوايك عطا الله نحيت عراق المنشية واحنا نبني فيهن بعدين اجوا الجيش وصارت الطيارة تظرب على اطراف البلد تظرب واحنا شردنا، ليش احنا شردنا؟ خايفين قال على العرض وسحبنا حالنا وشردنا ورحنا اطلعنا اشي عالمغر، اول اشي عبد الرحمن عبد اللطيف قلهم ترحلوش بعدين رايح على هو هاظا الملك عبد الله قايلو كان بدكو تطلعوا اطلعوا بلدكم رايحة، هانا اجا للبلد وقلهم اللي معاه واللي بدو يطلع يطلع ما الكم في رقبتي خطية طلعوا عاد الناس اللي طلع مشي واحنا واصحاب الحلال طلعنا بالحلال على اذنا صدقني انا نمنا عند ناس من اذنا والله على المصطبة ما ظايل في الدار حاجة كله مطلعينو يعني نمنا عالارض، وبعدين اجا الجيش المصري صدقني بطياراتو وبدباباتو صدقني لو بدو يكاتل بوخذ كل اسرائيل في هظاك الوقت.

بين ما ظربت الطيارة المتبن وبين ما طلعنا اخذت اشهر، قاوموا أهل البلد يا بني بس شو بدهم يقاوموا، بقى حرس وطني قاوموا بس شردوا الناس. دار ابوي قعدوا خمس تعشر يوم هم واليهود بعد ما طلعوا الناس شايف كيف، طلعنا ومعانا حلال اول اشي عبينا المطامير، مطمورتين حب ووحدة شعير ووحدة اذرة ووحدة قمح، الشعير اكتل ابو عفيف (زوجها الاول) علشانه، انا بدي اقلك قصتي انا ترملت وعفيف(ابنها) ما بعرفلوش ابو (تتحدث وهي تبكي) كتلوه اليهود علشان البير، عبينا مطامير ثنتين وحدة اذرة ووحدة قمح والله وحطينا على وجها شوال صوف وقدر النا وبابور وحطيناهن وغطينا عليهن هالحين بدنا نطلع احنا اجت سيارة لاهل بيت اولا بقى حياة ابوي قايل لحماي اطلع حبك على نوبا او على بيت اولا، قال هي بدها تروح بيت جبرين وتظل بيت اولا ونوبا، مرظيش رحمة حماي اجا وطحا السيارة وخلاهم يطيحوا الشوالات من السيارة وحطوهن، طيب اطلعنا انا سحبت حالي انا ابوي ختيار واخوتي ازغار انا اكبر واحد فيهم ثلاث بنات احنا والاولاد اربعة ازغار يعني مش كبار واعيين وابوي ظل في البلد وامي وبعد انا ما طلعت ووصلت ذيل الغطاشات رجعت تمني رجعت قام حماي لحقني وين عند دار ابوي قال طيب يوم انت بدك تظلي وانا اطلع بمين، كيف انت بدك تظلي، قالت حياة امي لا يما روحي، وذهباتي قلت يما خليهن معاكي اعطيتها اياهن واطلعنا على المغيطية من ارض بيت جبرين وبتفيض على اذنا وبتنا هناك ليلة بالحلال وثاني يوم روحنا على اذنا في ناس بنعرفهم وبعرفونا من البلاد رحنا عليهم والله ما في الفراش الا نمنا على المصطبة وبعدين اطلعنا على خلة حجة للخلايلة احنا هالحين بنفسخ في الحمل اللي معانا عالجمال الا هو جوز فظة الحج طلب الا هو بقول يا قلبي يا قلبي ما راحولوا الا هو العمر الك توفى ودفنوه.

ظلينا في خلة حجة مع الحلال، مطامير الحب اللي ظلن في بيت جبرين بروح ابو عفيف وخالو ينطروهن الناس بقت تسرق من ورا بعضها البعض والله انا قاعد بخبز على الصاج وحماتي ذابحين ذبيحة وهي بتوقد نار تحت الطنجرة وانا بخبز قام ابو عفيف بقلي يالله يالله بقله أي شو يالله أي اطلع لمقيط المشط واحد من بلدنا

كتلوه اليهود في العراق اللي بقلك انا هاظا في خلة صبيحة، بقله طب انت مش شايف مقيط المشط هـيهم مـش عارفين يجيبوه الا هو بقول اسكتي يا هبلة والله اليهود لو انه عشاهم في عبي ما اخذوه من عبـي احنـا فـي هالحكي الا واحد خليلي بقلولو موسى الطويل بقى فاتح دكان وكثير خلايلة بقوا فاتحين دكاكين في بلـدنا، فكـان موسى الطويل وعبد العفو القواسمي وابو صوانه كلهم هذول خلايلة بقوا فاتحين في البلد الا هو بقول لحماي ابو ابراهيم ابو ابراهيم لاقي حبك على عين فرعة هظاك (زوجها) اجا سواد الليل وبستعجل فيّ بدو يطيح قلبه علـى المطامير هذيلاك استعقبوه وحملوا الحب قام تسمع ابو عفيف الحكي قام خش في احـذانا بـارودة خـش حـط هالسلحلك على وسطه وهالبارودة في كتفه وسحب حاله وطلع قلت لحماي جري هالحين هاظا شـب وطايشـين كيف انا جيت من حبي هالحين وانت اجيت وراي واخذته. قلتلو هالحين بطيح الزفر قام لحقو حماي ولاقوهم عند عين فرعة واخذوا الحب منهم وروحوه على دار يوسف الجنيد، هذول دار يوسف الجنيد بقوا اصحاب انا يجيبوا عنب ويوخذوا حب ويوخذوا لبن وسمن اصحاب والله اخلونا عقد حطينا حبنا فيه، ظل في النا بير مليان شعير في بيت جبرين، البير مش في وسط البلد كان في حبلة ام جديع بير شعير والله يوم صاروا يخزنوا فيه قـال رحمـة ابراهيم لامه عدي يمة صارت كل ما يوخذوا نقلة عالجمل وعلى بعيد منك الحمار تحط حصوة في عبها تروحـت وداروا الحصو اللي في عبها الا هو تعريمة الزبدية بقن زبادي زرق، عد عد الا هن ستين فردة شعير هاظا البير ظل، صاروا يتسللوا عليه ينطروا فيه انهار بدهم يطيحوا على دارنا مش على حدا هانا بـدهم يطلعـوا مـن دار حسين ابو حسين على ظهر الحيط وعلى ظهر الحيط بقى في شباك يطيح منو الزلمة بدهم يمرقـوا مـن هنـاك واثاري اليهود حاطين الغام في الدور والا هم بدقمو سلك ويثور اللغم هو وخالو ماتوا وظلوا على ظهر الحـيط، في واحد بقلولوا جوز ام العز من الغبارية واخرى واحد بقلولوا العنيد باقيين اسرى عند اليهود اجو اليهود علـى ثورة اللغم وشافوهم مرميين قال اليهودي جيب كاز يا حبيبي ودير عليهم واحرقهم هذيلاك عرفوهم حسين العنيد بقى يخدم عليهم وهاظا جوز ام العز بقى حصاد ومرتو غمارة على دار حماي، اليهودي قال احرقوهم مـرظيش العنيد وهظاك، قايل العنيد لهظاك بتعرف هاظ مين قلو هاظ يا ابراهيم يوسف يا ابوه، قال ظلينا نتحايل عاليهودي ولا يا خواجا تحطيناهم في سقيفة ورجدوا عليهم وروحوا محرقوهمش، احنا درينا سمعنا اللغم يومن ثار بقينا في عراق ثريا معزبين مع الحلال سحب حالو حماي وطاح هو وسعيد شاكر باقي طايح وهو في تل صندا حنة بـس سامع الصيحة ابراهيم قايل آه يا قطيعتك يابا وهظاك قايل آه يا قطيعتك يا اخوي ثاني يوم اخذوا الجمال واخـذوا هالشباب وطاحوا يجيبوهم تفتحوا السقيفة اللي حطينهم فيها لقوا سلك على رجليهم مش قايمينوا قـالوا هـذول ملغومين احنا بدنا نكتل حالنا عاودوا سدوا هالسقيفة يا بني وظلت هي قبرهم لهلحين ولبكرة.

دار ابوي ظلوا في البلد، ظلوا خمس تعشر يوم قال الله يرحمه ابوي اجوا اليهود علينا قال نصبوا الشارة فـي جوا البيت وصاروا يطخوا في جوا البيت امي كانت مريضة شوية واخوتي ازغار فيهم واحد نادر وشـاطر قـال لليهودي يلعن ابوك اطخش في جوا الدار وابوي قلو هذول اطفال ازغار طخ برة، قال صاروا يطخوا برة، قال في احذانا جاج قال يجروا ورا هالجاج ويحاووا فيهن تقبظوهن قال اجا الجيش المصري وصار يطخ قال صارت الدار علينا تروج روج ما انت عارف الدور بقين طين وحجر، قال هذول يطخوا وهذول يطخوا من شرقا ومـن غربـا يجي الطخ قال بعدين سكت الطخ واجونا اليهود قال ليش انت هانا يا شيخ – ابوي ختيار لأنه ثاني مـرة ابـوي اجوز امي– قلو لأنه انا واولادي زغار ومليش حيلة اطلع وهيني هانا، قلو اليهودي خليك هانا على مهـل قـال طاحوا من ورا الجيش المصري اليهود وجابوا شوال طحين انا قال جابوا عدس ومعلبات وقالوا اطعم اولادك يـا شيخ قال ظلينا خمس تعشر يوم وكان عندنا حمارة بقينا نشد عليها ونروح نملي من بيـر العجمـي قـال اجـوا واخذوا الحمارة اليهود حياة امي صارت تصيح وقالت اليوم اجوا اخذوا الحمارة وبكرة بيجوا يوخذوا البنت قالت

لابوي الا نطلع تطلعوا اجوهم اليهود قالوا لابوي ليش يا شيخ ما ظليت في بيتك قلهم اجو الجيش وثقلوا علينا واحنا حبينا نطلع قلو لا روح بيتك، قال والله الله يرحمه ابوي مشينا ابو عشرة متر الا هو بقول وقف يا شيخ وقلو روح على حبرون احسنلك قلو ابوي طيب اعطينا ورقة عشان اذا في جيش غيركو عارظنا قلو فش وقال رطن للجيش فتحوا الحاجز وقال سحبنا حالنا وطلعنا وروحوا على نوبا ومن نوبا طاحوا عالخليل قعدوا اسبوع ومن الخليل اخذ امي واخوتي وراحوا على اربد امي توفت في اربد ودفنها في اربد ابوي وعاود اجا باخوتي واختي على عقبة جبر اهلي بقوا هناك ناصبين شتارات واجو هناك وبعدها اجا على بيت لحم.

يعني لو بدو يصير مجال بنحكي لما حدا يسألني اما اقلك بحكي بدون ما حدا يسأل لا انا عارف مهو من الهم يا بنيّ.

مقابلة رقم (2):

الحاجة عريفة محمد الحليقاوي، 70 سنة

كنا نزرع زرع، حبوب للاكل، تبن للحلال زيتون زيت خضرة وفي بيوتنا بقينا لا نروح ولا نيجي بعدين الفرح يقومولو هالشباب وهالزفات وهالغناوي ويذبحوا ذبايح ويطعموا ويسقوا ويغنوا اربع خمس تيام والله اخوي انه اسبوع واحنا معلقين الظو ونرقص واطلع يا قمر في الليل واحنا نغي ونحدي ونسوي كل اشي وبعدها يروحو هالعروس على دار اهله. وفي والاعياد اللي مقدر يذبح واللي مش مقدر يشتركو كل اثنين في ذبيحة يعني كل واحد وجهده وماديته ويروحوا على بعضهم البعض الناس تسلم يتفقدوا رحمهم ويروحوا يزوروا امواتهم على القبور ويسووا زلابية ومقلى ومطبق ويحملوا تمر وكعك .

في رمضان بقوا يصلوا في الجامع ويطلع الموذن ويطلعن الطبول في الجامع العمري في البلد وبعدين في العشرة الاخارة في رمضان يقوموا في الليل يوحشو الختيارية يوحشوا يقولوا: "اوحش الله منك يا رمضان" يعني يسوولوا ذكر انه بدو يفارق رمضان ويوكبروا بقالو قيمة رمضان يبقوا هالاولاد بهالطبول في الشوارع ويطبلوا وبقوا الرجال يوخذوا خروج ويروحوا يفطروا في الحارات من هالموجود في الدار يسووه ويجتمعوا في هالحارات والساحات يوكلو ويشربو مع بعضهم البعض بقت الناس مترابطة اكثر من هالحين.

بقوا يسووا عونات مع بعضهم وييجوا ويروحوا مع بعضهم اذا انا متأخر في الحصيدة مثلا يجوني اربعة خمسة عشرة خمستعش هاللي ظايل علي يلموه في يومين ويروحوه ويذبحوا ويطعموهم واللي محيلتوش وفقير يجيبوهم بالاجار بزرع وبحب يشتغلوا وبعدين نهار الجمعة الطويلة هذه حليبها نهارها رعوة غنم قديش عند الواحد والله اخوتي واولاد اخوتي هذول انه بقى الواحد اكثر من 150 راس حلال عنده غنم نعاج بياض وسمار وبقر انه حليبهن ما بقوا يروبوا منو نتفة الا بقوا يفرقوه عالبلد فلان معندوش حليب يملو زى ما تقول في ذيلات فخار يقولوا منشل عنو وقعقور وشغلات زى هيك انهم يعبوه على البير يوزعوه واللي معندوش لبن يودولو وفي خميس الأموات نسوي زلابية ونسوي مقلى ونوخذ على الصحرا ونحّوش بيض ونسلق بيض ونفرقه على هالاولاد والخميس هاظا بتكون الجمعة الطويلة وراه، الخميس يسلقوا بيض ويوكلو لحم ويذبحو، ختياراتنا من زمان بقن يحلبن الحليب ويفرقوه ويطبخن رقاق وحليب هاظا يوم الجمعة الطويلة ونهار السبت يتعصبن بالبصل الاخضر سبت النور يلفن ورقتين البصل ويتعصبن فيهن هاظا سبت النور عند المسيحية، انداري بقوا يقولوا الجمعة الطويلة وسبت النور، والحلاوة اللوزية الها موسم يروحوا عالبحر واربعاء ايوب يروحوا يتغسلوا في العيون بقلك اربعة ايوب هذه بتتلاقى على بعضها كل العيون العد بتلاقى على بعضه وهذه ميتها كويسة والله بقينا

نروح وانا متذكر بقينا نطيح على بير ام جديع في الليل تلقى هالناس عركة عليها علـى الميـة هـذه ويجيبـوا يتحمموا فيها.

المقامات الموجودة الشيخ تميم والحاج سالم والشيخ براق بقوا يقولولو هذول اوليا يعني والشـيخ محمـود وهاظا واحد من دار المهدي المدفون فيه وبقوا يروحوا يزوروا المقامات وبقوا يوخذوا معاهم شمع وحدة يعنـي الها ولد منذريته تحلقلو راسه توخذو تفرق عنو مصاري ويوخذوا شمع ويوخذوا الزيت.

انا بدي اقلك عن خيانة العرب لأنه بلدنا نباعت بيع، كانت الطيارة تيجي كل ليلة تظرب في البلد في الليل يوم انها تيجي تظرب أهل البلد ينشرو برّه عالطيران وعالمغر والصبحيات يعاودوا يروحوا عالبلد هذه المصلحة طالت اجا عالبلد جيش مصري، صار الجيش المصري يوم انهم يجووا الجيش (اليهود) يهاجموا البلد يطخـوا علـيهم يروحوا يرجعوا ما يستحلوش، يوم من زات الايام محمد عبد الرحمن عبد اللطيف العزة مرته من دار الناظر اجت من عند اهلها في الخليل وقالتله يا ابو عبد اللطيف محمد علي الجعبري ميخذ مفاتيح الحرم ورايح موديهن على الملك عبد الله وقلو هذول قدامك مفاتيح ابونا الخليل وهذول في رقبتك جاوبوا ابو حنيك(غلوب باشا) وقلـو روح يا جعبري الخليل ظايلة ومش رايح يصلها اشي هاظا ابو حنيك كلوب باشا بريطاني كان رئيس اركـان الجـيش الاردني عبد الله وسيد عبد الله بقوش يحكمو اللي بقى يحكم ويرسم كلوب باشا، هالحين قالتلو انت معترف فيـك عند الملك عبد الله وانت عزمت الملك عبد الله واجا عالبلد والجعبري اسوا منّك بدها تخلي جوزهـا اعلـى مـن الجعبري، هانا سحب حاله عبد الرحمن العزة وراح على الملك قله يا ملك عبد الله قلو نعم قلو: بلدي، قلو بلـدك شو فيها جيش قلو فيها جيش مصري الملك قال تعال يا ابو حنيك اجا ابو حنيك الا هو بقله هاظا العزة بدو البلـد تظل شو رأيك؟ قلو مين فيها؟ قلو فيها الجيش المصري، قلو روح اطلع الجيش المصري والقوة وراك، هانا أهل البلد واقفين على الجهتين بستنوا في عبد الرحمن عبد اللطيف يجي يعطيهم شو اللي صار، رجع وقلهم انشاء الله البلد جاييتها القوة الاردنية، اجا للجيش المصري وقلو عزّل، قله يا عمدة البلد ظحكوا على دقنك كان البيك طـه وعبد الناصر هذول الزباط عبد الناصر حط ايده على دقنه وقله هذول بضحكو عليك احنا البلد مـش مدشـرينها ولازم نظل صامدين فيها ومنخليش اليهود تخشها، قلهم (العزة) انتم تبعين عدس وفول الله يساهل عليكم عزلـوا من البلد، عزلوا من البلد وين راحو؟ راحو على عراق المنشية والفالوجة قعدوا ست شهور وهم محاصرين فـي عراق المنشية وفي الفالوجة، ليلتها مطاحتش القوة الاردنية اجو اليهود يطخوا من هانا ومن هانا مخشوش البلد، الصبح عبد الرحمن عبد اللطيف راح على عمان قله للامير عبد الله انت قلتلي اطحى الجيش المصـري والقـوة وراك، انا ما اجاني قوة، وين القوة اللي وديتوها؟ الا هو بقله اقعد نتغدى احنا واياك وبعدين بنشوف القظية، يـا ابو عبد اللطيف البلاد مبيوعة مبيوعة، قلهم مبيوعة؟!! قالولوا مبيوعة، قلهم امبـارح بتقلـي اطحـى الجـيش المصري وانا بطيحلك القوة وهالحين بتقلي مبيوعة، لا بدي اياكو ولا بدي غداكو، شلح الحطة عن راسه وتحزم فيها وتوشح في العقال وركب اللند وروح على بيت جبرين وقلهم اللي بقدر يعزّل يعزّل البلاد فـش فيهـا فايـدة طحينا الجيش المصري والجيش الاردني ما اجاش.

شو بدهم يقيموا ؟ وايش بدهم يقيموا؟ ، الدار اللي زى هذه فيها سبع ثمن انفار في عندهم عشر اتنعشر طفل زغير، بدهم يطلعوا في الاطفال الزغار ولا بدهم يحملوا حوايجهم ؟ المهم روح على مرته قلها اطلعي الاولاد في الجيب وعلى دار ابوكي في الخليل، قلتلو داري، قلها مالكيش ولا حاجة، طلع عبد الرحمن عبد اللطيف بملابـس اولاده اللي عليهم حملهم في اللند وسحب حاله واجا رايح وانا اذكر انه طلعوا اخوتي وامي ومرة اخوي بروسـنا ما معانا اشي وسقنا هالحلالات اللي معانا وحطينا في فرعة في طريق اذنا وقعدنا بطلع اسبوع عند فرعا ونتنقـل من هان لهان، اجت القوة الاردنية على بيت جبرين بعد قدام الظهر هانا اجوا اليهود وخشوا في البلد لا لقوا طخ

ولا لقوا لا كثير ولا قليل استلموا البلد بردا وسلاما اجت القوة الاردنية طخوا بيجي اربع خمـــس طـــلاق اتصـــل الزابط البريطاني اللي مع اليهود اتصل بالزابط البريطاني اللي مع الجيش الاردني هاظا الاشي واقف عليه اخـــوي ابو للشب اللي قدامك هاظا، اعطى الاوامر للزابط انه اسحب البلاد مسلمة قلو بديش اسحب نخى على شباب مـــن الموجودين يطخوه يعني يطخو الزابط البريطاني، قلهم طخوه وبنقول اجته قذيفة من اسرائيل، سمع الخراف اللي هو بقول وحياة ديني الا ترجع الدبابة على قفاها للكيلو واحد وخمسين يعني قريب من ترقوميـــا رجعهـــا للكيلـــو واحد وخمسين وسلم البلاد وسحب حاله وروح ظلينا من المغارة هذه للمغارة هذه واحنا في كروم الخليل لما انه سووا مخيم بير السفلى سجلوا في مخيم بير السفلى واعطوا كل عيلة شادر، بقن يقولن:

ودوّوا لعبد الله سخام الطناجر   ظيع وطنا واعطانا شوادر

ظلت من بير السفلى للفوار وهذه حالنا اللي احنا فيها، كان معانا حلال ونتنقل رحنا على جمـــرورة فـــي المغـــر دايرين بالحلال، والله اني اذكرلك ليلة ما نمنا في ام العمد جهة اذنا والله طلعوا الاولاد الا هن جايات ثلاث لنـــدات من البلد من بيت جبرين وطاحن في الواد، الاولاد فوق نحيت المغر وهن طاحن في الواد والله انهم يسبحوا على اديهم ورجليهم تيشوفوا انهن بدهن يطلعن علينا عالمغر ولاّلا، فرووا هيك شوية وسحبوا حالهم واجو راجعين.

حسن يوسف الحليقاوي بقى في السنابرة بدو ينقل الغنم من محل لمحل وفي معاه بهيمة الله يعـــزك حطلهـــا حمالة وحط الفطايم فيها ومعاه فاس ومنصب، منصب الغام عشان يربط الذيل فيه اجو عليه الجيش وهـــو طـــالع وطخوه جبناه من السنابرة واندفن في ترقوميا واخوي بقى رايح قبله، بقى اخوي وابـــن خـــالتي واولاد خـــالي الاثنين هذول الاربعة في بيت جبرين استشهدوا اخذوهم بعد ما انحرقت دبابة الهم وفيها اربعة كباتن وزباط يهود على طريق الدوايمة هانا طاحوا لقطوا الاولاد بعد ما صارت العملية، هانا تلقطوهم حطوهم محل هذلاك واطلعـــوا اربعة من المعتقل اللي لا كان لا صليب ولا حدا يعلم فيهم تحت الارض ومن جملتهم نعمان ابن حسن عبد القـــادر العزة جابوهم من سجن شطة اطلعوهم من تحت الارض الا التلفون برن قلولهم اخذنا اربعة بـــدل الاربعـــة اللـــي راحوا ذاعوهم في الراديو العين بالعين والسن بالسن والعمر بالعمر وجابوا اسمائهم الاربعة في الراديـــو ســـمعنا عنهم انهم استشهدوا، اخذوهم اوين حطوهم زى ما تقول هي المركز هم على تلا المركز من غربة صفوا الاربعة بعد ما كتلوهم وكل واحد ربطوا في جسمه سلك ولغموهم حطوا فيهم اربع الغام، اجانا اجانا القصيص انهم الاولاد في المحل الفلاني من الحوارثة(أهل اذنا) اللي كانوا يطيحوا، قالوا في شباب هناك اربعة وصفهم كذا كـــذا، طـــاح ابوهم شافهم اولاد خالي هذول طاح ابوهم شافهم ودانا رحت انا بشخصيتي على خالي قلي يا خال وديلـــي عبـــد المجيد روحت قلت ياخوي روح لخالي راح طلع من دارنا اطنعشر زلمة منشان يجيبوا اخوي من الحمولة، عنـــد ما راحوا اخوتي الاثنين اخذوا مقصات حديد معاهم وقصوا سلاك الغام اللي فيهم وحملوهم على ظهورهم من قلب بيت جبرين من بين القبيبة وبيت جبرين والدوايمة روحوهم لحد محل هناك بقلولوا قصّة هناك لاقينهم جمال اثنين حطوا كل اثنين على جمل وروحوهم على ترقوميا دفنوهم في ترقوميا وظلوا برضو عمي اندفن في ترقوميا وابن عم إلي اجوه على البير وهو يملي وبنشل في مية وبسقي في غنمه اجوه اليهود وطخـــوه جـــابو ودفنـــوه فـــي ترقوميا.

انا بخرفهم الاولاد زى ما بخرفك، بخرفهم عن كل اشي، بحب اقلهم كل حاجة، انا ذاكر البلـــد كـــويس بـــس هالحين مردمة، في جميزة بقيت اطلع عليها مخيمي قد الحويطية هذه (تشير إلى ساحة البيت) مكســـرينها مـــش ظايل من معالمها اشي، بذكر بيت جبرين بذكر بير ام جديع بذكر انا كرم في تل صندا حنة بقيت اروح عليه بذكره يعني لو اروح على البلد هالحين كلها بتفقدها معالمها بالشارع.

مقابلة رقم(3):

الحاج محمد سلامة عبد الله دعدرة، 79 سنة

العيشة يا حبيبي ما أنت عارف فلاحين بقينا الناس الفلاحين كل منهو يسرح يفلح ويدرس ويحرث ويسوي حب، العشاير كويسة في بعض، الحارات مهو في حارات كانوا كل حمولة إلها حارة، والله كويسين الناس في بعض، كل حمولة إلها جامع ايوة إلها جامع والجامع نفسه يقعدوا فيه يعني صار اشي بعضو ميت صار فرح يفزعوا لبعض، يروحوا الحمولة يعني مثلا دعدرة الشوابكة يموت واحد عند دار دعدرة عند الشوابكة يروحوا يفزعوا يوخذوا عزومته شايف كيف هذا القصد يقوموا بواجب بعض ويوخذوا العزومة للميت يقولوا غدا الدفانة عندي اليوم بعيد الشر. يصير فرح يفزعوا لبعضهم هذا كان موجود في البلد أو في أي بلد كان يصير، الأعياد يعني يوم ييجي عياد الناس بتفزع تسلم على بعضها يعزموا الولايا يعزموا الرحم، المواسم بقت تصير على البحر أيوا عالبحر عالجورة تحت غربة في الجورة والمجدل بقت تصير المواسم هناك يصير اللعب بالخيل وتصير المراجيح والدبكة والهيجان والناس تتغسل وتبحِّر الغنم يعني يغسلوها في البحر، ونبات يومين ثلاث هناك هذا على زمان البلاد بقت الخيل تبقى أطارد على الرمل غير تقول صخر أيطاردن والدبكة والزغاريد والزمارة والمراجيح ونروح نشتري الحلاوة اللوزية هاي يحطونا إياها في الطباخ لما نروح نكسرها للفطور، حلاوة لوزية بجنن هذا اللي بقى يصير بقوا يسووا دبكة عادة كن قال:

رحتي على الموسم ولا اعلمتينا   لو انا زبونك كان اخذتينا

آه والدبكة شايف تبقى تلعب، هذي المواسم الها شهور معينة بشهر الخميس يروحوا على النبي موسى هان في أريحا بقينا نغني ونقول يا نبي موسى اللهم صلي على محمد يعني غناوي.

في الشيخ إبراهيم والشيخ شعيب والنبي جبرين هذا هو لالحين موجود والشيخ تميم الداري. في الحراث أخرى يوم إن مثل أفضالك وأفضالي يتأخر عليه حراث يفزع الحراثين ويروحوا والزلابيا والأكل ويسووا للحراثين يعني الناس كويسي بقت لبعضها يوم الغناوي تبقى على ظهر العقد ويفزعوا بهالدبش يعقدوا في ساعة والههاوي قايمة على ظهر العقد.

آه في واحد مسؤول في مختار للبلد مختار للبلد عموم هذا المختار، لكن في كل حمولة إلها واحد إلها زلمة كبيرها ما واحد يحكي كلمة إلي هو يحكيه يمشي على الحمولة كلها، عنا المختار يا حبيبي من العزة حسن سمور العزة بقى بعدين يونس عبد الفتاح العزة آه العزة زي ما تقول متقدمين و متعلمين هذا اللي بتختاره بريطانيا متعلم بسير مختار أه هذا هو.عبد الرحمن عبد اللطيف بقوا يطيحوا ويستشيروا زلمة زي أفضالك مسؤول عن الحمولة يطيحوا ويستشيروا منه ويعطيهم الكلام المختار مسؤول يعني اشي الحكومة بتطلبه اشي هو ينفذها للحكومة لكن الحمايل بين بعضها شادة خاطر بعضها إذا خاطر بعضها يروح يونس ينادي كبار الحمايل في قضية أو اشي يتفقوا عليها ويمشوها، العلاقات كويسة لو يصير نزاعات يصطلحوا ييجوا كبار الحمولة من هان أو هان ويتفقوا على اشي ويقيموا لو انو ايش ما هو بين عجور وبين الدوايمة يصير والله بقوا يتفقوا عليه ويمشوه يا شيخ بقى يصير بعيد عنك رعيان الغنم يهجموا عليهم من الدوايمة من هان يوخذوا الغنم ويوخذوا الرعيان يودي المختار للي الهم ويردوه بقت كويسة الناس يا عمي، والله المدرسة بقت عنا لقراية زي ما تقول مشايخ يعلموا الدين بس الحساب والدين بس إحنا قدام ما أجينا نطلع يمكن بخمس عشر سنين صارت المدرسة وطلعنا، هذا الشيخ شيخ دين بقى يرد على الناس ويخطبلهم ويسوي ويردوا عليه بقى يدخل في الصلح، انا أتعلمت عند شيخ

الشيخ علي أبو بكر من دار أبو بكر تعلمت وختمت الختمة قبل 15 سنة مصاري نعطيهم نعطيهم خبز نعطيهم بيض نعطيهم.

يا حبيبي هاظا الطلوع صارت المناوشة صارت هجمات ما نستفق في الليل إلا هم هاجمين مثلا على الدوايمة هاجمين على العراق على الفالوجة في الليل يهاجموا، ييجن الطيارات يظربن في الليل نشرد إحنا في الطيران مليانة طيران بيت جبرين نتخبى تمنو يروح الظرب نرجع للبلد آخر شي كان الجيش المصري والجيش الأردني. بقى في مناظلين من البلد وكمان من القرى اللي حوالينا والجيش المصري والله يا عمي قاوم وكان يدرب فينا والله بقينا نقاوم لكن يا عمي تقوت إسرائيل، والله انو الجيش المصري بقى يظرب لكن مبيوعة وعليهم شرط إلا يطلعوا.

اليوم إلي طلعنا في يا حفيظ العمر والسلامة الجيش المصري إلي كان في العمارة طلع صارت تهاجم من العصر اليهود من كبانية خربة موسى ومن العراق ومن هان ومن هان صارت تهاجم في البلد الجيش المصري انسحب، انسحب وطاح جيش أردني وقف عند الصحرا هذا الجيش الأردني القادة إنجليز عرفت انت، صار الجيش الأردني يظرب في اليهود إلي خشوا في العمارة وإحنا، انا قاعد في البلد شو بدي أسوي انا، أجا إلي هوي القائد الإنجليزي في جنب البلد من شاما هذا كان الواقفين يظربوا في العمارة أجا القائد الإنجليزي شو قلهم قلوا ليش بتظرب قلوا ها ما أخذوا البلد الإنجليزي المسئول عن الجيش الأردني قلوا انت بتعرف انو اخوي مع اليهود قلوا بدك ترجع للخلف مسافة كبيرة يعني من بيت جبرين لدير نخاس انتو ما بتعرفوش يعني زي هانا ودورا قلوا بدك ترجع للخلف، طلعنا شو بدنا نسوي بدهمش اليهود حدا بدهم نطلع، الشعب الفلسطيني يا عمي مجرد والله موس ما بقوا يخلوا معنا الشبرية والله الدخان يلقوو كيس الدخان انه يوم يلقطوا النجليز انه يجي الواحد إذا معاي انا مثلا إني اشدوا وانعفوو.

مشوارنا يا حفيظ العمر والسلامة صرنا نحمل الحب نحمل اللحفة على الجمال نوصل إذنا والله يوم طلعنا على إذنا لقينا أصحابها طالعين منها، كُنّا حاملين على كتوفنا وحاملين الأولاد الطيارات صارت تظرب في الليل وفي النهار طلعنا غصبن عنا يا عمي، بقوا يجي مناظلين واستشهد ناس من إذنا أخرى والله ما انا عارف أسمائهم، إذنا وبعد إذنا طلعنا عالخليل طلعنا في خلة حجة من الحاووز ولغربة سكنا في المغاير سنتها أثلجت علينا وطلعنا في الدور عندك دار انت مثلا جيب هذي العيلة.

والله يمكن قعدنا أكثر من سنة يمكن في الخليل بعدين صووا المخيمات، على بير السفلى صووا المخيم في الأول طحنا عليه زهقنا ما إحنا يا عمي فلاحين طحنا من عند الخلايلة مهوي حشر قلنا ما زان صار مخيم قعدنا سنة في الخليل الساعة الناس مهي جعانة صاروا يطيحوا(يقصد التسلل إلى بيت جبرين)أنت وأنا مثلا نطيح نجيب حب نجيب اشي نطعم العيال.

أخذت الأولاد واولاد الاولاد على بيت جبرين وقلتلهم هذي الأرض النا وهذي لجيرانا وهذي لفلان وهذي الك هاظا النا وهذول كرومنا وريتهم. وبنحكيلهم كمان.

مقابلة رقم(4):

الحاج محمود احمد الحموز، 82 سنة

لو كل انسان مثلا عنده قائمة لأنه الذكرى للاولاد حتى لو ظيعوها من عقولهم يكون في اشي خطيا مكتوب عندهم، يعني وطاتنا احنا مثلا يا أهل بيت جبرين يعني شو حدودها شو اسم بلاطتها يعني مثلا تل صندا حنة، مرح حور، اسم قبش، اسم قرقش، شعب عواد، يعني مفصل تفصيل.احنا الارض المفتلحة عندنا يعني الارض إلي

بتعطي فيها طابو، بقى الطابو قرشين ونص الدونم الناس تشرد عن القرشين ونص وبعض الناس تحلف يمينات انه هذه ما بجيب ولا بتفلح ولا بتطعم، الارض الجبلية ما يطوبوهاش، بيت جبرين بشكل عام عندها طابو، بقوش الناس يهتموا زى اليوم.

الخاروف والحموز وغطاشة كنا احنا من عصر ابياتنا من قبل حتى لما قربنا نطلع واحنا إلي صايبنا صايبهم وكانت الناس كليتها تنجمع وتوخذ رأي بعضها ولو حكى ختيار زى حلاتي كانوا يسمعولو الناس ،يعني شو ما قال يقول ، عندنا مثلا ابيار (آبار) عندنا بير ام جديع ،عندنا بير القلعة، عندنا بيرالعجمي ،عندنا بير خلة الطويلة ، هذول نبع كلييتهن ،هذول كانن كل واحد في ارضه لكن ما حداش يمنع عن الثاني ، وكنا عوايدنا كويسة ،في جامع صلاة وكنا في الاول في حارة وحدة بس لما الناس انتثرت وصارت تتوسع شوية صار هاظا يسويلو مقعد وهاظا يسويلو مقعد ، وكنا في الفراح مثلا الناس تقزي على كل حارة بحارتها مثلا لما يسوي عرس بقوش زى اليوم على العريس يحملوا مثلا على عيلة العزة ،عيلة الحموز... يودولهم عشر خمسة عشر انجري يودولهم عالمقاعد كل واحد الو جامع يودوا عليه ، هاظا فش منو الايام هذه .

الميتم بقى يقعد اربعين يوم لما يربع والناس تعزى ووقت ما مات اية انسان البلد مش يعني قرايبهم يجووا يطفوا جرن القهوة والبكارج عالارض فلما يجووا يطلبوا الاذن يقولولهم خلص غيرو، الحداد اربعين يوم يعني بعد عشر ايام الناس توخذ بخاطر بعضها ويقلو مثلا سوي قهوة والميت منا والطيب منا واحنا ناس واحد، يعني يتعذروا لبعضم الناس، انا طلعت من البلاد وكنت زلمة كنت في العشرينات وفي ال 48 فزعنا على واد الصرار، كنا نفزع كمان على باب واد علي وعلى بلد اسمها ذنبة بقى في ترك هناك لواحد من عيلة العزة يوخذنا ونطلع مسلحين فيه، استشهد معانا ابن الحاج علي قرابتي في واد الصرار اجته ارصاصة وكتلته، واستشهد معاه بطلع خمسة ستة منا ومن السودانية وتصاوب كمن واحد، ممكن بقى عمري عشرين واحد وعشرين هيك اشي.

عالبحر كنا نروح الحلال بقينا نروح نبحرو في فصل الصيف الغنم يصير فيهن زى الجدري او اشي نوخذهن ونروح على البحر نبحرهن ونقعد يومين ثلاثة وفي بلد اسمها عدبس كنا نعرف فيها ناس وكنا نجمع الحلال عندها هناك،بقوا الناس يطولوا في الفرح ومش زي فرح اليوم ثلاث ايام وتلقى مثلا هالخيل ومش كل الناس الناس المقدرين والناس إلي مبينين الخيل يقعدن يلعبن رايحات جايات ، الجيزة غالية مش زى اليوم كانت غالية جدا وبيش الجيزة؟ أغلبها بالوطاة انا إلي اخت في واحد من ثاني حمولة خطبهااتفق على مهر 150 دينار اجا رحمة عمي علي قال هذه البنت احنا ابدى فيها ليش تعطوها للناس الغرب بيش قالوا عليه بالنص للقرابة حط 24 دونم فيد مكفينش ال 75 دينار في واد زيتون قالوا هاظا واد الزيتون بكفي ل75 دينار.

ما بقى حدا يعرف الاجار ولا بقوا يعرفوا الشغل معتمدنا وحياتنا على المواشي وعلى الفلحة بس اما في شغل مفش شغل، ان بنيت دار الكل يجي يساعدك عونة يجووا يساعدوك الكل فيها.

احنا لما صارت المناوشة احنا يا أهل بيت جبرين كنا نروح نفزع برّة والي انكتل في واد الصرار هاظا ابن عمي وقرابتي، لما دخلت الحكومة المصرية قالت فوضى ما في في حكم وبتمشو عليه، قعدوا يدربوا فينا ممنوع نطخ اية طلقة الا برايهم وعلى داير البلد نسهر في الاستحكامات، هالحين ظلت الناس مربوطة في الجيش المصري، فلما الجيش المصري حكم الناس هالحين تسللت اليهود عندنا في البلد المركز، هالحين بقى واحد مبين من عيلة العزة اجا الملك عبد الله على بلي على مدرسة بلي هذه الموجودة اجا هناك وقلوا يا عزة خلي بلدك ترحل، هالحين روح هاظا وقال يا جماعة احنا لازم نرحل بنعرفش يوم او يومين او اسبوع، هالحين احنا حطينا من ترقوميا وتحت في السنابرة وظلينا مع الحلال لآخر شي اليوم بنروح وبكرة بنروح وبعده بنروح وبعده بنيجي

وظلينا عايشين عالامل، هالحين لما عراق المنشية طلع وصفت السيارات على برانا واحنا من ترقوميا وتحت قالوا خلص.

رمت علينا الطيارة 160 كيزان في ليلة وحدة القنبلة تبحش تقول مطب لتون من العتيقات، بس بنقلك لما طلع وقال بيت جبرين تطلع هاظا إلي اطلعنا ولو بنعلم وندري احنا ان راح نحصّل هاظا الكلام ومتنا في بلادنا والله ما طلعنا لأنه اليهود ظربوا البلد 160 كيزان في ليلة وحدة وظربوا مناشير وقالوا يا أهل بيت جبرين سلمو ونعيش احنا واياكم سوية، الناس بقت خايفة عالعرض ومع قول هاظا اطلعوا الناس هاظا سبب طلوعها ولا الناس مش طالعة ولا على بالها، حتى لو في خوف الناس مش طالعة من وطنها، الوطن بظل عزيز علينا. الناس طلعت على سبيل ترجع، هالحين اليهود لما الناس طلعت نسفوا البلد اولها على آخرها يعني بتعرفش ولا دار منها يعني خربة زى ما كانت من زمان.

مشاكل البلاد برضه ذاكرهن كان في طوشات وما طوشات، في ال 36 غزتنا دورا، قبظوها من قبيبة ابن عواد للدوايمة لدورا لبني نعيم ليطا هذول كلهن، هالحين جيشوا علينا وقزّونا رسالة وبسمعك الرسالة إلي قالوها، انا حافظها الرسالة، بقول:

يا راكبٍ ما الك ازهى بالحوار يا لا رظعت حيرانها في الدواوين
تلفي على بيت جبرين مشايخ خبارها تلقى بكارج البن عالنار
ومبهرين دلالهم بالتباهير قلهم دشروكو من الحرب واتبعوا التجارة
تحت خليل النمورة مهرة تسبق الخيل بهجار
وباكر على ام جديع تنخط مشاوير وبقلم هندي تحسبون الدنانير
احنا بني قيس احنا مشاهير احنا على كل القبايل كبارها
لا يعجبك لا رعنا ولا الدير والعراق حطها في حلقة العين
وربع العجان في بيت محسير واطلق عليكم وآخذ واد الصرارة
واطلع الحق من جوّ البيارة

هالحين في الخليل القواسمة والنتوش هذول قالوا اسمعوا، بقت قهوة بطران هذه عند ابراهيم راشد مرقة، قلولهم تعالوا أهل دورا غزو على بيت جبرين وبدهم يغزوهم وهددوهم، اذا اخذوا بيت جبرين بكرة بطلعوا أهل دورا، بقى واحد اسمه عبد الحليم الشلف وعبد شاكر هذول بقوا قواد ضد الانجليز دير بالك، راحوا طاحوا على بيت جبرين من دورا، عراق المنشية ما حداش عزمها ورعنا والدير وتل الصافي زكريا وعجور من عند بيت اولا ودور جاي صارت صف لبيت جبرين، هالحين اكتل واحد منا يا أهل بيت جبرين وانكتل واحد من الدوايمة ولما شافوا القوة هذه ارتدعوا ومنها مرجعوش.

بخرف في كل المجالس وكل حديث، اولادي هذول كلهم عارفين القصة، في البلاد الناس غير وهانا غير.

مقابلة رقم (5):

الحاج موسى عبد القادر الشوابكة، 77 سنة:

بقينا في البلد يا سيدي فاتحين حارات شايف الختيارية يعني لو اجاك ايّ واحد بتعرفه ولا ما بتعرفو يقوم الغلاظ في البلد ويذبحولوا ذبايح يخلفوا على واحد ولي يخلفوا عليه يروح يجيب ذبايح ويذبح ويطعم الظيف ويطعم المحلّية، بقينا نحرث في هالارض نرمي عدس ونرمي فول نرمي كرسنة ذرة بيظا، نرعى لا يقول هاظا

ارضي ممنوع كل ناس عندهم 350 راس غنم ويبقوا يرعوا في هالجبال وفي هالاراضي وبـس الواحـد يحصـد هالحصيدات والحلال يرعى، يجونا من الدوايمة ومن يطا ومن كل بلاد بلادنا فيها خير يجوا يظلوا من يوم اطـيح الحصيدة تيطيح المطر وهم في بلادنا بعدين يروحوا على بلادهم، والله البقر ما يوكلن لا بقر ولا غنم الا عايشات من خير الله.

علاقات الناس مع بعض كانت كويسة، الناس عالبركة يحترموا بعضهم ويعيشوا مع بعضهم في الفرح يوقـدوا نار لا بقى في كهربا يوقدوا من هالحطب ويسوو دحية وسامر هذي شغلة هالفلاحين. انا على وعيي ما صـارش مشاكل على زمان الاوالى بقولوا باقي مشاكل وما مشاكل هذي راحت على هوا ارض وما ارض، انت غشيم هاظا احنا يالعرب، ولا والله ما عمره صار مشاكل، بقينا نطلع على البيار والكل يورد غنمه يشربن ويروحن يقيلن فـي هالزيتون يعني مكيفين على زمان البلاد. لو كان عندك الف راس من الحلال ما تحمللهن هم يصرحن ويروحن في حفظ الله بس احفظهن وما تطعمهن لا كثير ولا قليل الا من هالحشيش بلاد برية. توفى واحد كل الربع لـو كـان يحصد او يقطع ذرة علشان توفى واحد يحلوا ويجوا على الي توفى يصيروا يتغالطوا بالمثل. انا مـن الغطاشـات ،بقت تظم حمولة الغطاشات الحليقاوية والدعادرية والفودة والحموز وابو زور وعرار وكلها وغيـره وغيراتـه وشعبان بقوا يقولوا عنها حمولة الشوابكة والمهدي والخرفان كلها بقوا يقولوا عنها حمولة الشـوابكة ، علـى وعيي عاودوا تقسموا كان للحموز حارة ،صار للخرفان حارة صـار يـا حفـيظ العمـر والسـلامة للدعادريـة والحليقاوية حارة ، صار انا احنا يا الغطاشات حارتين ، حارة لجيش احمد وحارة لجيش سلامة ،وبقـى عنـدك حامولة الغبارية اللي منها كساب والشوبكي والقيسي والشتيات،وفي حامولة الدعاجنة وبقولوا انه اصـلهم مـن عندكم من منطقة دورا وهذول الطرابيش والفقيات والقطاوي ومريزيق والرظاوين وما تنساش العزة في كان عزة اولاد مسلم وعزة اولاد محمد. زمان خرفونا الختيارية كانت حارة وحدة ينجمعوا عند يونس عبد الفتاح العزة كل البلد من غباريةمن دعجنة من حموز من اية انسان.

معنى الكلام انا فلاح انكسر القش عندي بقوا يشيلوا على الجمال لا في سيارات ولا طيـارات، اروح هاظـا عنده جمل هاظا عنده جمل بالمثل اطلبهن ما يقولوش لا، خذ تروح تحمل قشك وتروحوا، برضو اذا عقب واحـد في الحصيدة يروحوا يحصدوا معاه، في قطاعة الذرة يقطعوا معاه يعني الناس متفقة مع بعضها، يعني هذول الي عديتلك اياهم الشوابكة متفقين مع بعضهم، الغبارية متفقين مع بعضهم، العزة كان يشبك الشـبكة علـى زمـان الختيارية، ان طلع مصلح كن قالوا نكتل مصلح يرحم امكم على ابوكم تكتلو مصلح ومين الي يقابلني هذول العزة اجوا من مصر يطلع عبد الفتاح اخوه يقولوا نكتل عبد الفتاح بدكم تكتلوا عبد الفتاح ومين يقابلني، طلع واحد من الحمولة هذي الشوابكة الغبارية يقولوا يا عم نكتلوا يقول اكتلوه وبرضو للشوابكة يقول اكتلوه زي اميركا هالحين زي اميركا واسرائيل هالحين بتظرب مدافع علينا واحنا مش قادرين نقح.

كان في العروس بقى بنت العم لابن عمها باربعين ليرة ويقعد خمس ست سنين شايف تيجمد الاربعين ليـرة، هاظا الانجليز على وعيي يوم تيجي خصاب، الغنم يوخذ على الراس خمس قروش في السنة يعد الغنم عاليوم لو اسرائيل توخذ على كل راس مش خمس قروش عشرين ليرة في السنة ويخلوا الناس ترعى في هالخير.

بقى في ناس يوم يقبض الشبابة يقعد ثلاث ساعات وهو على نفس واحد وهو يظرب عليها وحلقة تدبك ويغنوا، والله بقوا يجوا على بيت جبرين من دير نخاس ومن عجور وهذول يروحوا من يوم يسمعوا في عروس من شان الدبكة.

النسوان شو دورهن: بقت الوحدة تعنقر هالجرة عن بير ام جديع او بير...لا بقى في حنفيات زي اليوم كل شي في الدار والمكاتل زيادة شايف، في شقتنا بقى في بير ام جديع وفي شقة العزة بقى بيرين واحد يقولولـوا بيـر

القلعة واحد بير الحمام، في شقة الغبارية غاد بقى في بير يقولولوا بير العجمي، النسوان بقن يا سيدي في ايـــام الحصيدة يصرحن ويجيبن اكل للحصادين ويصيرن يغمرن وراهم وفي اشي بقن يحصدن معهم وفي اشـــي بقـــن يقطعن ذرة معهم حاملة السلة على كتفها ورا هالقطاعين رايحة جاية هم يقطعوا في هالذرة ويحطوا في هالسلة، شو بقين افندية؟.

بقى يا سيدي إحنا عندنا في بيت جبرن أجا كمن جندي أردني شايف بقوا طول نهار حاملين هالبواريد، هـــو بقى في سلاح يا بنيّ، بقى برودة يقولولها أم إصبع واشي أم زور، هانا اليهـــود زاد ظـــربهم عالبلـــد راح عبـــد الرحمن عبد اللطيف على مصر أعطوه سيارة جيب ولقبوه فصيل، لما انو أجا عبد الرحمن العزة من مصر طـــيّح العلم الأردني وعلق علم مصر روحوا الأردنيين على بلادهم بقوا بطلع خمس ست جنود، لمن طيّح العلم الأردنـــي وعلّق علم مصر صارت اليهود تهاجم بيت جبرين اكثر من الاول، هانا المصريين قعدوا فـــي المركـــز وصـــاروا يدربوا في هالشباب عالسلاح وهم يطخو من جال واليهود.انهزموا المصاروة شردوا من بيت جبرين الناس حملت وشردت وهذي الطيارة ظربت بطلع ظربتين ثلاثة ظربة في وسط البلد وظربتين في أطراف البلد، والعـــزة حمـــل ظعنه وشال والكل صار يشرد ويروح، شردت، وطلعت الدوايمة وطلعت القبيبة وطلعت ذكرين وتل الصافي وكلها كلها وعجور كلها شردت.

البلد شو بدهم يقاوموا، عندهم سلاح يقاوموا اليهود؟ عندهم سلاح يقاوموا طيارات ومدافع ؟ هاظ هـــم فـــي غزة بظربوا عليهم مدافع شو بقاوموا فيهم؟ ما ظلينا في البلد ولا دقيقة ، شو نظل في البلد نساوي؟ الي عنـــده حلالات ساق حلالاته وطلع يا اما على طراف هالعرقان، وبقوا شوية قال حرس وطني مناظلين، بعدها راح عبـــد الرحمن عبد اللطيف بعد ما طلع عاود راح عالاردن زي ما سمعنا قلو تنشوف بقى عبد الله بقى امير حتى مـــش ملك قال تنشوف هود دبابتين صارن توالي السيل عند دير نخاس حتى دير نخاس بقوا ميخذينها في واد القـــف، ظربوا عليهم الا هم كاتلين القايد تبع اليهود، القايد تبع عبدالله زي ما سمعنا قلو يسود وجهك هاظا اخـــوي الـــي نكتل يالله يالله واجوا رايحين وظلينا لاجئين، بعد ما طلعنا شو بدي احكيلك حطينا في خربة بقلولها القصّة بـــالغنم مش بقلك احنا اطلعنا مع غنم حطينا هناك وصرنا وين نرعى؟ نرعى قريب من ارض بيت جبرين تحت نهوِّد فـــي المنطقة نهار الا طالعة هالطيارة تحوم وين الجيش الاردني بقى، احزر؟ بقى حاط عند ترقوميا تحت شـــايف والله شردنا وتلفعنا والله شوي وشوف عيني هذي وانا الساع حي ارزق طالعات اربع دبابات بلون السمقة الحمرا بلون هالبساط، في واد القف شايف وصلن خربة بقلولها جمرورة كتلوا وقتها واحد حدار وكتلوا بنت لعيلـــة القيســـي شردت وهي على كتف عمتها بنت زغيرة اجت فيها رصاصة وكتلتها شايف وكتلوا اخرى حرمة، وبقـــن جمـــال وكتلوهن وبقى في بقر يرعوا هناك ساقوا البقر برعيانهن وهودوا غربة بعدها الا جاي علي واحد اردني انا كان وقتها عمري في العشرينات هاظ بعد ما طلعنا بفترة، بقلّو يا زلمة اليهود وصلوكو وكتلوا هالعالم ومـــا اطلقتـــوا عليهم ولا طلقة قال يا خيو هاظا سر حكومة عيب انا اقلك اياه، والله من البسطار للشعار معـــاش واحـــد احنـــا واليهود، واحنا انتخينا والقايد قال ارمو سلاحكم روحوا الله يساهل عليكو وعند ما نرمي سلاحنا شو بدنا نســـوي في اليهود عاودنا قعدنا وسكتنا، لموا الي لموه واخذوا الي اخذوه وحاشوا الي حاشوه وظلوا مغـــربين عـــاودوا شايف كيف هذول الاردنيين بحشوا خندق وحطوا مدفع، والله ما كان واحد اردني يقعد عند المدفع، وهـــو يمكـــن مدفع فاظي شايف، مؤامرة يا خال مؤامرة كلها هذي كلها مؤامرة عربية لا تسجل ولا تتعب حالك.

انا والله طلعنا من البلد جينا على واد بقلولوا واد الزرزير عند واحد مدني قال: انت معاكم حلال، بقى معنـــا بقرة وغنم، قال هذي بلاد بتثلج وحذاركو عاودنا ردينا على قصّة قعدنا هناك هذ قصة قبال خربة بقلولها جمرورة من السنابرة وفوق، شايف عاودنا انتقلنا لفوق شوية في عراق بقلولوا عراق الثريا لاهل اذنا قعدنا في عاودنـــا

زهقنا وبعنا الغنم اعطيناهن لواحد يطاوي بقلولوا يونس بليه صار كل اربع خمس ايام يجيبلنا شلو، طب يا عـم هاتلنا راس الذبيحة نتاكد منها يقول اكلوها الرعيان، ابصر هو باقي يسرقلو عنز ويذبحها وهذيك يبيعها ويجيبلنا شلوها ويقول من غنمكم، عاودنا غلبنا وحاسبناه واخذنا غنمنا وبعناهن.

انا طلعت مع الغنم، شايف وبقالي اخو اكبر مني، وبقالنا عجوز احنا مفش بقت عادتنا زي اليوم ولا ورانـا ذرية، هو اجوز وماتت مرته وخلف ولد وعجز وانا طلعت عمري يمكن 16 –17 – 18، هيـك اشـي، لا بقيـت مجوز ولا اشي وبقالنا واحد الله ظربوا وهو عمره 15 سنة 16 سنة راح عقلو وبقى ...اخو الي وخلقة العجـوز والولد اليتيم وانا واخوي مفش عيلة يعني بقت النا اخت بدل فيها بقوا يبدلوا بدل اعطاها لواحد واخذ اخته واخته جابت ابنه هاظ وحبلت وغدرت لا بقى في حكما زي اليوم ولا اشي فرطت وهي بتطلق مسخمة فش حكمـا بقـوا الناس هبل، هالحين يوم تنقل الوحدة شو في ولد ولا بنت ؟ شوفي وكتيش بدكي تلدي بشوفوا لو تعسرت بشقوها وبطلعوا الولد هالحين الدنيا اطورت.

بيت جبرين واذنا قريبة، طلعنا لما راحت بيت جبرين، بقينا نهود ندور بقوا يدربوا اليهـود نـدور فشـكات فاظيات حاجات ندور بشان نعيش. بقينا نهود العصر وما يوذن المغرب الا احنا في بيت جبرين قريبة بيت جبرين واذنا يا زلمة، وبعد ما اجينا عالفوار بقينا نيجي من هانا على جنب دورا ونكت واد عين القف وعلى جنب اذنـا ولا احنا في بيت جبرين واحنا قويين شباب. الي بقى يقبظوه يطخوه واشي يتسروه بس بقينا نآيس مـن القلـة هالحين انت لما تجوع تهجم على دارك اذا حدا معاه مصاري، احنا يوم ما طلعنا لا اخذنا معانا حبات انجق الواحد حطلو خلقة الحاف على ظهرو لا بقى في بطاطين ولا حرمة، الطخ ورانا، والله حبنا وكل شي النا ظل في الـبلاد على ايش بدنا نحمل ؟ بقى سيارات زي اليوم حمل واشرد؟ شو بقى عند الواحد بعيد عن السامعين يا حمارين يا خلقة جمل شو بدو يحمل؟.

قبل بقى في مناوشات ويقولوا رديناهم وما رديناهم ولما اجت الطيارة ظربت والزعيم هاظا الي سووه فصـيل شرد الكل شرد، هالحين لما تحمل وتيجي شارد يا العقيد يا الفصيل انا شو بدي اساوي يا اخوي بدي ارد اليهـود بيش؟ حمل بظاعتوا في السيارة ونفد بقى عتده سيارات واحنا نفدنا بروسنا، الكل شردت، بعـدين الجـيش الـي عندنا حمل وشرد الي بقينا مركنين عليه المصري هاظ حمل وطلع عالخليل طب احنا شو نسـاوي، شـايف لـو بنعرف اليهود بخرفوناش مشردناش بس لانهم فظعوا في دير ياسين وبعدين في نـاس عقبـوا فـي الدوايمـة ذبحوهم، حطوهم في طور وذبحوهم كلهم، يعني بقوا يذبحوا يذبحوا ويفظعوا في العرض ويخوفوا النـاس. الـي صار قبل والي صار في غير مطارح نسمع انهم اليهود بذبحوا الناس، وفعلا ذبحوا مش مذبحوش ذبحوا.

هم عارفين اولادي دايما بنحكيلهم بنقلهم احنا بقينا يا بني صحيح صدق اني في بيت جبرين انه بقـى عنـدي اكثر من (100) عنز وآمن بالله لا نعرف طوايل ولا اكل ولا شرب الا انا بنفسي معهن انا وفـش احلـبهن واول قعقور حليب احلبو والله اديره في راسي بقن في قعاقير سمر وبعدين اصير احلب واحط في السقا يجـي اخـوي هاظا يحملهن ويروح للختيارة تخظهن وتسويهن لبن جعاجيل واحد معندوش لبن نقزيلو في ايام الحليب في ايـام الصيف يوم نرد على البيار نقول مين معندوش حليب يقولوا يا عمي تعالوا خذوا حليب اطبخـوا بقـوا يطبخـوا يسووا هيطلية ويسووا بحتية هالحين الغنم الي عنا والله ما بسويننا حاجة.

انا بحكيلهم وهم عارفين انا من بيت جبرين لانهم هالحين اكبار، هم الولاد بقولونـا انـتم همـل طقطقولكـو واطلعتو، طقطقولكو على تنكة واطلعتو مش داريين شو صار، اجو اليهود بقوا فـي الدوايمـة، تقـدموا جـاي مشوارها كتلوا رعيان، بقوا اهل اذنا، يا زلمة بقى واحد من اذنا يحط لليهود الغام من يوم يجو من بيت جبـرين عالدوايمة يحط اللغم ويكمن من يوم يثور اللغم يهود عليهم يذبحهم ويوخذ سلاحهم، مؤامرة من الـدول العربيـة

جاي جاي انتم هبل والله انكم هبل. زيارة ما رحتش(بعد الخروج) اما رحت مع الغنم كان عندي رعوة نعاج رحت وصلت جيت على ام خشرم جيت على خربة من أم خشرم وجاي خربة راحت اسمها ؟؟ لو ظلينا في بيت جبــرين كان هالحين عايشين احسن عيشة بنعيشها على حب النتش ، احنا يا الرعيان بقينا في عراق بقلولوا عراق صندا حنة شوف بقن غنم للحليقاوية فيه بقن رعوتين وغنم لواحد من الدعادرية واحنا يا الغطاشات انا ثلاث رعــاوي انا رعوة لواحد من دار طافش ورعوة لابن عمي ، كل واحد حاط في شقة شو بدي اقلك في الطور ها كل واحــد حاط في شقة يعني ست رعاوي غنم واقل رعوة فوق ال (200) عنز ونطلع ونصرح .

كان بدك لاولادي انا والله ما فيهم واحد بعرف ارضنا لانهم مهودوش على بيت جبرين من مرة انا بقيت اهود على بيت جبرين ايام التسلل علشان اجيب رزقة فشكات فاظيات حاجة..

يا عمي هذول الزغار ما بعرفوش يعني بيني وبينك هالحين لو ايّ واحد من الختيارية بعرفوش الارض والله ما بعرفوا، ها اذا بساوى كتب بساوى أي اشي بس يعني لو بدهم يردوا على بيت جبرين ولا واحد بعرفلو قبــر ولا بعرف وين سيدو اندفن.

مقابلة رقم (6):

السيد محمد محمود العزة، 65 سنة:

يعني بيت جبرين مثل أي قرية فلسطينية بتتشكل من مجموعة من الفلاحين إلي بتربطهم علاقات طيبة ومحبـــة مثل سائر بلاد فلسطين، وبيت جبرين كانت مركز لنجموعة من القرى كانت تتبع اداريا لبيت جبرين وهـــي الهـــا تاريخ عريق كونها كانت مركز رئيسي وكانت في التاريخ من المدن الفلسطينية العريقة وكان يتبع لهـــا منـــاطق واسعة حتى ان بيت جبرين كانت اكبر من الخليل عندما كان تميم الداري اول من اسلم من بلاد الشام والرســـول بشر المسلمين بانهم سيفتحوا بلاد الشام فذهب تميم الداري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واخوته لانهم ارادوا ان يطلبوا منه عندما يفتح المسلمين ان يقطعهم منطقة فجلس تميم الداري واخوته يتشـــاورون والرســـول في المسجد بعيدا عنهم فقالوا نريد ان يقطعنا بيت جبرين – وهذا حديث- فقال لهم اخوهم الصغير ان بيت جبرين بلاد واسعة وكبيرة ودعنا نطلب منه ان يقطعنا حبرون الخليل فقال الرسول عليه الصلاة والسلام ان خير ما اشار به اخوكم واقطعهم الخليل هذا في بداية الاسلام.

بيت جبرين كانت بحكم موقعها كانت عرضة للغزوات وكان بقربها معركة اجنادين او فيها، وفيها اربعة عشر صحابيا مدفونين في منطقة بيت جبرين استشهدوا في معركة اجنادين وبيت جبرين منطقة تقع بين السهل والجبل اراضيها سهل وموقعها في منطقة جبلية اراضيها خصبة وكان أهل بيت جبرين يعتمدون على الزراعـــة وعلـــى الرعي، كانت فيها اشجار الزيتون الروماني القديم، سهولها خصبة وكانت تستقطب كثير من السكان يلجؤون اليها طلبا للعيش وللرزق، أهل بيت جبرين مجموعة من العشاير او الحمايل مثلهم مثل أي قرية فلسطينية لكن كانـــت العلاقات بينهم علاقات طيبة وجيدة ولهم سمات ايضا مشتركة لهم افراحهم ولهم اعيادهم كسائر بـــلاد فلســـطين ولهم تقاليدهم التي يشتركون فيها مثل سائر أهل القرى، يعني بيت جبرين كانت تشتهر بطيبة اهلهـــا واكـــرامهم للضيف وفي بيت جبرين اكثر ودا مع بعضهم البعض كون بيت جبرين بلد غني او ثري لأنـــه اذا قـــيس الثـــراء بالاراضي فبيت جبرين اراضيها ممتدة تختلف عن كثير من القرى في منطقة الخليل واراضـــيها كانـــت خصـــبة وسهلية وفيها مياه فكانت هذه تعكس نفسها على أهل البلد بحيث يتنافسون في الكرم ويتنافســـون فـــي طلـــبهم للمجد.

يعني بيت جبرين كانت في ايام عيد الفصح يحتفل في بيت جبرين ويمكن في بعض قرى فلسطين وهو كان يسمى بدل عيد الفصح بخميس البيض وخميس الأموات وهذا تأثر بالتراث المسيحي حقيقة لأنه بيت جبرين في هذه الايام(الربيع) عبارة عن سجادة خضراء مزركشة بالورود والنباتات البرية ولذلك كان الاحتفال بعيد الفصح او بما يسمى خميس البيض كان له بهجة خاصة واذكر كيف كانت والدتي تجيب بعض الاعشاب وتسلق البيض وتعطيه لون خاص هذا كان عيد من الأعياد الحلوة والجميلة في بيت جبرين.

المواسم وبيت جبرين لها نصيب فيها والمواسم تعود إلى صلاح الدين الايوبي رحمة الله عليه القائد العظيم إلي عمل المواسم في اوقات أعياد خاصة بالصليبيين لأنه كان يريد ان يجمع المسلمين حتى لا يباغتهم الصليبيين فكانت المواسم المشهورة ثلاثة في فلسطين وهي موسم النبي موسى وموسم النبي صالح وموسم روبين وهذه المواسم شرعها القائد البطل صلاح الدين الايوبي، ليس هنالك موسم في بيت جبرين ولكنهم نالوا نصيبهم لأنه صلاح الدين الايوبي أقام مقام تميم الداري في بيت جبرين وتميم الداري صحابي جليل وهو اول من اسلم من بلاد الشام، يعني بصمات صلاح الدين الايوبي كانت في بيت جبرين، وهناك مقام الشيخ جبرين النبهاني وكان رجل صوفي لم يأخذ شيئا من احد وله مقام في بيت جبرين ويكنون له الناس كل احترام ويبدو ان الرجل كان تقيا حتى ان الشاعر قال فيه يوم وفاته:

كأن بني نبهان يوم وفاته　　　نجوم سماء من بينها البدر

اضافة إلى مقام الشيخ جبرين في مقام آخر كما اذكره وكان قريب من بيتنا اسمه مقام الشيخ محمود المهدي واقاربه موجودين وكان شيخ جليل وله مقام، بيت جبرين كلها آثار قديمة وحضارات قديمة متراكمة على بعضها البعض، هناك كنائس موجودة وهنالك ما يسمى اخرب أي بمعنى قرى مندثرة كانت في التاريخ وعثروا على آثار كثيرة في بيت جبرين اعمدة وفسيفساء وهي مشهورة بكهوفها فهنالك عشرات الكهوف والاسواق تحت الارض لأنه كان فيها حضارات متعاقبة وهناك سور كان يحيط ببيت جبرين ولكنه هدم ولم يبق منه الا بوابة والذي هدمه صلاح الدين الايوبي حتى لا يتحصن فيها الاعداء.

اذكر كنيسة مشهورة في بيت جبرين اسمها سانت حنة والفلاحين بقلولها صندا حنة وهي والانتيكا بسموها منطقة المقرقش وهذه فيها ارض انا وفيها آثار، يعني اينما ذهبت في بيت جبرين تجد آثارا وما زلت اذكر احنا كنا اطفال يعني كنا لما تمطر الدنيا نمشي ونجد عملة يونانية وآثار وكانوا ييجوا تجار الآثار وبحكم انهم فلاحين لا يعرفون قيمتها فيوخذوها بابخس الاثمان.

في حارة البركة وام جديع حارة وحارة للدعاجنة والغبارية والحموز يعني حسب تواجد سكان البلد والحمايل دائما بتجمع حوالين بعضها وبتكون قريبة من بعضها.

كل عائلة من عائلات بيت جبرين الها يعني مخاتير او وجهاء يعني بشكلوا وجهة نظر العشيرة وطبعا كل مجموعة من العشائر كان فيها مجموعة من الرجالات الحكماء إلي هم اكثر وعيا في العشيرة وكان فيها عائلة العزة بحكم انه عائلة العزة ليست فقط في بيت جبرين تمتد إلى اكثر من قرية من القرى المحيطة فكانوا لهم تأأثير في خارج بيت جبرين كما كان لهم تأثير بحكم انهم من أهل بيت جبرين، لكن بشكل عام كان أهل بيت جبرين تجمعهم الفة ومحبة لبلدهم.

كان للبلد كلها مختار واحد وهو الله يرحمه طلب حسن سمور العزة وقبله كان يونس عبد الفتاح العزة وعندما كبر الرجل وهذا رجل وجيه وحكيم ومحترم عندما كبر تنازل لابن عمه وهو طلب حسن سمور رحمة الله عليهم بعد الخروج من بيت جبرين صار عدة مخاتير كل منطقة جغرافية يتواجد فيها أهل بيت جبرين يختارولهم واحد، صلاحيات المختار في القانون البريطاني وعلى زمن الاتراك هو عبارة عن ضابط الارتباط بين الحكومة وبين

الناس لكن لم يكونوا كل المخاتير سواسية كان هناك مخاتير لهم قوة بحكم انهم مدعومين او لهم اصـــول قويـــة ومخاتير عبارة عن ممثلين للدولة، لكن بيت جبرين لم يكن فيها مخاتير تمثل الدولة كان المختار يستمد قوته من جذوره وليس من الدولة هو كان ضابط ارتباط بس الفارق انه في بيت جبرين ارتبطت المخترة بنوع من الزعامة يعني له عنفوان وقوة حتى ان الحاكم او المتصرف ما كان يأمر عليه كان يعتبر بأنه يمثل قوة شعبية قوية يستمد شرعيته من أهل البلد اكثر من الدولة. الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف كان رجل زعيم لم تكن زعامته في بيـــت جبرين كان على مستوى فلسطين كلها، رجل كان من القوة ومن الهيبة بحيث انه تأثيره في كل فلسطين ولـــيس في بيت جبرين.

المرأة في بيت جبرين تحظى باحترام ومعززة ومكرمة عند اهلها وعند زوجها وتحترم وتقدس ولكن لم يكـــن لها دورا ظاهرا في خارج اطار عائلتها وكانت تربى على العزة وعلى الشرف وعلى الاعتزاز باهلها وكانت تحافظ على بيتها حقيقة هي ملكة بيتها اميرة بيتها، لم يكن للمرأة دورا رياديا ولكنها كانت مع زوجها يعنـــي الفلاحـــة كانت تشارك زوجها اثناء الحصاد كانت تغمر وكانت تحتطب يعني بتروح تحطب، كانت تؤدي دورها عند النـــاس مثلا إلي عندهم اغنام وابقار تخدم الاغنام تخدم الابقار تعمل الالبان يعني كان في خبرة في تصنيع الالبان ويعنـــي كل هذا كان من دور المرأة ولم يكن للرجل دورا فيه، هو كان يرعى اغنامه ويحافظ عليها ولكن دور المرأة فـــي تصنيع الالبان للاستهلاك البيتي او للتسويق فيما بعد إلي بقوم في الرجل.

المرأة الجبرينية ورثت التقدير والاحترام يعني من الآباء والاجداد بحيث انه كان ينظر للمرأة على انها شـــيء مهم ومقدس ولذلك تصان في عرضها، في اخلاقها، في تكريمها، في الاهتمام فيها يعني كان لها دور محترم وهذا كل أهل بيت جبرين بشتركوا فيه. المرأة الجبرينية محترمة بشكل عام وهذا شيء موروث وهي لا تمـــس ولهـــا تقدير ولها مكانة.

ما اذكره بالمعاش وانا كنت طفل صغير ولكن ذاكرتي جيدة في هذا الموضوع، بيت جبرين فيها مركـــز بنـــاه الانجليز مثل مركز الخليل إلي تهدم ومركز بيت لحم فكان فيها مركز بحكم انها موقع هام بالنسبة للقرى المحيطة بها ، دخلت القوات المصرية إلى بيت جبرين فكان فيها وحدة من القوات المصرية المجاهدة ودربت عدد من ابناء بيت جبرين وهم عبارة عن متطوعين من كل الحمايل في بيت جبرين والي كان يستطيع منهم انه يشتري بندقيـــة اشترى بندقية او كان مجموعة من الناس تشترك في شراء او الحصول على بندقيـــة وكـــانوا رديـــف للقـــوات المصرية المجاهدة وشاركوا في كثير من المعارك إلي حصلت حول بيت جبرين او في منطقة بيت جبـــرين مثـــل معركة كفار عصيون او معركة بوايك عطا الله وكثير من المعارك وكانوا يخرجوا من بيت جبرين ويشتركوا فـــي المعارك .

بيت جبرين تعرضت إلى هجمات ما زلت اذكرها وهوجمت بيت جبرين كثير من القوات الصـــهيونية وكـــان الجيش المصري يستبسل في الدفاع عن بيت جبرين إلي كان يتمركز في المركز وكان ابناء القرية لهـــم مواقـــع حول البلدة وكانوا يشاركوا في الدفاع عن البلدة، وتعرضت بيت جبرين إلى هجوم من الطيـــران حيـــث ضـــربت بالطيران عدة مرات بقذائف ضخمة الكيزان بسموه وحتى ان عيزر وايزمان اعترف وذكر في لقاءات فيما بعد انه كان يشارك في قصف بيت جبرين واخليت القرية وسكن الناس حولها في ملاجئ لأنه في ببيت جبـــرين كهـــوف وطيران وسكنوا فيها وكان القصف في البلد، وانا في إلي عم رحمة الله عليه استشهد في غزة ابـــن عـــم ابـــوي بالضبط لا زلت اذكره قصف الطيران بيتهم وحرق جسمه وما زلت اذكر وكان متأثر كثيرا وعند ما خرجنا وصـــل إلى غزة وقاتل مع الجيش المصري في غزة واستشهد في غزة يعني كانت هناك هجمات وبعدين اشتدت الهجمات على بيت جبرين اكثر من اللازم بحيث انه كان المقاتلين من ابناء البلدة استبسلوا مع الجيش المصري في الدفاع

عن بيت جبرين ولكن جاء دور السياسة انه انسحبت القوات المصرية وبقي ابناء بيت جبرين ولم يكن بوسعهم صد اليهود لأنه كان حجم الهجوم والقوات الاسرائيلية اكبر بكثير اضعاف اضعاف عددا وعدة من المجاهدين.

الجيش الاردني كان له دور بيسيط في بيت جبرين وفقط جاء فترة قصيرة وبعدين كانت كما تعرف بيت جبرين لم يكن لها ولاء للنظام الاردني في ذلك الوقت لان النظام الاردني كان نظاما انجليزيا يتحكم فيه غلوب باشا ولذلك لم يكن هناك ولاء للاردن، والاردن كان مخطط لها دور معين ولذلك لم يكن الدور الكبير ولكن الجيش المصري هو الذي تولى الدفاع عن بيت جبرين وكان له حقيقة موقف مكافح ومجاهد وتعرض إلى درجة انه وصل الهجوم على الجيش المصري انه هدموا جزء من المقاطعة وهم يقاتلون في الاسرائيليين ومعهم ابناء البلد وكان العون من ابناء البلد بحيث انهم ساندوا القوات المصرية.

ليست الامور كما يروي الناس البسطاء طبعا هي القوات الاردنية كانت قوات صغيرة جدا ولا تستطيع ان تعطي حماية للبلد ولذلك لم يكن عبد الرحمن العزة وهو رجل زعيم ورجل قائد ليس من السذاجة ان يدوس على علم عربي وهذه رواية فلاحين بسطاء لكن كانت القوات الاردنية طرف مثلها مثل القوات المصرية انها تتواجد وتعطي دعم لبيت جبرين ولم تقصر واخوانا لهم اعتبارات معينة لان قواتهم محدودة وتسليحها محدود على غير القوات المصرية التي كان يتولاها مجموعة من الضباط الاحرار والي منهم جمال عبد الناصر إلي كان في الفالوجة ومعاه من الضباط الاحرار وكانوا معنيين بالقتال وحماية فلسطين فلم تكن الامور كما تروى بعض الروايات الساذجة، عبد الرحمن طلب من القوات المصرية وعين حاكما عسكريا من القوات المصرية وكان همه حماية البلد ولذلك بدو أي قوة تستطيع انها تحمي البلد.

حقيقة بيت جبرين لم تكن من القرى التي خرجت دون قتال حتى عندما لجأ أهل بيت جبرين إلى الكهوف المحيطة كانوا المقاتلين الذين عددهم محدود بحكم بنادقهم المحدودة وذخيرتهم المحدودة كانوا في بيت جبرين وكانوا يقاتلوا وبيت جبرين اخذت عنوة والدعاية الصهيونية طبعا الها تأثير نفسي على الناس فالحرب النفسية لا شك كان الها دور. الخروج كان في شهر عشرة والحقيقة لا اذكر الشهر وطلعوا على مراح خرجوا أول اشي حوالين البلد ولما اشتدت المعارك والقصف كانوا بدهم يحموا أنفسهم وحلالهم.اذكر انه استشهد ابن الحاج علي خليل الحموز مش في معركة في بيت جبرين أهل بيت جبرين لم يكن يشاركوا فقط في الدفاع عن بيت جبرين فكانوا يشاركوا في كل القرى أو المعارك إلي بتصير في المحيط وما زلت اذكر جنازته وهناك واحد اسمه عبد اللطيف أبو نبهان كانت جنازته في بيت جبرين هذه ذكريات طفل صغير.

احنا خرجنا كلنا مشيا على الاقدام وما زلت اذكر انه عندما خرجنا في الليل كانت الاشواك يعني ما زلت اذكر الاشواك في ارجلي وخرجنا في مرحلتين، مرحلة اولى كان في احد الكهوف المحيطة في بيت جبرين واقمنا فيه فترة ثم بعدها خرجنا على الخليل، احنا عالخليل في ناس اقاموا في بير السفلى في ناس في ترقوميا في اذنا في ناس في المنطق المحيطة، احنا رحنا عالخليل. ما زلت اذكر عندما تحركنا ليلا كانت الاشواك فكان الشوك في ارجلنا وكان عمري حوالي سبع سنوات. احنا في الخليل اقمنا وكنا مجموعة من الاقارب اقمنا في راس الجورة في الخليل ولكن مناخ الخليل بارد جدا جاء الشتاء وجاء الثلج وكنا نفتقر لكل شيء إلى الغذاء والى الدفء لذلك انتقلنا إلى اريحا وعندما سكنا في اريحا كان جوها اكثر دفئا حتى اذا طلع الصيف مرة اخرى كان العذاب حينما كنا نسكن في بيوت من الخيش ولم يكن قد تبلور مخيمات في ذلك الوقت المخيمات تكونت فيما بعد، عندما طلع الصيف كانت جهنم فلم نستطع الاقامة، لا بيوت تحمي في الصيف وكانت اريحا في ذلك الوقت غير مأهولة فكان فيها الكثير من الحشرات ولذلك رجعنا إلى بيت لحم واقمنا في نفس البيوت او الخرابيش حتى جاء الصليب الاحمر واقام لنا مخيما تجمع فيه عدد من اهالي بيت جبرين واقمنا المخيم وامضينا في الخيام حوالي ثلاث

سنوات وكنا نذوق الامرين في الشتاء وانا حقيقة بدي اقلك حاجة اهالي بيت لحم اناس كرام وطيبين ووطنيين كانوا يشفقوا على الناس اللاجئين إلي سكنوا بين ظهرانيهم وكانوا يتعاملوا معنا بكل لطف واخلاق عالية وكانوا اهالي بيت لحم قمة في اخلاقهم وفي وطنيتهم وقمة في ذوقهم بالتعامل معنا كانوا يحسون معنا ولذلك تعاملوا معنا على قدم المساواة وتعاملوا معنا في عطف شديد وطرحوا كل امكاناتهم لنا شاركناهم في كل شيء في زيتونهم في عنبهم في تينهم شاركناهم في مدارسهم تعاملوا معنا ونحن مشردين باخلاق عالية وكانوا فلسطينيين حقيقيين.

انا لم انقل هذا فقط لاولادي ولابنائي، انا علمت في الجزيرة العربية في السعودية ونقلت القضية الفلسطينية حتى للاطفال العرب هناك ومن المؤكد انه كثير منهم ألان يتعاطفون مع القضية الفلسطينية، انا بدي اقلك قصة حصلت معي لأؤكد لك بان ما رويته كان محفورا بالذاكرة منذ طفولتي، انا كنت في خارج فلسطين وعدت مع السلطة الفلسطينية وعندما عدت هنا طلبت في اليوم الثاني ان اذهب إلى بيت جبرين وخرج معي اثنين من اقاربي وهم اكبر سنا مني ويعرفون اكثر مني انا كنت طفل هم كانوا شباب لما طلعنا من بيت جبرين لم اعرف الطريق لكن عندما وصلنا إلى بيت جبرين ومدخل بيت جبرين او ما يسمى بالقوس بجانب مقبرة البلد قالوا هذا القوس هي بيت جبرين وكانوا يريدوا ان يشرحولي عن بيت جبرين قلت لهم لا تتحدثوا، هناك بيتنا وهناك بيت عمي احمد وهناك بيت الحاج عطايا وهناك الصحية وهنالك المسجد وهنالك المركز كل ما يذكر الطفل من معالم تعيش فيها، عدت إلى بيت جبرين إلى السن الذي خرجت فيه منها وتعجب اولاد عمي من ذكائي وفطنتي حتى اختلفنا على موقع معين فاصريت عليه وتذكروا انه انا على حق رجعوا مبهورين من ذكائي قلتلهم ليس ذكاءً انها بيت جبرين المحفورة في الذاكرة، كل موقع رأيته محفور في الذاكرة، المشاعر لا يستطيع ان يعبر عنها الانسان، بيت جبرين لها نكهتها وعندما أذكرها فانني اعرف ان الامر صعب، يعني هي جراح قلب.

انا ما اعتز به هو ان ابنائي والحمد لله منتمين والانتماء إلى فلسطين يفتح الافق امام الطفل يعني انا ابنائي يرتبطون بفلسطين ويرتبطون ببيت جبرين ويعتزون ببيت جبرين، والحمد لله انني اعتبر نفسي ناجح في انني نقلت لابنائي بالطرق العدة وبكل الوسائل وليس بالتلقين وإنما بالممارسة ايضا نقلت لابنائي انتمائي الوطني دون ان اجبرهم على نهج معين. الرواية مهمة خاصة من الكبار عندما يتحدثوا بها لابنائهم من اجل ان تبقى هذه الذكرى، وانا بالنسبة إلي يقولون ان هنالك حق العودة الحقيقة انا لا اؤمن بحق العودة انا اؤمن بتحرير فلسطين لذلك سيأتي جيل ويأتي قوم منا من اصلابنا وسيكونون اقوى منا وسيحررون فلسطين، اما بالنسبة لحل قضية اللاجئين فليس لها أي حل سوى ان يكون كل فلسطيني في قريته وفي بلده، أي حلول هي حلول مؤقتة ليست المشكلة صراع بين حكام المشكلة والخلاف بين الشعوب هذا استعمار يريد ان يقيم على انقاضنا وينهينا فالخلاف بين الشعب العربي المضطهد المعتدى على ارضه وبين شعب آخر.

مقابلة رقم (7):

الحاج طلب عبد الهادي غطاشة، 54 سنة

انا على ضوء ما سمعت بدي اتكلم وليس على ضوء ما شاهدت فهذا الفارق بين المسموعات وبين المشاهدة فأنا الي سمعته كالتالي بالنسبة للحياة الاجتماعية في بيت جبرين لا تختلف كثيرا عن بقية القرى والمناطق الريفية الموجودة في فلسطين بشكل عام انما الحياة الاجتماعية كانت الها مزايا بنقدر نفصلها ضمن اشياء يعني اساسية، الان كانت البلد مقسمة اراضيها على مجموعة العائلات التي تسكن البلد، ولذلك كانت تتواجد كل عائلة

في ارض منفصلة عن الارض الثانية ويجمعهم محيط او هيكل البلد الاساسية، فمثلا بيت جبرين تتكون اساسا من اربع عشائر كبيرة الي هي طبعا الشوابكة زائد العزة زائد الدعاجنة زائد الغبارية، هذه طبعا الاربع عشائر وهــذه طبعا لها فروع ولها افخاد معينة انما لا تزيد البلد عن العشائر الاربعة، فكل عشيرة الها قسمة من الارض قسمت من الاول يعني من البداية بالتساوي انما حصل فيما بعد بعد تكوينة البلد حصل ظاهرة الفقر والغنى فما في شــك خاصة يمكن الي استمعتلو بالضبط في فترة التجنيد الاتراك للمواطنين العرب قبل الحرب العالمية الاولى حصــلت مجاعات شديدة مما اضر بعض العائلات للتخلي عن اراضيها مقابل الغذاء فقط وليس مقابــل التــرف او مقابــل التوسع الاقتصادي او لامر فكان يعني الرجل يعني يقدم على بيع مساحة كبيرة جدا من الارض مقابل زي ما تقول قوت ايام ولذلك في النهاية ظهر ما يعرف كفلسطين ككل بنظام اقطاع يعني استولى بعض الاشــخاص المتنفــذين على اراضي واسعة جدا وكان مقياس الغنى هي ملكية الارض بالدرجة الاولى ومن ثم ملكية المواشــي، هــذول عنصرين تحكم كل ارياف فلسطين فالارض اولا يعني قيمة الشخص تنبع بمقدار ما يملك من ارض ومن ثم قيمــة المواشي، يعني هذا في كل الاماكن وبيت جبرين زيها زي، الا انه بيت جبرين تتميز انه عدد سكان قليــل لغايــة سنة 1948 لما خرجوا الناس من البلاد الاربع عشائر بالاضافة لبعض الناس الذين لا ينتمون إلــي هــم أغــراب يعني سكنوا في فترة فيما بعد يعني فكانت مساحة الارض تزيد عن أل 70 ألف دونم وهي من الأراضي القليلة في فلسطين إلي هي طوبت على زمن الأتراك، مقابل عدد سكان إلي خرجوا من بيت جبرين ما كان يزيد عــن 2500 فرد، إنما الملكية لو وزعت على هذول الأفراد لكانت كافية، وإنما كانت هي تختصر في مجموعة مــش عــائلات مجموعة أشخاص ينتمون إلى عائلات، شغلة العادات الاجتماعية انا بتصور انه في فوارق كبيرة يعني ما كان في نظام الإيجار مقابل نقد خاصة بالنسبة لمواسم الحصاد فكان كل ناس يعني جيران في الأرض يفزعوا لغايــة مــا ينهوا، يعني مثلا هذي العائلة تنهي الحصاد ومن ثم تنتقل إلى الأرض الثانية وهكذا حتى انه يتم، إنما كنت اسمع انا حاجة مهمة جدا وبسيطة ولها مدلول من الختيارية بالأول بأنه كان الفقير في بيت جبرين وضعه أحسن بكثير جدا من الغني، فطبعا لما تقال هذه العبارة تلفت الانتباه، فكيف؟ فقالوا بأنه الفقير الذي لا يملك أرضا أو لا يملــك مواشي فكان في التفات وهؤلاء الفقراء محددين ومعروفين فكل شخص من عائلة يعرف بأنه فلان هذا لا يملــك ففلان يأتي له مثلا بالزبدة فلان يجيبلو حليب فلان يجيبلو لبن وبذلك مجموعة الاشــخاص الان يكــون موجــود عندهم بالاضافة للقمح للشعير للذرة يعني التكافل الاجتماعي البسيط بدون العمق الــديني كــان موجــود طبعــا بالاضافة للمهن الي كانت موجودة الي هي طبعا الكتاتيب في البداية ومن ثم ظهرت مدرسة الي هي وصلت لغاية الصف الرابع الابتدائي او تجاوزت الى السادس، انا لا اذكر اطلاقا انما كل ما ارويه هو من السماع الموثق لغاية السادس الابتدائي دون ان يكون هناك تعليم للفتيات وكان التعليم خاص بالذكور الا انه في الفترة الاخيرة من بيت جبرين وقبل التهجير ظهر في تعليم للبنات ولو بشكل محدود وكان يقتصر على بعض بنات مثلا الاسر الــي فــي عندها نواحي تحضر اكثر من المقياس الموجود حاليا فكان من العيب انه يذهب بنته الى المدرســة مــن ضــمن الاعراف الي موجودة في فلسطين ككل فسمعت انه بنات تعلمن لفترة بسيطة على نظام الكتاتيب وليس المــدارس الرسمية، فش مدارس رسمية (للبنات) وانما هي مدرسة للذكور فقط وهي من اقدم المدارس التي اسست تقريبــا في نفس اللحظة الي هي اسست فيها مدرسة دورا وكانت مدرسة زراعية (مدرسة دورا) معروضة على أهل بيت جبرين فاختلفوا بالنسبة لدفع الضرائب ونقلت المدرسة من بيت جبرين إلى دورا كون الموقع الجغرافي بالنســبة إلى بيت جبرين يعني أولا سعة الأرض ثانيا الموقع الجغرافي إلي هي الربط قريب جدا من غزة قريب جــدا مــن الخليل قريب جدا من القدس قريب جدا من الرملة ولذلك هؤلاء الناس إلى حد ما بالإضافة إلــى وجــود بعــض عائلات أو أشخاص متنفذين من أهل البلد مثل عبد الرحمن العزة طبعا هذا الرجل كان له صلات بالنظــام القــائم

يعني مين الدولة إلي كانت تحكم في حينه طبعا بريطانيا فكان الرجل يعني باعتبار أي دولة ترضى عـن إنسـان تستطيع أن توصله إلى ما يشاء فكان هذا له تأثير كبير ينعكس على البلد ككل ومن ثم علـى الشـخص وعلـى عائلته.

الي سمعته بالنسبة للافراح انه كان مثلا الشخص يعني العلاقات الاجتماعية القائمة بين اهل بيت جبرين علاقات اجتماعية منضبطة وممتازة ومفش فيها أي اشكالات كانت تحصل بين اهل البلد، فالتصاهر بين العائلات قائم فـي مصاهرة وفي روابط بين جميع العائلات الي قائمة في البلد والي بعرفه كمان يعني حاجة تلفت الانتباه انه كان لا يمنع المصاهرة الفوارق الاجتماعية او الطبقية سواء بالنسبة للانتماء العائلي او الانتماء المادي هذه تجاوزوهـا وهذا امر غريب يعني بلفت الانتباه، وطبعا بالنسبة للافراح كانت المرأة يعرف لها من المهر الذي يقـدم للمـرأة الصندوق، الصندوق طبعا هو الصندوق القديم الذي تحتفظ فيه كل امهاتنا وجداتنا وكان عبارة عن كساء بسـيط جدا وكانوا في بيت جبرين بالتحديد يأتوا به من الفالوجة او سوق الفالوجة، كان هذا السوق باعتبار المحج لكـل ارياف منطقة الخليل والمناطق الغربية لحتى ما تصل الفالوجة، هذا بالاضافة للتزين الي كان من الفضة في اكثره وقليل من الذهب والذهب خاصة الي كان يوضع على الراس كانت تستعمله يعني كان الفارق بين التجمل والتزين و صناعة الذهب الان في فوارق.

الزواج في داخل البلد او بين الاقارب انا ما سمعت انه مكلف الا اذا يعني اراد شخص ان يصاهر ناس يعنـي للوصول لناحية اجتماعية معينة بدناش نخوض في الأسماء أو للتميز في الجمال أو حاجة من هذا القبيـل فكـان يعني بعض حالات يحددوها بالاسم انه والله هذه فلانة من الناس كلف زواجها ما يعادل عشرة أو عشرين، إنمـا إلي سمعته حتى الخروج من بيت جبرين انه لم يكن يزيد المهر عن خمسين جنيه فلسطيني تقريبـا، أمـا كلفـة الزواج الثانية إلي كان مهم جدا ولا يزال موجود وموروث إلي هو طعام القراء الغدا يعني، فكان قسم يذبح ثلاثين ذبيحة يذبح عشرين يذبح كذا، يعني هذا كان موجود، هذا جانب بالنسبة للزواج بالإضافة إلى مـا كـان يعـرف بإحياء الزواج لعدة أيام السامر طبعا في حين انه ما كان في البلد كهرباء ولا وسائل المواصـلات بسـيطة مثـل الباصات إلي كانت تتردد من الخليل لبيت جبرين بمعدل مرة في اليوم باصات قديمة جدا موجود لا يـزال آثارهـا لحتى الآن في البلد وحاجة من هذا القبيل على هوا ما سمعت طبعا انه قد يستمر اسبوع يعني الافراح تقام لمـدة اسبوع تقريبا قبل ان يتم الزواج ويعني ما اجد أي خلاف كبير بين العادات الي كانت موجودة وبينهـا وبـين أي قرية ثانية هذا هو موسم الزواج الاساسي او العادة الاساسية القائمة، اما ما تبقى من الافراح فما في اشي كثيـر لانه مفش مثلا تخرج من الجامعات ومفش تخرج مثلا طلبة توجيهي، مثلا عادة الطهور كانت تتم ببسـاطة دون مثلا ظهور افراح مثل الي حاصل الان او بحصل مثلا في مناطق ثانية.

وفي الأعياد وخاصة الأعياد إلي حدثونا عنها مثل عيد الأضحى وعيد رمضان وهي أعياد أساسية، مثلا عيـد الفطر كان يقتصر على الذهاب للقبور لزيارة الأموات وطبعا كان ما يعرف بخبز إلي محطوط عليـه زيـت إلـي بسموه الخمارات، فهذا كانت النساء تذهب إلى القبور وتقوم بتوزيع هذا الشيء على الناس إلي متواجدين علـى المقبرة، وزى ما قلنا ما كانت الفوارق الاجتماعية كبيرة بين المواطنين ولا كانت تظهر الفوارق الاجتماعية لأنـه البناء متشابك وإذا تميز يتميز في المنطقة كلها أو في البلد كلها بيت أو بيتين وما تبقى من الناس يكونوا كلهـم متساويين في السكن ومتساويين في المعيشة ألان الفوارق تظهر في ملكية الأرض وملكية كذا ولا تـنعكس فـي المظاهر وإنما تنعكس في الوضع الاجتماعي القائم في الحارات أو في الأهمية إلي طبعا كل الناس يحسبوا حساب لبعضهم وليس بواقع معين كعمارات أو سيارات أو حاجة من هذا القبيل وهذا مهم جدا لأنها كانت فـي النفـوس أكثر منها في المظهر يعني إلي ظاهر أمام الناس، طبعا ببجي عيد الأضحى طبعا هذا كان عيد للأضاحي بالإضافة

إلى انه في كانت حاجة مهمة كبقية القرى لا تتميز إلي هي ما يعرف بالحارات وفي ناس بسموها الجوامع الــذي يجمع المكان وفي ناس بسموها الحارة، كانت كل عائلة في عندها حارة وهذا مكان لتجمع الأسرة نفسها رجالاتها يعني رجال الأسرة ومن ثم مكان يقصده الغريب الذي يأتي لأي أمر كان فطبعا يقام له فيه الغداء والإقامة والمنام وكل شيء وهذا معروف في كل حارات بيت جبرين بدون استثناء زيها زى بقية القرى ولذلك كــان أي شــخص غريب يأتي للمكان لا يتغلب إطلاقا لا في طعام ولا في شراب ولا في أي شيء كان، ألان بالنسبة للأمــوات كــان الأموات قلة لأنه العدد قليل وبذلك بدو يكون سواء الأحياء أو الأموات قليلين فكان لما يموت شخص كانوا الناس إذا خارجين مثلا للحصاد أو لغير ذلك كانوا يتركوا كل شيء من أيديهم وكانوا يرجعوا للبلــد وكــانوا يتضــامنوا جميع العائلات مجتمعين لدفن هذا الميت ومن ثم الحداد وإقامة العزاء الو، وكان يوزع على حسب الأهمية علــى حسب أهمية الشخص الميت فانا سمعت عن أشخاص داخل البلد وخارجها استمر العزاء أربعين يوم بمعنى إنهــم عزموا مثلا يعني أربعين مرة يعني يقام لهم المناسبة يعني اليوم في البلد الفلاني اليوم عند العائلة الفلانية إنمــا حتى لو كان إنسان بسيط جدا ولا شيء له أيضا له قيمته واهم حاجة بياض الوجه أن تعمل يعني طعامــا لأهــل الميت فقد جاء ما يشغله، هي عادة اجتماعية لها اصل ديني، فكان يعمل الغداء الرئيسي من قبل أسرة معينة تقوم باسرة ثانية ومن ثم يتوالى الناس في اخراج الطعام لهذه الأسرة لعدة ايام متوالية وطبعا يتظــافروا اهــل البلــد بالكامل سواء نساء في مقعد النساء او الرجال إلي هم في الحارات او المكان إلي توفي فيه وكان طبعا في مقبرة واحدة، انا إلي سمعته انه حتى لو كان في فلان من عائلة وكان في أسرة تجاورها او في داخل البلد والبلد كلهــا لها سطح بسيط تستطيع ان تتنقل من فوق البيوت لمسافة طويلة جدا، بين جميع الناس كان اذا اراد ان يزوج ولد او بنت كان يلغي الزواج لفترة طويلة جدا قد تمتد شهور وإذا سألته ليش مثلا ما تتمم الزواج بقلك لانــه مــات فلان، كيف احنا بدنا نجوز وفلان ميت وكان هذا دليل على التكافل ودليل على الصلات الاجتماعية القوية، وفــي اللحظة إلى هو طبعا بدو يزوج الولد او البنت حان الاوان يذهب إلى اهل ويستأذن منهم بالرغم من ان الميت لــه فترة معينة، اما اذا كان الامر بدو يحصل في فترة قريبة فكان يلغيه.

في رمضان أيضا وهو من المواسم المهمة جدا كان من ضمن الأشياء إلي يحيوها أن جميع الرجال يفطــرون في مكان واحد إلي هو طبعا الحارة والنساء طبعا في البيوت وكل شخص إما هو بنفسه يحمل طعامه أو أن يــأتي ابنه أو واحد من أهل بيته ويذهب وما كانوا يتخلفوا عن ذلك اطلاقا، والتخلف عن الحارة أمر عظيم جــدا لأنــه يترتب عليه واجبات اتجاه الأسرة واتجاه الأسر الثانية الموجودة، اما بالنسبة للرأي فهــو لأشــخاص محــددين ومعروفين وهم أصحاب الأملاك من جهة ولهم القدرة على فهم واستيعاب وكثرة عدد الرجال وهذه مهمــة جــدا وطبعا العرب حتى للنهاية يمكن يواجهوا رب العالمين وهم بنفس المقومات، فانا مش واجد في الحياة الاجتماعية انه في اختلاف كبير حتى لو تغيرت المظاهر انه في اختلاف بين الماضي وبين الحاضر إلا بالشكل يعني.

علمت انهم بروحوا على روبين وهو في جهة يبنة او الرملة وهذا موسم من المواسم إلي انا بعرفش تاريخه بالتحديد وموسم النبي موسى واعتقد ايضا في نيسان كانوا يروحوا وبعض ناس كانوا يشاركوا في هذه المواســم التي كانت تقام في فلسطين ويشارك فيها كل اهل فلسطين، بالإضافة إلى انه في مظهر معين التغى مــن الــذاكرة إلي هو وجود بعض من الحركات الاسلامية الصوفية الي هي اقامة الموالد والدروشة وشغلات من هــذا النــوع، كان في بيت جبرين بعض العائلات وبعض المقامات المهمة جدا خاصة مقام تميم الداري وهــو صــحابي جليــل بالإضافة إلى بعض المقامات الثانية إلي قد لا يكون له وجود أصلا، مثل النبي جبرين مثلا أو حاجــة مــن هــذا النوع.

بيت جبرين كمزروعات شجرية بسيطة جدا بدات في اللحظة الاخيرة قبل الخروج من البلاد في بيـــارة مثـــل بيارة يونس عبد الفتاح العزة فيها برتقال وفيها ليمون، اما بالنسبة للموسم الرئيسي او الزراعة الرئيســـة فهـــي المحصولات مثل القمح والشعير والذرة، جميع البلد لا تزرع وقليل جدا حول البلد بعض البساتين البسيطة فيهـــا مشمش وزيتون رومي موجود بكثرة ومقسم بين العائلات في مناطق محددة ومعروفة زيتون اصلا مزروع وهـــو رومي، اما لو اجينا لزراعة الشجر هذه ما مشت فيها اطلاقا الا قبل الخروج بدؤوا الناس انهم يستخرجوا الميـــاه من الارض ومن ثم يعمروا عليها بعض الزراعات وبعض الخضار يعني اشجار وايضا الخضـــار المرويـــة، كـــل اعتمادهم كان على هذا الشيء لأنه يصلح للبشر بالإضافة للثروة الحيوانية الكبيرة جدا إلي هي الابقار والمواشي الموجودة داخل البلد.

أما تسمية بيت جبرين في أصلها هي بيت الجبارين طبعا سكانها الأصليين من العمالقة والعمالقـــة جـــزء مـــن الكنعانيين والعمالقة أصلا سكنوا على الساحل الفلسطيني جنوب غرب فلسطين منطقة عسقلان كما ورد في قـــول الله سبحانه وتعالى فهي بيت الجبارين ومن ثم حرفت حتى أصبحت بيت جبرين بالنون وليس باللام وما في رأي آخر، أما سكانها الأصليين هم العماليق وكلما تعمقت في التاريخ كانت شهرتها كبيرة جدا. ففي العهـــد الرومـــاني كانت هي عاصمة لمقاطعة من مقاطعات فلسطين، وإذا إحنا استعرضنا هذا التاريخ بنلاحظ انه من دير البلح غربا حتى بني نعيم شرقا كانت تتبع إلى بيت جبرين تبعية مطلقة وهي رأس المحافظـــة أو رأس المقاطعـــة، وخفـــت أهميتها في عهد المماليك.

أنا ما سمعت عن النساء أما سمعت عن مشاركة الرجال سواء في المواسم الدينية إلي فيها بظهر هذه الرايـــات المعينة للصوفيين، هذه كانت في موسم النبي موسى فكانت هذه ترافق، ليش ذكرنا الصوفيين وبعـــض حركـــات الدراويش كانت ترافق وتنتقل من بلد لبلد وفي المواسم انا ما سمعت عن مشاركة النساء إطلاقا. قد يكون في بلد آخر حول الناس القريبين للبحر أما في بيت جبرين لم تذهب أي امرأة عبر التاريخ الطويل إلى تلك المنطقة.

دور المرأة في البلد واضح كما دور الفلاحة الآن لا تختلف إطلاقا بالنسبة للحشيش بالنسبة للحلب بالنســـبة للطعام وإعداد الطعام للحراثين وإعداد الطعام لأهل البيت ولا أي حاجة هناك اختلاف، في الرأي في القـــرار مـــا سمعت أن للمرأة أي نوع من القرار إطلاقا حتى في التزويج حتى في أي أمر من الأمور ما كان للمـــرأة أي دور ولو بسيط إلا عند بعض من ذوي الدين وهذا قد يكون حاجة بسيطة ولا تذكر إطلاقا كقاعدة انه قد يرجع إلى بنته يستشيرها في زواج فلان أو علان وهذا ما ندر، إنما كانت تزوج البنت برغبة والدها وقد تطلق برغبـــة والـــدها أيضا أو إخوتها، أما للمرأة قرار ما كان إلها قرار.

في فرق بين المختار ورئيس العشيرة أو شيخ العشيرة، المختار هو الشخص الموظف من قبل السلطة القائمة وهو تبعيته للحكومة وله أهمية تنبع من خلال المواليد، من خلال الوفيات، من خلال الوصول إلى رجـــال الحكـــم القائمين، أما شيخ العشيرة فأهميته تختلف عن المختار بأنه هذا أهميته تنبع من داخل العشـــيرة نفســـها ســـواء بالرأي أو بالرجال أو بالأهمية فيعني على سبيل المثال لو قلنا اللهم صلي على سيدنا محمد عبـــد الـــرحمن عبـــد اللطيف العزة يعتبر شيخ بيت جبرين ككل واحد شيوخ جبل الخليل ومن رجالات فلسطين كان يعتبر نفسه انه مـــن الرجالات التي كانت تعد في حين انه لم يكن مختار، هو شيخ عشيرة وهذا شيخ العشيرة لمع بشـــكل اكبـــر مـــن العشيرة نفسها نتيجة لارتباطات معينة أو لغنى أو لكثرة..لا نريد أن نخوض في مواضيع لأننا لا نعلم يعني علـــى هوا ما سمعنا، ومن ثم يتدرج شيوخ العائلات أو العشائر والبطون والافخاد، والشيوخ أعلى سلطة مـــن المختـــار لأنه هظاك ارتباطه بس مع الحكم وكلمت الشيخ مسموعة أكثر وكان الشخص يعني من بساطة النـــاس انـــه إذا وصل بيت شيخ أو تقرب إلى شيخ كأنه حصل على شيء كبير جدا، ولذلك قد يتصرف الشيخ وهذا مهم جدا قـــد

يتصرف خطأ دون أن يجد من يقول له بان هذا يجوز وهذا لا يجوز ، كان (الشيخ) ظهور فردي نتيجة مقومات معينة تمكنه من الظهور اهمها كثرة أعداد الإخوة قد يكون الو، النبوغ الفكري مثلا ، بالإضافة إلى الأهم من كل شيء الملكية ، الملكية ما في شك الكثرة المال بالإضافة إلى الذكاء عامل السن ما كان مهم ، قد يكون شيخ في العائلة ومشهور ومرجعية وقد لا يكون كبيرا في السن إنما لا يمنع من انه قد يكون كبير السن يستشار في كثير من الأحيان .

بالنسبة لأهل بيت جبرين ووجود الاحتلال الإسرائيلي بعتقد انه أعلنت دولة إسرائيل على ارض فلسطين في 1948/5/14، لغاية هذا التاريخ كانوا أهل بيت جبرين متواجدين فيها فلم يخرجوا أطلاقا وبقوا موجودين في بيت جبرين وكان في قوات مصرية موجودة في البلد بالإضافة للثوار إلي كان لهم فترة طويلة جدا إنما هم ألان أصبحوا ثوار رسميين ضمن قيادة الجيش المصري فبقوا هؤلاء حاملين السلاح ويقاومون لأنه كان قبل يصير عند اليهود في مناطق معينة بمعنى انه اليهود انه يجووا اليهود يهاجموا إحدى القرى الغربية، لنقل مثلا عراق المنشية أو عجور أو كذا فكانت الفزعات يعلم الناس انه حصل على دورا هجوم فكانوا يخرجوا هؤلاء الثوار يحملون السلاح وكانوا هم إلي يشتروا سلاحهم بأنفسهم يعني العشيرة أو الناس الأسرة نفسها تقوم بشراء السلاح فكانوا هم يتواجدوا في كل مكان لصد العدوان إلي موجود وهذول مخلطين فكان من بيت جبرين ضمن الناس إلي موجودين من الآخرين فكنت اسمع بقيادة عبد الحليم الجيلاني توفى من جديد الله يرحمه إلي هو أبو زيدان، قبل أل 48 كان عدد كبير جدا من الشباب، طبعا جميع اسر بيت جبرين دون استثناء تيجي تعين بدنا منكم أربعة أو خمسة أو ستة أو عشرة هؤلاء تحضرونا قطع السلاح منكم من العائلة نفسها بالإضافة للاشخاص الذين يحملون السلاح فكانوا هؤلاء متواجدين باستمرار وما علمته انهم ظلوا يقاوموا الاسرائيليين لدرجة انا سمعت من شخص من بلدنا مات الله يرحمه قال انه الدول العربية عامة تعرضت للاعتداء الاسرائيلي سنة ال 67 فلم تصمد الا أيام ولكن احنا كأهل بيت جبرين بعد ما تأسست دولة اسرائيل من 5/14 لغاية 15 /10 يعني ما يعادل خمس شهور ونحن تقريبا لوحدنا موجودين واستمرينا نحمل السلاح ونقاوم لغاية آخر شيء وكل ما اقوله هو عبارة عن استماع انما احنا بنركز على الرواية الصادقة، استخدموا الطائرات والطائرات سلاح لم يعهدوه أهل بيت جبرين، اليهود ما استخدموا السلاح الخفيف، كان معهم (المقاومون) اسلحة خفيفة زى ما ذكرت عبارة عن مجموعة اشخاص من جميع العائلات وهؤلاء متطوعين تحت قيادة الجيش المصري لدرجة اني سمعت انه الطائرات كانوا يسموا القنبلة كيزان إلي يظربوها من قوة الكيزان انها تخلع الشجرة الزيتونة الرومية من الشروش فظلوا ولم يفكروا في الخروج وكانوا يذهبوا إلى المغاور الكهوف وعلى فكرة مهم جدا انه بيت جبرين هي بلد الكهوف فيها لا يقل عن 300 كهف وبعض الكهوف تستطيع ان تسع آلاف من الناس، فهذا دليل على انه القديمين إلي سكنوا في هذه البلد كانوا هم يسكتوا في داخل الكهوف وليس في البناء ففيها عدد كبير جدا وخاصة تل صندا حنة وهي كنيسة معروفة بيزنطية مشهورة والان حولتها اسرائيل إلى مزار قومي بالنسبة إلى بيت جبرين حولت ألان إلى منتزه قومي اسرائيلي، جزء كبير من البلد شيكت ولا يستطيع اليهودي ولا أي كان الدخول دون الحصول على تذكرة وهي سياحية نظرا لتعاقب التاريخ على هذا البلد.

إلي بعرفوا انه المقاومة زى ما قلتلك تماما ان كل اسرة يطلب منها اعداد فريق او عدد معين من الرجالات على هوا العدد طبعا ان كثير كثير وان قليل قليل ولذلك كان يشارك الجميع دون استثناء بالإضافة إلى السلاح ولم يسق ان أعطي السلاح الا شراء من أهل البلد، اما بالنسبة لدور الكبار او المسؤولين او شيوخ العشائر إلي بعرفوا انهم كانوا جنبا إلى جنب انا ما سمعت برواية الا لغرض شخصي للتقليل من أهمية فلان أما إلي سمعته ان حتى شيخ البلد او كبير البلد كان رجل ضمن القوات المصرية ويقاوم ويعمل كما يعملون هذا إلي استمعته ولك ان

تسأل من تشاء، لأنه ربنا بقول:"وما يلفظ من قول الا لديك رقيب عتيد " اما ان كان أمر آخر او حاجة معينة قد يصيب الإنسان او يخطئ في أمور مختلفة، ظلوا لشهر عشرة تقريبا لعند موسم الزيتون واستخدموا الاسرائيليين الطائرات وكانت بداية شهر رمضان كما سمعت من الروايات والان بدأوا الناس ينتقلون من مكان إلى مكان لدرجة عندما نووا الرحيل فكان عبد الرحمن عبد اللطيف اظن ذهب إلى الاردن واجتمع مع الامير عبد الله في ذلك الوقت وعاد كما الرواية الموثقة وعاد إلى بيت جبرين فقال انا راحل انا ألان راحل فلما عبد الرحمن نوى الرحيل ألان كل الناس خرجوا، اسأل من تشاء بقولوا لو بقي ذلك الرجل في بيت جبرين لأعطاهم دفعة للبقاء ولكن عندما قال انا بدي ارحل وصار يعزل في الأغراض أهل البلد قالوا إحنا إنشاء الله راحلين، ورحلوا على أمل أن يكون اللجوء مدته أيام قد لا يزيد عن أسبوع ولذلك كان الختيار الكبير في السن من العائلة عندما يريدوا أن يخرجوا القمح أو المواد التموينية كان يقول ليش يا جماعة انتم بطّلعوا في هذه الأشياء خلوها محلها إحنا بس فقط أيام على بين اليهود ما يبطلوا يرموا علينا من الطيارات وبنعاود نرجع، ما فكروا للحظة معينة بان يكون اللجوء بمثل هذا الأمر، ولذلك حتى عهد قريب جدا عرضت عليهم أراضي بأثمان بسيطة فرفضوا شرائها لأنه الأمل ما زال موجودا ولأنه العودة قائمة قائمة إن لم تكن اليوم ستكون في الغد.

سمعت عن شهداء، محمد علي الحموز هذا اسمعت عنه في وادي الصرار استشهد، سمعت عن إصابات حصلت، سلمان الحاج غطاشة أصيب الله يرحمه، وسمعت عن محمد المهدي أصيب في عينه، اعتقد انه ذاكرتي ما بتسعفني لأنه أكثر من هذا، أما نعم كان هناك بعض الشهداء والجرحى في أثناء المقاومة في مكان أو في آخر، أما فيما بعد بعد الخروج وبعد ما تركوا الممتلكات وبعد ما أصبح كل إنسان لاجئ لا يملك من متاع الدنيا شيئا سوى اللباس فكر بالعودة إلى بيت جبرين من اجل الحصول على بعض الأشياء إلي تقتات بها العائلة فمات عدد كبير جدا، ألان أصبح الموت هو في سبيل أن يذهب إلى بيت جبرين ويأتي ببعض الأشياء إلي بقيت فيها أسرته فلا يقل عن أربعين أو خمسين شخص ماتوا. وكانوا ينطلقوا من أماكن اللجوء فكان اول مكان للجوء بير السفلى ، بير السفلي اول مكان للجوء بالقرب من اذنا على مقربة من بيت جبرين وحتى لمّا وصلوا الفوار كانوا ينطلقوا فكان بلا شك الجيش الاردني يمنع خوفا على حياتهم فكانوا هؤلاء الناس يذهبوا مغامرة في سبيل الحصول على القوت وتوفي عدد كبير جدا سواء من وقعوا في الاسر او استشهدوا فمات من بلدنا اعداد كبيرة جدا لدرجة كبيرة فأنا إلي بذكره يمكن يزيد عن خمسين شخص من الشباب .

الخروج كان نتيجة ضغط عسكري بقلك كانوا يضربون لما استخدم معهم الطائرات كان هذا ليس لهم سابق عهد فيها، خروج شيخ البلد ممكن اثرت على معنوياتهم واللجوء إلى الاطراف، ألان هم بحاجة إلى قرار هم الختيارية بقولوا انه لمّا شفنا عبد الرحمن نوى الرحيل خلص قررنا الرحيل، بعرفش حينها الجيش المصري كان منسحب لم يبقى شيء انما المقاومين ظلوا موجودين لغاية ما انفردوا في الساحة فيهم نهائيا ولم يبقى سوى هؤلاء الناس، اما هل قرارهم نابع من نية عبد الرحمن بالرحيل لأنه وجد الامر ما في فايدة او لعدم قدرتهم على مقاومة عدوان كبير جدا ليس بطاقتهم انهم يقاوموه بكون هذا يعود ليس لشخص واحد لأنه ليس هناك قيادة معينة يأمر بالرحيل او يأمر بالبقاء وهو حقيقة الامر الرجل لم يطلب منهم ان يرحلوا، لكن لثقتهم الكاملة بذلك الرجل لأنه هو بدأ بنفسه اذا من الافضل لو هذا الرجل بعلم انه فيها فايدة كثير في البقاء وما في شك انه خطة الاسرائيليين الترحيل حتى لو بقوا انا متأكد انهم بهجروهم بطريقة او بأخرى.

المحطة الاولى لاهل بيت جبرين بير السفلى والمحطة الثانية انه هذا بير السفلى اجت الامم المتحد هي أقامت الهم خيام فطبعا يمكن كثر العدد يمكن مش من بيت جبرين لوحدها وإنما من بعض القرى الثانية الموجودين فطبعا اصبح اللجوء أمر طبيعي وامر واقعي ولا بد من تدخل جهات دولية للاعتناء بهؤلاء اللاجئين فأسست

المخيمات وبدأ تأسيس المخيمات بالخيام، الفوار يمكن سنة ال 51 نقلوهم وكان في من عراق المنشية وفي من النبي صمويل وفي من الفالوجة في من ذكرين ومن كذا فأسس الفوار والعروب سنة ال 51 وبقية المخيمات سنة ال 51 طبعا على نظام الخيام. في بير السفلى قول ال 49 وال 50 سنتين ونص، كثير من الناس لجأ إلى المعارف والاصدقاء سكنوا في الخليل في اذنا في دورا الهم مثلا قرابة بالمصاهرة بالصداقة إلي كانت قائمة اصلا لبني نعيم لأي قرية حتى خرجوا خارج الحدود نهائيا إلى الاردن او إلى أي مكان آخر.

عراق المنشية انحصرت، الفالوجة وعراق المنشية لها وضع خاص كقيادة الجيش المصري موجودة فيها، في كتاب عبد الناصر من حصار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة، فكان عبد الناصر من ضمن القوات المصرية الموجودة في فلسطين والي حوصرت في عراق المنشية وفي الفالوجة فهذه الها وضع خاص انه حاصروا الجيش المصري وصار مفاوضات وأخذ وعطاء فيمكن استمرت بعدنا بشهرين، قد يكون عجور وذكرين والمناطق الثانية والغربية والقبيبة وصميل قد يكون قبل يعني آخر اشي بيت جبرين ما اعتقدش انه في وراها ناس من هذه القرى.

بالنسبة لهذه المعلومات إلي ذكرناها كما انا قلتلك من البداية انه هذه كلها المعلومات بالسماع، أما كيف انا اسمعتها فطبعا الناس كانوا لما احنا تواجدنا مثلا انا ولدت سنة ال 52 هذه الغرف إلي احنا موجودين فيها ألان او المخيم إلي اصبح غرف بني سنة ال 58 يعني استمروا الناس يسكنون في الخيام من ال 51 في المخيم اما في بير السفلى كمان في فترة، المهم من ال 48 لغاية ال 58 في الخيام ألان استقر بهم المطاف بأنهم اصبحوا موجودين في صيف ال 58 سكنا في الغرف فانا كان عمري ست سنوات في هذا التاريخ، الآن الختيارية الموجودين كانوا حديثي العهد في البلد في بيت جبرين وكل واحد بالنسبة لبلده او القرى الثانية فكانوا هذول ما استطاعوا تغيير الطباع بسهولة فبالرغم من الفقر وبالرغم من التشرد وبالرغم من الحالة الطارئة الجديدة كان اهم شيء يجووا لواحد منهم يقولوا انت مثلا طلعلك غرفتين في عندك غرفة منهن زيادة هذه بدنا اياها حارة نعملها فهذه الحارة كانت هي النقلة المكانية إلي انتقلت من بيت جبرين واصبحت في داخل مخيم الفوار فكانوا نفس العادات بالضبط فحصروها في المخيم فكنا احنا نتردد على الوالد الله يرحمه وعلى الاقارب إلي موجودين فكنا نستمع ولا نعي شيئا، وبعد ذلك انا عشت هذه الفترة كلها فما كنت اسمع انه الختيارية عايشين في الواقع بأي شكل سواء الامهات او الجدات او الآباء او الاجداد عمري ما رايت واحد منهم عايش في الواقع إلي احنا عايشين فيه، يعني هو لا يشعر انه ساكن في مخيم الفوار لا يشعر انه في آخر الشهر بدو يروح على الوكالة حتى يأخذ كمية الطحين البسيطة وفي موسم الحصاد بدو يروح على الرمثا او على الكرك حتى يجيب كذا ويوخذ ابنائه ويبطلهم من المدرسة في نهاية السنة في سبيل انهم يروحوا عالحصيدة هو ما كان تفكيره بعد الله سبحانه وتعالى الا ذكر بيت جبرين فكلما يتأفف من أمر من امور الحياة من الضيق من الفقر من كذا فكان يذكرها فكأنها اصبحت تعيش في دم الانسان حقيقة انه آخ لو احنا في بيت جبرين كان احنا مثلا بدنا نروح نشتري الحليب مشترى ؟ عمر الحليب في بيت جبرين ما نباع عمر الجبنة ما نباعت عمر اللبن ما نباع عمر السمن ما نباع ولا أي شيء ولا اللحم ينباع، احنا اصبحنا ألان ولا شيء، فهذه غذي بها الاطفال بانه هذول ناس فقدوا الفردوس تماما، فاصبح هو متشبث بالامل هو واقعه يعوض عنه بما عاشه واقعه ايضا الاجتماعي وتفرق الناس وتشتتها في جميع القارات وليس في جميع الدول، يقول احنا كنّا كذا وكذا وكنا مجتمعين كذا والان ولذلك احنا عشنا فيها مرغمين سواء رفضنا او وافقنا عشنا في هذه الذاكرة من كل شيء، وكل طعام لذيذ او اجتماع طيب عرس او عيد يتذكر بيت جبرين، عندما يموت شخص يتذكر بيت جبرين ويجلسوا الختيارية من مات في بيت جبرين ؟ من مات خارج بيت جبرين؟ من مات كذا..؟ وقديش خلف كذا..؟ وقديش عدد كذا..؟ فلا يمكن لدرجة ان هؤلاء لن

يغرهم الكسب الذي حصل وكثير من أهل بلدنا ومن قرايبنا حققوا مكاسب كبيرة جدا اعلى بكثير ماديا ولكن لم تعوض شيئا فيقول والله انا مستعد ان اصبح ولا شيء ورجعوني على مغارة، فاصبح الفقدان ليس مالا وإنما وطنا، فاحنا اخذنا هذا الشيء دون ان نعيشه دون ان نعيشه اطلاقا حتى جاءت سنة ال 67 وانفتحت الحدود واصبح في عمالة داخل فلسطين المحتلة فاصبح الانسان يتردد فعشناها هنا عشنا المأساة كاملة في ال 67 المأساة كاملة لأنه صرنا نذهب ومعنا بعض الختيارية ولما نجد انه احنا بنعيش في 100 متر فقط بانه انا نفسي تستطيع ان تسأل من تشاء انا نفسي إلي بتحدث معاك سيدي الله يرحمه كأكثر واحد له ملكية في الأسرة وقد يكون في الشوابكة، لأنه احنا غطاشة زائد الحموز زائد الخاروف شوابكة بالإضافة إلى بعض الاطراف الاخرى – فيك ما تصلي عالنبي- فتصور انه رجل يملك الف دونم على الاقل بديش ابالغ ويصبح في مئة متر فقط فعشنا الفاجعة تماما، فاما ان تستسلم لهذا التيار وانتهى نهائيا وكنت وكان فلان وإنما احنا ألان شعرنا بأنه المأساة واحدة وشارك فيها الجميع والكل وقع فيها وشغلة فلسطين هي قدر من الله سبحانه وتعالى لم يكن للانسان فضل انه استطاع يدافع عن نفسه ولو ارادت اسرائيل او امريكا او بريطانيا في ذلك الوقت ان تمكن الاسرائيليين من رقاب أهل فلسطين والاردن لما اتنعت لكن احنا فوجئنا بردة الفعل عند قمة الوعي لدى الكثير من ابناء الشعب الفلسطيني بانه اصبح اللجوء والهجرة هو عار، هو عار يقع في رقبة هذا المهاجر وإنما الشخص الاخر بقوته اصبح يذود عن نفسه، هذه برضه ظهرت لفترة طويلة حتى الحمد لله يمكن الامور الدينية استطاعت ان تزيل بعض الاشياء.

إلي بقلك انه هؤلاء الفلسطينيين لو اعطوهم انجلترا او جنة الارض حتى هم يعني يتنازلوا عن اوطانهم مقابل مال انا بقول انه كثير جدا قد تضطره الحاجة للحظة معينة ان يساوم في هذا الامر نفسيا ولكن في واقع الامر انا متأكد انه 99% من الشعب لن يسلم بأي شكل من الاشكال بقدره كما ذهب الاخرين، فأنا بعرف قرابة إلي عاش ومات ولم يدع سوى دعوة واحدة مات وعمره 85 سنة كان يقول اللهم لا تميتني الا في بيت جبرين عقب كل صلاة تصور هذا الرجل بصلي كل الصلوات بالإضافة إلى النوافل ولا يدع سوى بهذا الدعاء هذا اسمه سعيد شاكر غطاشة وتوفي في مخيم سوف منذ عهد قريب وانا قلت عمره 85 وقد يكون 90 فتصور عندما تسمع فقط هذه الدعوة.

انا بالنسبة إلي كتاريخ يعني ما أخذته الا من المشافهة وبوخذ منه إلي انا برتاح الو بصدق مش برتاح الو حتى يريحني برتاح لصدق الرواية، فما اخذت التاريخ اطلاقا من الكتب لاني قاري كتب بعبين الدار فيك ما تصلي عالنبي لكن قد يكون هناك مصلحة او هناك سواء غاية مادية او اجتماعية لتأليف الكتاب او حزبية او أمر من هذا النوع اما عندما تأتي لعجوز او لختيار كبير جدا يقول الامر ببساطة فانت تعلم بانك تاخذ تاريخ شفوي صحيح إلى حد ما. انا كنت اسمع بطريقة مباشرة انا كنت اسأل كنت ادقق عن الخبر ولذلك انا بالنسبة إلي انا سبق اني هذا المسجل إلي موجود معاك انا سجلت كتاب كامل عن بيت جبرين واحضرت مجموعة من الاشخاص وقجلست مع ختيارية قبل فترة طويلة وقلتلهم اذا انا بقول كلمة خطأ فانتم بتوقفوني عند الخطأ وإذا انا بقول صح بأستمر وفي النهاية وجدت بانه انا ما اوفيتش الشيء حقه، لاني اذا بدي اقول كل إلي علمته او إلي بعرفه رايح يزعل ناس كثير، الجغرافيا لا تتغير لكن بتغير التاريخ وبعض المواقف المعينة، فما حب الانسان انه يطرقلها نهائيا، فمن هذا الباب انا دققت واخذت معلومات من ختيارية كبار واملك تاريخ كامل وانا اتلفت التسجيل بالكامل واحتفظت فيه بالذاكرة وطبعا في منهم ناس من المخيم كانوا موجودين لأنه في حساسية معينة قد تنقلب بشيء او بآخر انما ككلام عام مثل هذا لا يضر شيئا ممكن نحكي فيه، لكن انا ممكن بعرف اشياء ادق من هذا بكثير من إلي بقلك اياه مع العلم في بيت جبرين كتاريخ وانت كباحث لم يسبق ان كان في حساسية ولم تكن هناك حالة قتل

واحدة وكانت الناس متعاونة جدا جدا وإنما تأثرت النفسية باليجاب او بالسلب بعد الهجـرة نتيجـة للمعلومـات الخاطئة او المعلومات النفسية إلي بتأسف الانسان على البلد بحيث اعتقد الابن بأنه كـان ابـوه ملـك او وزيـر موجود.

بيت جبرين بعتقدش انه في عنها كتب، أعتقد في عندنا واحد مؤرخ من دار العملة ولم تطرق للبلد الا بحاجة بسيطة اسوة ببقية القرى والبلدان في فلسطين، بعرف في شخص أخر في الزرقاء من بلدكم الفسفوس كاتب عن القبائل القيسية فهاظا حاط دورا عللى اساس انها رأس القبائل القيسية في فلسطين برضه فيهـا تطـرق لبيـت جبرين بالإضافة لكتاب بلادنا فلسطين بالإضافة للموسوعة الفلسطينية، انما نحنا كتاريخ ما في عندنا تاريخ ويـا خوفي على التاريخ كله ان لم يترك في ذاكرة الاجيال بانه فلسطين كوحدة وانا لغيت بيت جبرين لأنه المشروع ان نتناول فلسطين كلها كوحدة مغتصبة ونتركها في ذاكرة الاجيال ونضع ال 531 قرية وبلدة هي عنـاوين ولـيس هناك تطرق لمواضيع شخصية او لامور قبلية معينة حتى ربنا يعني نواحهه انشاء الله بالخير، هذه النية الحاصلة ألان للجمع وطبعا انا حكيت للدكتور شريف كناعنة عن هذا الامر. حتى لو أي تطرق كتاب او مؤلف مكتوب عـن بيت جبرين نعم اطلعت عليه قلتلك عن الاستاذ هذا العملة المؤرخ عـن مصـطفى مـراد الـدباغ والموسـوعة الفلسطينية بالإضافة للكتاب المهم جدا إلي هو كتاب استاذ مدرس كان مهدى للملك حسين عن القبائـل القيسـية وتطرق فيه لكل منطقة الخليل ومن ضمنها بيت جبرين إلي هو الفسفوس، فهذه الكتب التي كتبت بالإضافة للكتاب إلي صدر عن جامعة بيرزيت لاحياء القرى المدمرة تاريخها يعني إلي عن بيت جبرين بالتحديد لباحث اسمه عرار وهذا كل ما كتب.

ما في شك انه كل الفلسطينيين متساويين في هذا الامر، انه هل يسلم انسان بضياع حق، نعـم نحـن نسـلم بأمرين انه في قوة وفي ضعف، "ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس " نحن نعلم ان ما حصل لنا قدر والله سبحانه وتعالى قدر هذا الامر، ولكن هل يعني ان اسـلم بهـذا الامـر واقـول ان فلسطين التي فتحت ولم توزع اراضيها بين امراء الجند بحيث يصبح لكل منهم ملكـه الخـاص وإنمـا اصـبحت فلسطين دخلها وخراجها يعود إلى بيت المال، أي اصبحت امانة كاملة يعني هي وقفـا ولا يسـتطيع لا فـردا ولا مجموعة ولا لأي كان ان يتصرف بأرض فلسطين، من هذا الباب كان لابد ونحن نمر بأشد حالات الضعف وارضنا محتلة ووطنا ضائع، فماذا نترك للاجيال؟ .

بالنسبة للارض قد نكون من القلائل جدا في فلسطين إلي بحتفظوا بالوثائق فعندنا وثائق تركية مـن زمـن الاتراك وبيت جبرين من القلة القليلة إلي اراضيها طوبت، وثائق تركية ووثائق بريطانية موجودة واحصاء البلـد موجود والتعداد موجود.

مقابلة رقم (8):

السيدة فايزة عبد المجيد الحليقاوي، 56 سنة

أهل بيت جبرين طبعا كانوا مشكلين من كذا حمولة، حمولة الحموز، غطاشة، قلعية، الحليقـاوي، دعـدرة، العزة والخاروف، الخاروف انسلخوا عن القلعية والشوابكة وانفصلوا لحالهم وسموا حالهم الخاروف، و بعـرف كان في بيت جبرين حارة البركة وحارة الشوابكة وحارة العزة وكان في مدرسة وكان التعليم بس مقتصـر علـى الذكور والاناث مالهنش حظ في التعليم اللي بعرفه في هذيك الفترة، بعدين كانوا يعتمدوا اكثر شيء على الزراعة

ورعية الغنم وكان جزء من ارضهم مزروعة زيتون وكانوا يزرعوا الارض وكانوا يعتمدوا على الزراعة البعلية والزراعة المسقية قليلة جدا لأنه مكانوش يهتمولها لانها ارض خير وكلها خصبة.

من كبار بيت جبرين بقى واحد اسمه عبد الرحمن عبد اللطيف العزة والو اخو اسمه عبد المجيد هذول اللي بقوا مخاتير البلد في هظاك الوقت وكانوا يتبعوا على طول الخط للانتداب البريطاني، يعني بريطانيا تحط اللي بدها اياه لغاية ما صارت ال 48 واجو اليهود، وبقى الحاج عثمان الحموز من كبار البلد. اكثر قرية قريبة من بيت جبرين هي دير نخاس وقرية عجور وكانوا يروحوا على سوق الفالوجة يتبادلوا بضاعة مع القرى الثانية وشغلات زى هيك واكثر المشاكل اللي كانت تصير بينهم (بين أهل بيت جبرين والقرى المجاورة لها)على سرقة غنم او سرقة مزارع بعض يعني ناس محتاجة بقت تروح تسرق.

لما كانت تنخطب العروس يروحوا طبعا الجاهة يخطبوها من ابوها مكانتش تشوف العريس يعني كانوا يسمولها اسم او يقولولها ابن فلان اما هي ما تشوفو ولا هو يشوفها لغاية ليلة الحنا لما يروحوا يودوا الحنا يروحوا أهل العريس ويوخذوا الحاجات اللي كانوا يوخذوها والكسوة كانت في صندوق يحملولها الصندوق ويروحوا ويسموها خشة الدار ويحنوا العروس ويظل العرس يمكن اسبوع او اكثر من اسبوع والسامر والحداية لرجال والستات كانن لحالهن يطبلن ويغنن وليلة الحنا كان الها مراسيم خاصة يقعدن ويجبلن هالحنا ويحنن رجلين العروس وايدين العروس ويحنن خواتها وعماتها وهالزغار كلهم الموجودين حواليها، واكثر اشي كانت معروفة زيجة البدل يعني الواحد يبدل باخت الثاني وكانوا يكبروا لما يتجوزوا لأنه قد ما كانوا يجيبوا مصاري كانت حياتهم بالنسبة للنواحي الاقتصادية مش كثير لأنه النقود قليلة يعني معيشتهم كانت معتمدة على الزيت واللبن والسمن وبعض الخضار اللي يزرعوها وما يبعدوش على البلاد اللي فيها الشغل والمصاري كانت شحيحة فكان يكبر الشب ويوصل 30 سنة لما يتزوج.

يوم العرس كانوا يذبحوا ذبايح كثير ويعزموا وكانوا يعملوا المفتول اكثر اشي وقليل يعملوا الرز حتى لما كانوا يروحوا على غزة كانوا يبادلوا الفحم بكيس رز، يوم العرس يجيبوا جمل خاصة في زواج البدل ويحملوا العروس ويطلعوها وكان يصير مشاكل مين جملها يعدي قبل الثانية يا يعدين مع بعض يا اما يختلفوا، يروحوا العروس والناس المعزومين يوكلوا الذبايح يذبحوا عشر ذبايح خمس تعش عشرين ذبيحة مكانوش يحسبوا حساب لأنه رعوة الغنم اللي يربوها يذبحوها وبعد ما يتعشوا الناس خلص يروحوا وثاني يوم يجيبوا أهل العروس الصباحية وكانوا برضو يوخذوا ذبايح لأنه مكانش لا كنافة ولا ما يحزنون وكانوا يوخذوا من هالدربس الملبس يسموه دربس زمان – هيك عمتي خرفت – ويوخذوا الذبيحة ويذبحوها ويتغدوا وبعدين يروحوا، وكان اللي ابوها غني يوخذلها عصملية او ذبيحة مكانش زى اليوم يوخذوا اواعي ولا يجهزوا زى ما بجهزوا هالحين ويودوا كمان كسوة جديدة زى بعض الناس اليوم.

وفي الاعياد انا بعرف انه في يوم العيد كان القرش الفلسطيني، كانوا يعطوا بالقرش للولد الزغير الكبيرة كان نص ليرة بالكثير لأنه مفش يمكن يودولها سمن ولبن وشغلة زى هيك تلاقيها اشي كثير لأنه زى ما قلتلك انه النقد كان شحيح، في رمضان كاينين يطبخو طبخة ويعملو الخرجة او الخروج يعني كل واحد يوخذ شو بقدر من عنده ويروحوا عند الجامع او عيلة عند عيلة الزلام خاصة يجلسوا ويتناولوا الفطور والقهوة السادة.وفي الأعياد يعملن النسوان زلابية ومخمارات ومطبق ويوزعوا منو على القبور صبحية العيد

وفي أعياد ومناسبات شعبية اخرى، فكانوا يحتفلوا بيوم عاشورا وكانوا يحتفلوا بالمولد النبوي وفي عيد الاسراء والمعراج لازم يذبحوا ذبايح ويعملوا مفتول ويطعموا الغريب والقريب حتى كانوا يذبحوا ويودوا عالجبال للرعيان القطبات يوكلوهن وهن سخنات، وفي خميس الأموات كانوا يعملوا المطبق والزلابية والمقلى، في خميس

الأموات الزلابية والمطبق والبيض المسلوق ويصبغوه خميس البيض هو نفسه خميس الأموات وبقـوا يروحـوا عالفالوجة هناك كاين تجار يبسطوا في البضاعة من بضاعتهم اللي هي الحلاوة المنفوشة والحـلاوة اللوزية وكانوا يشتروا الملبس بانواعه وهذه زيارة الفالوجة كانوا يسموها كأنه ولـي الفالوجـة كـانوا يعتبـروه فـي اعتقادهم، وفي بلادنا في ناس كانوا يروحوا عالنبي موسى اللي يقدر يعني كانوا يصلوا في الاقصـى ويروحـوا عالنبي موسى يأدوا صلاة الظهر والعصر ويروحوا وكانوا يروحوا عالحج ويقعدوا ست شهور عالجمال وكـانوا يسموهم دواسة هذول.

في كان في بيت جبرين مقام تميم الداري وفي طور الشيخ تميم وفي الشيخ محمود وفي مكـان اثـري قـديم بسموه الانتيكا وفي مناطق يروحوا عليها مثل طور صبيحة وام العرقان، في ناس كانوا يروحوا عالمقامات عشان يصلوا وفي ناس كانوا يزوروها زى طقوس.

المرأة كان عملها كله في بيتها وتقوم بواجبها وبواجب اطفالها وبالرغم من شحة الموارد وشحة الاعمال كانت تعاضد زوجها وتمشي معه جنب إلى جنب وتروح للمزارع وتزرع وتقطف الخضرا وفي موسم الحبـوب تحصـد حتى انه كان الاكل كل يوم بيومه لدرجة انهم يوخذو القمح وينشفوه قبل بيومين ثلاثـة اذا كـان مـش ناشـف ويستنوه تينشف ويدقوه ويطلعوا الحبوب ويذروها من التبن وتجيب المطحنة من الحجر وتطحن وتنخل وتعجـن وتخبز على الطابون كل وجبة بوجبتها لدرجة انهن يولدن في الحصاد، في وحدة من قرايبنـا والـدة ومروحـة وحاطيتو على خرج الفرس وفي الطريق الا هو ساحل منها هالحين فطنت في الطريق مش معهـا البنـت اللـي جايبتها الا هي قايليتلو هي يا محمد واقعة البنت خلينا نرجع ندور عليها راجعة الا هي في الطريق مكفيـة علـى وجها ومش صاير فيها ولا اشي وساكتة وحاطة اصبعها في ثمها، مش الكل كان يحترمها اقلك انـه الكـل كـان يحترم زوجته لا، كانوا يحترموهن خاصة اذا كانن من نفس الحمولة كغريبة او كقريبة مش الكـل كـان يتعامـل بنفس المستوى، في الوقت هاظا اختلف الزمن.

بقولوا انه كانت تيجي الطيارات تقصف، هالحين لما صارت تقصف هذول الناس في منهم خوف وفي منهم كان يقع بينهم اصابات ويقولوا البلد الفلانية سلمت يطلعوا اللي فيها حتى يتركوا كل اشي الهم يحمل الواحد يا ابنه يا بنته واشي قليل اللي يقدر يحمله وكلهم يغادروا البلاد، بيت جبرين اجت الطيارات حسب ما رووا الختيارية الكبار انه الطيارات دخلت على البلد وكانت على مستوى منخفض وترمي كيزانات بقوا يسموهن، وبالطريقة هذه صاروا يطلعوا اكثرهم خوف تركوا بلادهم، من قرايبنا اربعة استشهدوا واحد ابن عمنا اسمه عبد المحسن وواحد عمـي اخو ابوي اسمه عبد الله وواحد من قرايب رحمة جدتي اسمه طه وكمان واحد من قرايبنا هم هالحين في بير زيت اسمه حسين، هذول انكتلوا عند ما كانوا راجعين يوخذوا القمح وسيدي حسن استشد ابو ابوي كاين مع الغنمـات والبارودة الالمانية في كتفه وهو ماشي مسكوه هناك اليهود واخذوا الغنمات وعصبوا عنيه وصفوه تحت شجرة، وسبب قتلهم هذول الشباب انه كان في من الثوار نازلين يومتها وظاربين جيب عسكري وكاين في عشرة وبـدل العشرة هذول الاربع شباب منا ولموا كمان ستة ابصر من أي منطقة وطخوهم مربطين عنيهم وعدموهم اعـدام واكيد مات ناس كمان بس ما بعرفهم.

كان موجود اكثر اشي الجيش المصري وكان في كبانية قريبة بسموها عراق السودان وعراق السودان قريبـة من عراق المنشية كان متحصن فيها الجيش المصري وفي النهاية كان الجيش العراقي وصل للحـدود الاردنيـة وفي منهم دخل للشمال وكانوا أهل الشمال الفلسطينيين يذبحولهم ذبايح وبستنوا فيهم لحظـة بلحظـة والجـيش الاردني على اطراف الحدود، هالحين اجت مأمورية انه خلص سلموا حتى بقولوا انه جمال عبـد الناصـر كـان يحارب في عراق المنشية والفالوجة، فأجا أمر التسليم وخرجوا، واهل البلد كمّن واحد كاين معه من هذه البواريد

الالمانية بس شو بدهم يسووا. يعني الجهل واول مرة بشوفوا طيارات وبشوفوا رعب وبشوفوا خــوف وســمعوا بدير ياسين ومجازر كثيرة صارت والدوايمة ولما يسمعوا هيك يشردوا. انا بقول انه الحق عليهم اللي طلعوا يعني بنموت هناك في بلادنا ولا بنسلم ونروح انا هيك وجهة نظري، وهم قعدوا لغاية سنة وهم ساكنين علــى حــدود ترقوميا على اعتبار انهم يرجعوا حتى هذول الشهدا دفنوهم في ترقوميا ولليوم قبورهم موجودة، وظلوا يســتنوا والمختار يقلهم اليوم بنرجع وبكرة بنرجع وهينا انا 58 سنة واحنا قاعدين محلنا.

اول محطة الهم في ترقوميا جماعتنا وفي ناس راحوا على اذنا وفي ناس اجوا عالخليل وفي نــاس راحــوا على مناطق ثانية نوبا وخاراس، هالحين قعدوا ست شهور في ترقوميا بعدين اجوا عند العمارة في الخليل وكمان سنتين في المغر جهة الحرايق، وبعديها سمعوا انه وكالة الغوث بدها تجمع اللاجئين في مخيمات وجابوهم علــى مخيم الفوار، هاظا الحكي في ال 1952 وزعولهم الخيام ولملموهم.

سنة الطلعة بقولوا في المحل اللي كانوا في في الخليل محل ما حطوا في السكن يسكنوا بقلك كاينــة الارض تنبع قمل كبير وهاظا فال على رايهم يعني يغسل الواحد اواعيه وينشرهن ويعاودن يرجعن ملانات قمل قبــل مــا يلبسهن الواحد.

هذه المعلومات كلها من الكبار الكتب معلوماتها غير، اولادي بسمعوا هاظا الكلام دايمــا هــو الواحــد بنســى تاريخه بنسى ماضيه والويلات اللي مر فيها، احنا لما كنا في المدرسة ندرس قصيدة "غدا سنعود" لعبــد الــرحيم محمود يمكن الواحد الله بعلم كيف يسردها الهم وكيف انه اليهود سلبوا ارضنا. احنا بين فترة وفترة كنــا نوخــذ باص ونوخذ الاولاد ونروح على بيت جبرين، وفي الكتب والموروثات، في عندي كثير شغلات حتى انا يوم مــن الايام عملت بحث عن بيت جبرين وللاسف يمكن تعبت عليه ثلاث او اربع شهور وانا اسوي فيه واخذوه شــباب من المخيم وظيعوه، لازم تشارك وسائل الاعلام وصور قديمة وآثارات كمان لو ينعمل شريط فيديو، ومثلا لو في المدرسة يسموا فريق المدرسة باسم القرى المهجرة.

مقابلة رقم (9):

السيد حسن ابراهيم الحموز، 40 سنة

الحكايات إلي كانت تحكى عن بيت جبرين كانت تبرز العائلة نفسها في بيت جبرين ومكانتها يعني هيــك كــان تركيز الآباء يعني كانوا يركزوا على شغلة انهم كان عندهم اراضي وكانت حياتهم بشكل اساســي تعتمــد علــى الزراعة وعلى تربية الماشية وكانوا يحاولوا يبرزوا مكانة العيلة انها مكانة جيدة ومحترمة داخل البلــد، وكــان التركيز اكثر على الصراعات إلي كانت تدور داخل البلد وشو دور العائلة يعني بجوز القصص إلي سمعتها من هذا القبيل، انه في كان مجموعة حمايل ويبدو انه كان في بينها دائما صراعات قوة وطبعا عيلة العزة كانــت اغنــى عيلة في البلد وفي الشوابكة كانوا مناوئين دائما للعزة إلي هو احنا عائلة الحموز قسم مــن الشــوبكة او فــرع منها.قديما في كانت صراعات دموية وبعدين اخذت طابع اقل دموية يعني نوع من التنافس وكل عيلة بدها تثبــت انه الها كلمة وموقع في البلد بدون استخدام عنف كثير هاظا في مرحلة متأخرة.

كان عبد الرحمن العزة يعتبروه هو كبير البلد بس مثلا بالنسبة لعيلتنا احنا بقوش يعتبروه انــه هــو كبيــر عليهم وكانوا كل فخد الو وجيه وبعتبروا هاظا الوجيه طبعا مساوي الو، ما كان في الطاعة العمياء بالمرة بجــوز هذه بتعتمد على علاقات العشائر إلي داخل البلد يعني باستمرار الشوابكة مكانوش ينصاعوا ولا لحاجة، لكبيــرهم اه بس لكبير غيرهم لأ الا اذا كان في توافق بين الاغلبية كان في دايما عصيان لعبد الرحمن عبد اللطيف كان في

علاقات جيدة بس مكانش في طاعة يعني ما كان يقدر يملي عليهم إلي يمليه عالبلد، انا مفش عندي صورة تفصيلية طالما الواحد ما عاشش هناك هذه كلها حكايات وقصص وحتى انا بستخففها هذه بتعني لواحد مشتغلش في العمل السياسي ومش مثقف يعني بتعنيله اشي كثير وبكونلها معنى انه انا من العيلة الفلانية وعيلتي كانت كذا، يعني الانتماء الوطني والانتماء الفكري بعنيلي اكثر من الانتماء العشائري او المحلي فحتى كثير من القصص والحكايات سقطت من ذاكرتي او بجوز نتيجة اعتقادي بعدم اهميتها والمهم بالنسبة إلي في الموضوع كشاب اصلا من بيت جبرين انه بيت جبرين هي كانت جزء من فلسطين واغتصبت عام 48 ومفش أي مفر او أي حل الا بالعودة الها، النقطة الثانية انه المكانة الاجتماعية للاجئين مش شو كان هو داخل بيت جبرين المكانة الاجتماعية للاجئين هبطت كثير والسياسية نتيجة اللجوء هذه هي النقطة الاهم والي احنا عشناها اكثر من أي نقطة، يعني شو بيت جبرين بتعني.

الانسان برتبط في المكان مش نتيجة الحكايات اكثر نتيجة حياته وخبرته في المكان بس طالما فش مكان بظل الحكايات هالحين الحكايات بتنحكى في ظرف مختلف تماما الظرف المختلف تماما انه الانسان مش بس بتلقى فيه الحكايات بعيش الحياة بكل عقدها ومشاكلها اذا كان في الضفة الغربية مثلا بعيش ظروف الضفة الغربية بالحصار وبالاعتقال وبهدم البيوت وبكل الظروف إلي بخلقها الاحتلال وبكل الظروف الاجتماعية والاقتصادية وبعرفش وين بكون مكان الذاكرة عن البلد في هذه المرحلة، انا بعتقد انه مسائل الذاكرة في هذه بتصفي اشي رومانسي ونوع من الحنين، انا بعتقد انه في قضية قضية شعب تم تهجيره وبتم عملية القضاء عليه وطمس هويته وإنهاء قضيته وبجوز هذه وجهة نظر سياسية او وجهة نظر مثقف انه انا مرتبط بقضية وقضية عادلة وعشان هذه القضية العادلة لازم أناضل من أجل استعادة حقي الطبيعي والبسيط في الحياة انه يكون إلي ارض وبيت اقعد فيهن.

اللي فهمته من أبوي ومن جيل أبوي حاجة وحدة انه هم كانوا معتقدين انه هذه الفترة مؤقتة ومش طويلة وعاشوا وماتوا وهم على هاظا الاعتقاد والّي بدلل على هيك انه حتى لما انهم سكنوا المخيم اتيح الهم المجال في كثير من الفترات انهم يشتروا اراضي وكان بين اديهم الاموال اللي بتشتري هذه الارض لكن اغلبية هاظا الجيل اذا بدناش نقول كلهم ولا واحد اشترى سنتيمتر مربع مش نتيجة عدم وجود مال ولكن لأنه مكانش يفكر انه في وطن بديل غير بلده، هذه مسألة بجوز لو تعمل دراسة لاغلبية الجيل يعني جيل آبائنا بتلاقي انه كان في رفض مطلق لأنه أي واحد يشتري ارض، انا هذه ملاحظتي على اغلبية هاظا الجيل انه ولا واحد شرى ارض رغم انه كثير كان ينعرض عليهم احيانا مقابل دين ودين ميت، يعني كل واحد من اصحاب الاراضي مديون لتاجر او مديون لغيره يجي يقله شو رايك تلغي الدين مقابل قطعة الارض الفلانية يرفض، رغم انه كان الدين ميت، هالحين هم كانوا فاهمين انهم بدهم يرجعوا وانه المسألة مسألة وقت وبعدين اكتشفوا انه هم كانوا ضحية خديعة كبيرة وانه مكانوش فاهمين القصة وبضيف على ذلك انه اغلبية أهل البلد كانوا اميين وفي جهل وكان في فقر، كل هذه العوامل تصاحبت مع الحرب العسكرية بس كان في خديعة، في قصة برووها عن عبد الرحمن عبد اللطيف وعن الخروج انه كان في خلاف بين عبد الرحمن عبد اللطيف والملك عبد الله فأجا نزل العلم الاردني عن بيت جبرين وداسه ورفع العلم المصري لاسباب خاصة في هذيك اللحظة وكانت بيت جبرين من قرى الهدنة إلي سقطت اثناء الهدنة والي كان ممكن تنعاد وفي ناس كثير بحكوا – بعرفش مدى صحته– انه الملك عبد الله تنازل او ضحى بشحطة قلم عريض على هذه القرى نتيجة خلافه مع بعض قيادات هذه القرى وراحت اسرائيل احتلتها.كل القصص اللي بتنحكى بتأكد على اشي واحد انه هم كانوا يعتقدوا انهم راجعين والمسألة مسألة وقت عشان هيك اول ما كان اللجوء كان على المناطق القريبة من بيت جبرين ومش بعيدة عنها وما اخذوا معهم الا القليل وبعدين اضطروا مع الوقت انهم يرجعوا للمخيمات لما وكالة الغوث جمعتهم في المخيمات.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بيت جبرين:

جدي انا او وضعنا الاقتصادي كان متميز في البلد، كان عندنا املاك معقولة يعني وكويسة وكان انا مكانتنا الاجتماعية الجيدة وكان بالامكان انه تكون حالتنا مختلفة تماما لو كنا في البلد، هذا اكثر اشي إلي بتركز عليه القصص وبجوز اكثر قصة عالقة بالذاكرة عن سيدي اكثر انه مروا الناس في فترة من الجوع اضطروا انهم يبيعوا الارض مقابل القمح وكان سيدي انا غني والي كان يشتري الارض عيلة العزة فكان عنده جدي قمح فهو وزع القمح على كل الاسر افي العيلة مقابل انهم يردوه قمح في الموسم مش مقابل انه يوخذ منهم الاراضي، بالتالي هو حافظ على ارض العيلة كلها هذه القصة كان ابوي يرددها وقسم من عيلة الحموز انه هو في فترة معينة قدر انه ينقذ كل اراضي الحموز ولا سنتيمتر انباع.

المرأة كانت مسكينة كثير، كانت تشتغل في الفلاحة وتشتغل في الغنم وكان الزواج يتم بشكل تعسفي فش أي قرار الها يعني يحكولها اجا فلان خطبك وبدنا نجوزك الو بهذه الطريقة يعني مكانش في مشاورة الها في الموضوع ولانه كان في فقر كان المهر يكون ارض والارض مش الها لابوها تروح يعني فلاحة بسيطة، اللي بعرفوا كعائلة فلاحية انه الدور الاساسي كان للذكور وما كان دور للمرأة.

انا بجوز بعرف من امي اكثر من ابوي، امي يعني روايتها بسيطة جدا واظن انها كانت رايحة عالحصيدة يعني مكانتش في الدار، مكانتش متجوزة في هذيك الفترة فهي بتحكي انه صار في قصف وطخ عالبلد وبعرف انه كان في اكثر من مواجهة روحت عالدار ملقتش حد في الدار كان الها اخو زغير عمره ثلاث سنوات بتحكيلي انها حملت اخوها وطلعت تشوف وين الناس راحوا طلعت في منطقة قريبة من البلد وعاودت رجعت عالبلد بعد ما وقف الطخ والاشتباك، الّي بلفت انتباهي هانا انه مش من اول ما صار طخ عليهم طلعوا، طلعوا اهالي بيت جبرين لما انه صار اجتماع في البلد وقلهم عبد الرحمن عبد اللطيف اطلعوا نصحهم انهم يطلعوا وهم قبلوا هذه النصيحة وطلعوا. بيت جبرين تعرضت لقصف وترويع بس مش زى بعض القرى الثانية، بس اللي صار الناس يعني بحكوا انه صار اجتماع وتم النصح الهم انهم يطلعوا وطلعوا اكثر من ما انه طلعوا نتيجة ضغط عسكري، أهالي بيت جبرين كانوا يشاركوا في المقاومة عالاقل بعرف انه خالي كان يروح يشارك، يعني كان في شباب من بيت جبرين يطوع في مناطق ثانية، في كثير استشهدوا واشي انأسر واشي استشهد بعد الخروج من بيت جبرين بس بالاسم تحديدا بقدرش احدد بعلق في ذهني اسم عمي هاظا استشهد بعد الخروج كانوا رايحين يجيبوا اكل وهم طالعين طخوهم مش داخل البلد لحقوهم خارج حدود البلد يعني دخلوا وراهم داخل حدود ال 67 وطخوا مجموعة وكان من بينهم عمي.المحطة الاولى الهم كانت ترقوميا وبعد ترقوميا اشي طلع عالخليل واشي اجا هانا واشي راح على منطقة بيت لحم.

الرواية قد تكون مصدر مش دقيق وكثير انا بعرف انه كثير من الاسر وكثير من الآباء وكثير من الختيارية بحاول انه يعطي اسطورة إلي بتعكس وضع جيد الو كشخص ووضع جيد لعيلته، والاجيال الفلسطينية اللاحقة هي اكثر تمسك بحق العودة من الجيل السابق، معلوماتي معتمدة على دراسات لواحد دكتور اسمه اعتقد ابو ستة عمل مجموعة دراسات حول الاجيال حتى على الشباب الفلسطينيين الموجودين في أوروبا وأمريكا وفي الخارج ووصل لنتيجة انه الأجيال الأكثر شبابا أكثر تمسك بحق العودة وأكثر عمليين واقل عاطفيين بمعنى إنهم بفكروا بطريقة انه إحنا كيف ممكن نحقق مشروعنا.

انا بعتقد انه الذاكرة مفقودة وأنا بلاحظ على حالي انه فش عندي صورة تفصيلية، وبعرفش شو الصورة إلي بدي انقلها لابني. انا أولادي بهمني حاجة وحدة إنهم يعرفوا انه هم مش من المخيم هم من بيت جبرين وبيت جبرين هي قرية من قرى فلسطين تم احتلالها عام 48 وممكن إذا اتيح المجال انهم يزوروها بخليهم يزوروها

ويتعرفوا عليها، المعلومات إلي أخذتها من أبوي ومن غير أبوي انه إحنا كنا فلاحين وإنا أرضـنا وإنـا وضـعنا الاجتماعي المحترم داخل البلد وانه فقدنا هذا الوضع نتيجة الاقتلاع ونتيجة طرد أهالي بيت جبرين من البلد زيهم زى كل أهالي فلسطين في أل 48 هذه ضرورية وحديثي لابني بجوز يكون موجه أكثر للعقل انه هو بنتمي لهاظا الشعب وهاظا الشعب الو أكثر من 100 سنة مظلوم وهاظا الشعب مش ممكن تنحل قضيته إلا بتحقيق العدالة وهذا بطلّب كفاح ونضال كبير لبين ما نحقق الانتصار على الحركة الصهيونية.

انا راح اختلف عن طريقة أبوي لأني راح ارجع لمصادر معلومات تاريخية ومصادر معلومات عن بيت جبرين تحديدا وأظن في كثير من الباحثين والدارسين عملوا دراسات عن القرى المدمرة وممكن بعطوا معلومات تفصيلية وراح أحطها بين أيديهم (الأبناء)، بس انا في رأيي الشخصي انه كل هذه القصص يعني انا بالنسبة إلي حيفا وبيت جبرين والرملة وفلسطين كلها هي رمز واحد مبتقدرش تجزئ هذه الرموز لعراق المنشية وبيت جبرين والى آخره، المهم في الموضوع انه إحنا شعب بننتمي لبعضنا البعض وهذه الأرض النا، وهذه الأرض تم اغتصابها منا وطالما هي مغتصبة طالما إحنا مستعبدين وعشان ننهي هاظا الاستعباد وننهي هاظا الظلم لازم إحنا نستردها.

إجراء دراسات ضروري وبعتقد انه كل الأسر اللاجئة مفش أسر لاجئة نست إنها لاجئة أو الأغلبية تفوق أل 90% ما نست هذه القصة وهي بتعيش مأساة اللجوء بطريقة أو بأخرى لأنه عالاقل في فلسطين في الضفة الغربية وغزة مكانة اللاجئ الاجتماعية والسياسية منخفضة بسبب كونه لاجئ وفي وصمة على اللاجئين وفي إحساس عند اللاجئين انه في تمييز ضدهم سواء من أهالي القرى في الريف أو أهالي المدن وهم بحسوه وبلمسوه، هذه الظاهرة ممكن التعامل معها بسلبية وممكن التعامل معها بايجابية، التعامل معها بسلبية انه بصير نوع من التعصب القبلي الغبي ضد الفلاح الوطني وضد المدني المجاور الو وممكن يكون في ايجابية انه إحنا كلنا مع بعض بنتعرض لاضطهاد وبجوز قليل إلي حصل في التاريخ الإنساني لمثل هذا النوع من الاضطهاد والمفروض نشتغل حتى نكون أقوياء حتى نرفع عنا هذا الاضطهاد، يعني ذاكرة المكان هي جزء بسيط من المشروع مش هي كل المشروع وانأ بعتقد انه المشروع هو مشروع وطني كامل متكامل وبتيجي الذاكرة في سياق المشروع الوطني بمعنى انه إحنا فلسطينيين عرب بننتمي للعروبة والإسلام هاظا تاريخنا وشو معنى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عدا عن المعنى الملموس المباشر على حياة اللاجئ وعلى حياة حتى العايشين في الضفة الغربية وقطاع غزة في استرجاع للتاريخ وهاظا الاسترجاع للتاريخ المفروض مش بس ينورنا في تاريخ قريتنا ينورنا أكثر شو دور الاستعمار وشو دور بريطانيا شو دور فرنسا وشو دور الولايات المتحدة وشو دور الصهاينة، يعني المفروض انا ندرس قضيتنا زى ما هي ونفهم انه الاستعمار استعمار وانه الغرب الأوروبي والأمريكي بستخدم الصهاينة لخدمة مصالحه.

بالنسبة لآليات نقل وتوريث الذاكرة انه نجيب ونجمع إذا في إمكانية انه نعرف أوراق الطابو إنا نعرف التراث الشعبي لكل قرية لكل مدينة لكل بلدة وبالنسبة للمنهاج الفلسطيني انا بعتقدش انه في إمكانية لوجود منهاج وطني مستقل في ظل هيمنة الاحتلال.

مقابلة رقم(10):

السيدة حكمت عبد المجيد الحموز، 45 سنة

كان سيدي احمد الحاج علي الحموز الو ارض كثيرة في بيت جبرين حوالي (2000) دونم كـــان، ويعنـــي هـــو سيدي ابو ابوي ميشتغلش بالمرة كان يجيلو المزين يجي الحلاق على الدار يحلقلو وشـــيخ يعنـــي مـــا يطلعـــش بالمرة، وكان عندهم خدامين يعني يحرثوا ويدرسوا ويعملوا وهم يعني أهل الدار شقيانين طول نهارهم يعملوا اكل وشرب وهم كلهم كمن واحد بس يتعبوا يخبزوا الصبح ويخبزوا المسا ويخبزوا الظهر ويودوا اكل للحراثين واكل للي بحصدوا وللبجدوا الزيتون كان يجن علينا من الدوايمة يجن يجدن الزيتون يقعدن عندهم فـــي الـــدار يـــوكلن ويشربن وكل حاجة، وكانوا يعني في بلادهم يوكلوا من القمح بيار القمح عندهم وكل اشي عندهم، انا يعني بتخيل عندهم تين وعنب وزيتون وحتى ابوي بقى يقول من حد ما طلعت من بيت جبرين ما شبعتش السلالة اقلـــو يابـــا شو السلالة يقول الفول نشويه في النار، يعني كان ابوي دايما يحببنا في بلادنا يبيننا ان فيها مية وفيها...، وانه عنده في بير مية وسيل يعني كنا نتخيل واحنا زغار دايما يقلنا عن بيت جبرين وعن بيت جبرين وفـــي طيـــران وابوي يقول كنت اطلع في الطور هاظا والاقي فلوس ويلاقي قروش قديمة وفي الانتيكا(كنيسة بيزنطيـــة قديمـــة) وفي الطيران. والله كنت ارسمها، والله كنت أتخيلها واحلم فيها وانا زغيرة احلمها انها كانت خضرا حتى ابـــوي يقول بلادنا بقت خضرا كثير، لما طلعنا عالاردن وشفنا جبل وحتى البلاد هذي في جبل يا بي الجبل الاقـــرع شـــو يابا الجبل الاقرع يقول يعني فش عليه شجر لانه بلادنا كليتها خضرا ومشجرة.

بقوا يروحوا على سيدنا موسى يطلعوا عليه وعالبحر تقول جدتي بقوا يغطسوا الغنم يبحروهن ويجيبوا حلاوة سيدنا موسى من ريحا والشيخ تميم الي في بلدنا تميم الداري يروحوا عليه وبلدنا هي الصحرا تبعتها التربة الـــي كانت فيها صحابة، حتى الله يرحمها جدتي بقت تقول والله مش لازم بيت جبرين المشي فيها بالحذاء لانها كانـــت مجبولة بدم الصحابة جبل بقولوا انها محتمل تكون اجنادين فيها. لانها مملكة الفرنج بتقـــول جـــدتي حتـــى فـــي الكنيسة في مآدبا مرسومة بيت جبرين عالخارطة كانها بيت جبرين هي المركز للكهنة والقديســـين كـــان مركـــز للفرنج فيها حتى فيها كنيسة قديمة في ارض دار سيدي الكنيسة الي بقولوا عنها الانتيكا وصندا حنة كانوا يجـــوا عليها، وصندا حنة بس هي في الاصل سانتا حنةالي هي القديسة حنة دير القديسة حنة أما هم هيك بقولوا عنهـــا صندا حنة، حتى كانوا ييجوا الاجانب يزوروها والله بقول أبوي يوم ما تمطر الدنيا هيـــك المصـــاري والفلـــوس بيروحوا يبيعوهن.

كانت تقول جدتي والله يظلن بفتلن حوالي شهر ما كانوش يعملو رز يعملوا ذبايح وهذا المفتـــول الـــي فتلـــوه يطبخوه ويوزعوه على الناس على الحارات في الاعراس وتقول جدتي بقوا يظلوا سبع ليالي يغنوا ويولعوا نـــار ويبقوا يدبكوا حواليها ما كانش في كهربا ولا ما يحزنون، يعني بسطاء اجمالا كل حياتهم كانت بسيطة . يعنـــي كان الهم عادات يعني الوحدة الوالدة اليوم يمكن جارتها ما تخشش عليها هناك يفوتن عليها يعملولها لحـــم ورز ويودولها عالدار، اذا صار عرس اول ما يفقدوها الا هي يودولها لحم ورز واكل، الناس كلهم بقوا عايشين فـــي حوش واحد.

احنا عيلتنا الحموز عيلة شريفة وناس اشراف واسمهم يعني تابعين للحمزة والعباس أهالينا هيك بقولونا، مـــا زالوا في عيلتنا بيسموا اسامي عيلتنا بالذات عيلة الحموز مش موجودة ولا في كل البلد مثل عباســـية وعبـــاس، حتى يوم اجا الملك عبد الله على بلدنا في واحد من دار العزة، العزة كانوا يعرفوا انه احنا عيلتنا شريفة بس احنا دايما بنمشي ضد التيار احنا العزة بختلفوا عنا بمشوا مع التيار اذا اجوا البريطانيين بمشوا معهم واذا اجا محمـــد

علي باشا اجوا معاه، ابو ابوي الي هو سيدي عثمان كان هو الناظر تبع تركيا في بلدنا ظل محافظ علــى القــيم يعني بنمشيش مع التيار ابدا دايما عكس التيار ومهيوبين الحمد لله هيك إحنا.

والله كانت تتعب كثير كانت تقوم الصبح تعجن وتخبز للحراثين تعجن من الآذان وتعجن الظهر وتخبز وتعجــن وتخبز المغرب وتودي، كانت تروح على الحصيدة وتوخذ السرير معها، إجمالا هو مجتمعنا مجتمع ذكوري ومــا زال، في واحد عنده كلمة مرته مسموعة وفي واحد لا، في ناس في البلاد والله في نسوان الهن كلمة، كانت أول المرة بتقول جدتي تطحن على الطحونة تجيب القمح تطحنو وتخبزو، أما بالنسبة لجدتي انا وأم عمتي كــان فــي بابور في بلدنا لسيدي بابور طحين، كانن زمان يعملن فرشة ومزاود ويتعبن يعني مش بس حصيدة.

أول اشي في البلاد من الطيارات كانوا يظربوا عليهم بعدين خوف إجمالا الناس يعني اليــوم شــو مــا بصــير مبطلعش من داره، هناك أول راحوا قالوا الدوايمة ذبحوهم في الطور كليتهم طخوهم في المسجد، بقــن عمــاتي كلهن شقر يدغموا وجوهن اسمر بتقول جدتي دغمنا وجه عمتي خوف يجي اليهود العرض، إجمالا يعني صــارت كأنها حرب نفسية حتى الناس يطلعوا من البلاد، طلعت الناس نتيجة الدعاية النفسية والظرب. انا بعطــيهم عــذر انهم طلعوا اولا فش تكافؤ فش تعليم كمان كثير كانوا متخيلين انه الجيــوش العربيــة بــدها تيجــي تســاعدهم والجيوش العربية كانت معظمها طالعة من الاستعمار كانوا مستعمرين والاجانب كانوا متحكمين فيهم كلهــم، والله انه كانت جدتي تقلي عن المقاومين كل ما يجووا على بلد يعملولهم الذبايح ويحتفوا فيهم بعدين المقاومــة هــذي كانت ضعيفة يعني البرودة إلي بدكها دك يعني مقاومة ضعيفة، وهذيلاك بطيارات وأسلحة حديثة فش يعني تكافؤ بالمرة بين الجهتين.

قال أبوي أنا بقيت قاعد ومدلي رجلي على باب الدار وظربت الطيارة قال ولا باب ظل وانا بقيت مــدلي رجلــي ونطيت على طول، كان ابوي وعمي في المدرسة للصف السادس ظلوا قال انه كنا احلى اشي يــوم يجــووا اولاد الدوايمة ودير نخاس كانت بلدنا المركز كل البلاد الي حواليها كانوا يجووا يدرسوا فيها يقول احلى اشي واحنا في الصف احنا واولاد الدوايمة يغنوا: عليك منا السلام يا ارض اجدادي علمنا اياها كليتنا كل اخوتي، ففيــك طــاب المقام وطاب انشادي عشقت فيكي القمر والبلبل الشادي عشقت ضوء القمر في أرض اجدادي، كليتنا من اكبرنــا لاصغرنا حفظنا اياها قال كنا نقرأها كل يوم كل يوم في المدرسة والاستاذ بقى يضربهم ويقلهم بدي انظــف بــدي انظف عن الاواعي والاظافر وكانت بلدنا حتى الصف السادس كل البلاد يقروا فيها حتى البنات بنات واولاد كــان فيها مدرسة قبل ال 48 للاولاد والبنات، والكل كان يعرف يقرأ حتى ابو عمتي كان يعرف يقرأ.

قالوا عند بير السفلي قعدنا عند إذنا وفي الخليل عند التربة تل الرميدة قالوا كمان قعدنا فيها والفوار، كــان أبوي وعمي ماجد كانوا نفس الجيل كل واحد من ام شهرين بين بعضهم قال بقينا نروح انا واخوي مــع ســيدي علشانه مكانش في البلد بالمرة ما اشتغلش ولا عمره اشتغل تطلع هانا كيف بدو يشتغل كيف بدو يعمل، قال لعمي ماجد انت بتربي خواتك وانت يا عبد المجيد بتربي خواتك، عمي ماجد كان أشطر من أبوي يطلعولك مــن الفجــر يقول ابوي نطلع من الآذان عالخليل ونروح نبيع كعكبان قال انا من الجوع أقرش الكعكبانة عمي ماجد كان يصبر يروح قد ابوي ثلاث مرات معاه، ابوي مسكين يقول يابا نجوع رحنا عند الخليلي نظلنا نوكل نوكل في الحلو يقول بديش اياك انت بدي ماجد، قال ابوي فش اكل يروحوا يبيعوا كعكبان وحلو كل واحد يروح على شقة عمي علــى شقة وابوي على شقة قال جبت لامي ريالات من بدويات قال اروح ابيعهن وتقطع الوحدة ريالها وتشــتري فيــه كعكبان.

أجوا هانا وبعدين ابوي طلع عالاردن يمكن في الستينات، كانت حياتهم صعبة يحكينا ابوي حتى شغلات حتى بضّحك كيف كانوا يروحوا مع بعض يشتغلوا ويطلعوا ولاقوا هو واخو عمتي في الليل الساعة 12 مروحين مــن

الخليل لاقوا تعدوا ضبع ظلوا يرجموا عليه طول الليل والصبح قالوا بدنا نروح نشوفوا طيب ولا لأ لاقوه رايح، لا لبس زي الناس يروحوا في البرد.

هذي المعلومات من أبوي ومن سيدي أبو أبوي، أبوي كان يقعدنا ويقول كنت انا واخوي ماجد، اخوي ماجد خواته هو الي كان يعتني فيهن هو الي رباهم ....

انا درست عن بيت جبرين بس انا تخصصي تاريخ بحب هذي الشغلات اقرأها واعرفها، انا ابوي بقى يقول مثلا بلدنا كلها مشهورة بالماعز كلها ماعز، انا قريت عنها بس عدد السكان قديش كان وكذا اما التفاصيل لأ.

مصدر المعلومات: الوالد وسيدي ابو ابوي ومن جدتي، واطلاع قليل على بعض الكتب.يعني واحنا قاعدين بقلهم اسم بلدنا بيت جبرين عيلتنا كذا من كذا يعني الرواية بحكيلهم انا دايما بحكي لأولادي، هم وظفوا الاعلام لمصلحتهم وطلعت عنّا قنوات جديدة شغلات جديدة والله ما كنا نعرفها على ايام المدرسة. انا رايي لو انه بالنسبة للكريكاتير والصور المتحركة بدل توم وجيري كله عنف عنف طيب ليش ما نجيب مثلا عن ماجد الحموز ولد زغير كان عمره 12 سنة طلع من بلده بنحكيلهم اياها بصورة كاريكاتير كيف عمل كيف طلع كيف سوّى اقرب للطفل. نوخذ من الكبار كيف كانوا عايشين في بلادنا وكيف طلعوا وبصور متحركة بتنطبع في عقل الطفل اكثر من ما تحكيلو اياها، اليوم الناس صارت تعتمد على التلفزيون والانترنت اكثر من القراءة والكتابة.

انا يعني بفهم اولادي مين هم شو اسم عيلتهم من أي بلد هم جايين مين اخوالهم، بفهمهم شغلات عن بيت جبرين كيف كانت كيف احنا كان انا ارض طلعنا لاجئين مالناش ولا حاجة يعني بنسواش حاجة.

المقابلة رقم (11):

السيد مخلص عيسى العزة، 38 سنة

بيت جبرين في النهاية هي قرية من قرى فلسطين، حياتهم الطبيعية قائمة كبقية قرى فلسطين على الزراعة وتربية الماشية والابقار وما تبع ذلك، حسب معلوماتي الحياة الطبيعية عندهم كعائلات وكأهل كلهم بقوا يعيشوا بتعاون مع بعض بمحبة باخوّة ما في هالبغضة والكراهية إلي بنسمع عنها الايام هذه.

بيت جبرين هي قرية بتتبع لمحافظة الخليل، ممكن انه ظروفها بتختلف انها بقت تاريخية بقت في ال 48 وما قبل ال 48 من اكبر القرى الموجودة في منطقة الجنوب وتم احتلالهن في ال 48، والها طابع مميز وهو انها كانت كمركز حدث في هذيك المنطقة، ومن القرى المحيطة ببيت جبرين حسب معلوماتي من امي ومن ابوي ومن هالاقارب إلي بقوا يحكوا انه في عدة قرى موجودة حولين بيت جبرين وتابعات لبيت جبرين، ومن هذه القرى كدنا ورعنا وزيتا وعجور، من الاماكن الموجودة في بيت جبرين حسب المعلومات انه بيت جبرين كقرية باقي فيها مدرسة للبنات ومدرسة للذكور وفيها صحية وطبعا الجامع موجود، طبعا بيت جبرين تاريخيا معروفة انها منطقة اثرية وفيها آثار كثير جدا لدرجة انه والدي كان يخرفني انه يعني يةم الدنيا تمطر عندهم وينزل السيل يلاقوا آثار عملة وانتيكا، معلوماتهم بقت بسيطة وما في هالتعليم العالي عندهم، والدي بقى عايش في دار ابوه مدرسش في المدارس بقى وقته كله مع الغنم والبقر إلي عندهم.

على حكي الختيارية بقولوا مثلا منطقة صندا حنة إلي هي معروفة انها كنيسة رومانية قديمة واسمها الاصلي سانت حنة، المنطقة كلياتها منطقة سياحية وما بتدخللها الا بدخولية، في كثير من المقامات والمزارات في بيت جبرين على حكي الختيارية بقولوا النبي جبرين وطبعا معروف لكل الدنيا انه فش نبي اسمه جبرين ممكن هو شيخ او ولي، في مقام الشيخ تميم ومقام الشيخ ابراهيم.

مناسباتهم كأي مناسبات ثانية بقوا يعيشوا بمحبة ووئام كلياتهم مع بعض وبتعاونوا ما بتلاقي هالحقد والكراهية الكل يشارك في الماسبات في الافراح والاتراح، يعني هاظا واقع القرى واقع فلسطين ككل يعني مفش اشي خاص ببيت جبرين يعني ممكن الشغلة المميزة انه واقع القرية بختلف عن واقع المدينة، القرية بعيشوا مع بعض تعاونهم ببقى اكبر بتلاقيهم كلهم بضامنوا مع بعض وبعيشوا وبقفوا مع بعض وبساعدوا بعض، العرس يعني كعرس او كأفراح موجودة حسب معلوماتي إلي استقيناها من آبائنا ومن اجدادنا انه الاعراس مقسومة النساء لحال والزلام لحال، الكل يشارك فيها يستمر لفترة طويلة مش زى عندنا حاليا محصور في هاليومين يوم الحنة ويوم العرس، الكل يشارك الكل يتعاون الكل يبقى فرحان لهاظا العرس او لهاظا الشخص إلي بدو يتزوج، بجوز واقعهم او وضعهم بختلف انه كان اكثر زواج البدل حاليا هاظا الزواج انتهى.

بالنسبة للاتراح بتشعر يعني انهم بقوا يختلفوا عنا يعني الموت قليل باقي عندهم وحياتهم البسيطة بتعطيهم وقت فراغ اطول مش زى ايامنا حاليا او عيشتنا حاليا علشان هيك بقوا يستمروا في العزا فترة اطول، في الأعياد هم في مناسباتهم بقوا يروحوا عالمزارات وعلى الاوليا وعلى الشيوخ بالنسبة للاعياد الرسمية وغير الرسمية بتشعر انهم افضل من عندنا من ايامنا، عايشين مع بعض بشعروا مع بعض بتلاقي في عندهم بسموها الحارات لكل عائلة حارة بقوا يقعدوا ويلتموا فيها، حاليا ما بتلاقي هاظا الاشي موجود، ممكن طبيعة الحياة إلي احنا عيشينها حاليا احنا كلاجئين او كمخيم ما بتعطيك مجال انك تعيش زى ما بقوا في بيت جبرين. في رمضان مخيلتي زى ما ما بقت تحكيلي والدتي ويحكيلي ابوي وعمامي انهم باقيين يقعدوا ويلتموا مع بعض في الحارات يفطروا مع بعض.بقوا يظلهم يروحوا عالمواسم ، في المواسم وفي الموالد بقوا يروحوا عليهن بس انا مبعرفش عنهن أي اشي لأنه معشتش في بيت جبرين ، بس بيت جبرين بتظلها في في النهاية في ذاكرة كل انسان بترجع اصوله وجذوره إلى بيت جبرين .

من الاسماء إلي بتداول كثيرا انه مختار البلد باقي يونس العزة هاظا كمختار كيف تم انتخابه كيف تم حطّه مختار يعني هذه شغلة بعرفهاش، معروف مش بس على مستوى بيت جبرين على مستوى فلسطين ككل وعلى مستوى محافظة الخليل كمان إلي هو الشيخ عبد الرحمن العزة من الزعامات الفلسطينية إلي كانت موجودة ويمثل المحافظة، من رجالات السياسة ومن رجالات الاصلاح والعائلة، على حسب ما بحكوا الكبار في السن انه باقي في الو اتصالاته مع الامير عبد الله ومع المصريين يعني علاقاته واسعة. في النهاية الانسان لما بدو يحكي بحكي عن عائلته يعني، بدو يعطي معلومات عن عائلته، إلي من دار العزة بعطي معلومات لابنه ولابن ابنه عن دار العزة، ما بعطيه معلومات عن عائلات ثانية. حسب ما هو معروف من جماعتنا انه المختار هو حلقة الوصل ما بين السلطة او الحكومة وما بين أهل البلد هذا بالنسبة للمختار اما واحد زى عبد الرحمن يعني في النهاية بقى معروف انه هاظا زعيم على مستوى فلسطين على مستوى المحافظة وعلى مستوى البلد محدش يطلع عن رأيه، خلص اذا حكى كلمة تمشي،في النهاية كل البلد بدها تتبع الو يعني مفش مجال انه حدا يخرج عن طوعه او شوره يعني اذا حكى كلمة خلص انتهى.

من العائلات إلي كانت في بيت جبرين بالإضافة لدار العزة خلينا نقول مثلا الشوابكة من العائلات الكبيرة في بيت جبرين والي هي في النهاية تقسمت بعد ال 48، تقسمت لعائلات فرعية، الدعاجنة إلي هم بضموا دار ابو طربوش وفي ناس عندنا في المخيم بحطوا اسم دعاجنة، يعني من الافرع إلي عايشين عندنا في المخيم في دار القيسي اصلهم برجع لبيت جبرين، في دار الحموز إلي هم عائلة برضو بترجع اصولها لبيت جبرين، المرازيق.

دور المرأة في القرية الفلسطينية حتى حاليا واقع القرية بختلف عن واقع المدينة دور المرأة معروف إلي هو انها ربة بيت اذا في اراضي ممكن انها تطلع تساعد جوزها تساعد ابنائها في الارض، نقول يعني انه المرأة الها

دور مؤثر في اتخاذ القرارات في هظاك الوقت ما في الها دور، انها متعلمة ما بنقدر نقول انها كانــت متعلمــة، ممكن التعليم البسيط الابتدائي اكثر، في فرق واضح جدا جدا حاليا، الوضع الاقتصادي والوضع السياسي اصــبح يحتم على الفتاة الفلسطينية انها تكون متعلمة حتى تقوم بدورها بشكل واضح وصحيح في تربية الاجيال.

في فرق واضح جدا – مع احترامي لكل العائلات – انا بلاحظ شغلة واضحة جدا خاصة في واقعنا احنــا انــه اكثر النساء إلي بتعلمن بتلاقيهن من دار العزة في بيت جبرين وفي الوقت الحالي، يعني لو بدنا نســوي دراســة عن مخيم العزة بتلاقي انه اكثر الفتيات إلي بطلعن يدرسن في الجامعات بتلاقيهن من دار العزة الاغلبية، تفسيري انا انه واقع دار العزة بختلف تفكيرهم ممكن الاتجاه السياسي تبعهم بختلف، كمان الو علاقة بالجذور من ناحيــة تاريخية.

بالنسبة للتعاون حسب انا ما بسمع مثلا من والدي ومن امي ومن اعمامي ومن قرايبي باقيين يتعــاونوا مــع بعض، يعني باقيين على زمان بيت جبرين اذا واحد بتأخر في الحصيدة او في البذار او بدو يبني بيت انــه الكــل يجي يساعده هاظا بقى من اوجه التعاون الموجود، في شغلة ثانية إلي هو مثلا اذا واحد من كبار العائلــة حكــى كلمة خلص انتهى محدش بناقش خاصة من الجيل الاصغر منه خلص كلمته مسموعة خلص اعطى موقف انتهى، الايام هذه في وضعنا ممكن تلاقي في نوع من التعاون في نوع من المساعدة في بعض الاحيان في نطاق ضــيق جدا، باب الاحترام كمان يعني مش عند كل الناس مش الكل بحترم من هو اكبر سنا حسب التربية.

حسب ما سمعنا انه بيت جبرين تعرضت لعدة محاولات لاقتحام بيت جبرين، وضعهم ممكن كقرية كــان فــي السابق بريطانيا محتلة لفلسطين وبقت مانعة اشي اسمه سلاح والي بمسكوا معه سلاح ممكن ينحكم احكام عالية جدا وممكن ينعدم وهاظا بقى واقعهم، يعني انه بقى عندهم اسلحة بكميات ضخمة مفش وانهم يقــدروا يقــاوموا مبقدروش، كمان ممكن دور الجيوش العربية إلي بقت موجودة في هذيك المنطقة محدود كمان امكانيــاتهم بقــت محدودة ممكن هذه من الاخطاء التاريخية إلي صارت انه تم الاعتماد على الجيوش العربية إلي جايــة مــن بــره علشان ادافع عن فلسطين، يعني الجيش المصري قدم ما عليه الجيش الاردني بقى محكوم من كلوب باشا مفــش مجال انه يقف مع الفلسطينيين ضد اليهود، هالحين تعرضت بيت جبرين لعدة محاولات لاقتحامها، ممكــن يعنــي قاتلوا ناضلوا قدموا إلي بقدروا عليه بس ما في عندهم ثبات او القدرة على الاســتمرارية فــي النضــال مفــش مقومات للاستمرارية عشان هيك بصفي انه مفروض فرض عليهم، ومعروف انه الطائرات الاســرائيلية قصــفت بيت جبرين، وفي النهاية برجع وبقول انهم ناس بسطاء الفلاح بظل فلاح يعني تفكيره في هذيك الفترة انهم هــم يعني اصلا في النهاية ما كان عندهم الوعي الكافي انهم يظلوا متمسكين في الارض، عشان هيك انا بشوف انهــم خرجوا من بيت جبرين وطلعوا بدون ايّ اشي، بنلومهم انهم محافظوش على ارضهم بعدين بقت الفكــرة عنــدهم زى ما اقتنعوا من الجيوش العربية انه اطلعوا يومين ثلاثة اسبوع وبتعاودوا ترجعوا، كمان الجهــل إلــي بقــوا عايشين فيه انه يوم ما سمعوا الدعايات انه صارت مجزرة دير ياسين وما حدث فيها وفي القرى الفلسطينية إلي في الشمال وخوفهم على عرضهم خلاهم يطلعوا ، يعني الدعاية الصهيونية بقت قوية جدا ، ومــش بــس احنــا كفلسطينيين او كناس بقينا عايشين في بيت جبرين ولكن كشعوب عربية كاملة ما بقى في عندنا دعاية او اعــلام او اية مقومات للتوجيه السياسي انه اثبتوا في ارضكم وقاوموا وخليكو موجودين في اراضيكو ما تتهجرو ومــا تطلعو من قراكم .

حسب معلوماتي من الختيارية وتاريخيا انه من الاسباب الرئيسية لخروج او تهجير أهل بيت جبــرين كمــان القرى الفلسطينية الثانية انه جهلهم هاظا واقع، غير متعلمين هاظا واقع، الدعاية الصهيونية بقت قوية جدا وجهل الناس ساعد هاظا الحكي يعني خلينا نقول انه اذا استشهد اثنين ثلاثة اربعة في قرية من القرى يصيروا اذا مشوا

من الشمال للجنوب يصيروا ميّة، هذه الروايات إلي غير دقيقة بقت تنتقل تحولت لاشاعات وكان الطابور الخامس يشتغل وفي النهاية القوة العسكرية ما بقى في جيش فلسطيني معاه سلاح ويقاوم بقى اعتمادهم علـى الجيـوش العربية الجيش المصري والجيش الاردني وعلى المتطوعين العرب إلي بقوا ييجووا، لو كان عندهم اسلحة كـان عالاقل قاوموا بشكل محترم ممكن يستشهدوا ميّة في النهاية قرية بيت جبرين بقى عدد سـكانها حـوالي 3500 نسمة لو راح منهم مية متين وظلهم في اراضيهم.

بغض النظر عن حجم المقاومة انا مثل ما سمعت انه باقي في مقاومة بس مقاومة محدودة يعني عدد بسـيط جدا يعني ما بقدر اقول كل بيت جبرين بقت تقاوم هالامكانيات إلي بقت موجودة ممكن يعني كل اثنـين او ثلاثـة تشاركوا وشروا بارودة او كل عشرة لما انهم قدروا يجيبولهم بارودة انجليزية قديمة بشان يقاوموا فيها، بعـدين يعني لو انهم اشتروا كميات ومفش امدادات الهم بتنتهي، يعني من سنة 1917 ووعد بلفور إلي هو رئيس وزراء بريطانيا اعطى اليهود حق الملكية في ارض فلسطين هاظ من وعد بلفور وفي مـؤتمر بـازل سـنة 1898 فـي المؤتمر الصهيوني الاول تم اختيار عدة مناطق من قبل الحركة الصهيونية العالمية من ضمن المناطق إلي بقـت مطروحة فلسطين كوطن قومي لليهود وتم العمل من قبل الحركة الصهيونية من 1898 إلى 1917 وهم يشـتغلوا على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين لما انهم في النهاية قدروا يوخذوا وعد بلفور في بريطانيا إلـي هـي دايما متواطئة مع اليهود ومش رايحة تتغير، انا بالنسبة لي اكثر من مرة حكيت لأبوي ليش تطلعوا؟ هاظا موقفي الشخصي، يعني انا شخصيا بلومهم حتى بعد ما عرفت الظروف إلي مروا فيها، انا بقيت اقله انا لو بقيت محلكـم لو بموت في بيت جبرين ولا بطلع في النهاية ارضي والي بطلع من داره بنقل مقداره وهاظا مثل شـعبي قـديم، ممكن يعني بحكم انه انضحك عليهم انه اطلعوا يومين ثلاثة اربعة اسبوع وبترجعوا انا متأكد لو بقوا يعرفوا انهم بدهمش يرجعوا وبهم يظلوا لاجئين في وطنهم او يصيروا نازحين في الاردن او في البلـدان العربيـة او بلـدان الشتات كان مطلعوش.

بالنسبة لأهلي اول ما طلعوا من بيت جبرين عاشوا في الخليل ومن بعد الخليل انتقلوا لاريحـا ومـن اريحـا عاودوا رجعوا هان على بيت لحم على المخيم ما بقى اسمه مخيم العزة في البداية اتجمعوا في بيت لحم لما انـه تم إنشاء مخيم العزة تجمعوا كلياتهم واجا الصليب الاحمر ووزع الخيام وقعدوا في الخيام وثبتوا هانا، بشكل عام اكثر ناس موجودين في مخيم الفوار في قسم في مخيم العزة هانا في قسم، الاغلبية حاليا في الاردن فـي مخـيم سوف/ جرش، يعني حسب معلوماتي انه الأغلبية إلي اصولهم من بيت جبرين هم في مخـيم سـوف او مخـيم جرش، يعني انا أعمامي الاثنين يعني أخوة ابوي الاثنين واولاد عمي كلياتهم موجودين في مخيم سوف بالإضافة لدار الحموز والقيسي كعائلات موجودين في مخيم سوف.

طلعوا من بيت جبرين كمجموعات وخروجهم متحملش يومين او ثلاثة بالكثير وعلى حسب ما بحكي الوالد انهم خرجوا في شهر عشرة ال 48 وانا بالنسبة لاهلي بقى وضعهم الاقتصادي بقى افضل طلعوا في باصات ومحملين اغراضهم الاواعي والاولاد كلياتهم وطلعوا مع بعض. شهداء في بيت جبرين ما سمعتش بس ممكن بعد الخـروج من بيت جبرين في ناس تم قتلهم بشكل عامد ومتعمد لانهم رجعوا على بيت جبرين، بقوا مـش معنيـين حتـى اليهود انه حدا يرجع.

انا يعني في النهاية بقول انه إحنا كشعب فلسطيني أو كلاجئين موجودين انا حقوق شرعية ومشـروعة مـن الأمم المتحدة ومن مجلس الأمن ومن جميع الشرائع في الدنيا حتى لو فش قرار من الأمم المتحدة بخصوص حق العودة في النهاية انا موقفي قد ما أعيش في المخيم انا لازم في يوم من الأيام ارجع لوطني لبلدي إلي تم تهجيـر أهلي وعائلتي منه، السياسة ما بتعطيني الحل، السلطة الوطنية الفلسطينية إلها حوالي 12 سنة وهم يتفاوضـوا

مع اليهود، وإذا في مجموعة وقعت على اتفاقية جنيف إنها هذه المجموعة بتمثلني انا كابن مخيم كلاجئ عـايش في فلسطين أو بتمثل لاجئين الشتات، انا في رأيي إنها زمرة مأجورة بدهم يبيعوا بياعين وطن، بشتغلوا لمكاسب مادية معينة بعتبرهم مش ناس وطنيين بناضلوا من اجل وطنهم، إحنا كلاجئين ولا يمكن في يوم من الأيـام انـا نتنازل عن حق العودة إلي أراضينا وقرانا المهجرة وهاظا ألحكي بنطبق مش بس على اللاجئين الموجودين فـي فلسطين اللاجئين الموجودين في لبنان وسوريا والأردن هاظا حق مشروع النا، والتعويض في النهاية مرفـوض، فالعودة حق طبيعي، انا صح انولدت هانا في مخيم العزة بس جذوري بترجع لبيت جبرين ومثلي كمثـل ملايـين اللاجئين الاخرين.

المعلومات إلي بتخص بيت جبرين عادات وتقاليد واحداث بيت جبرين هي من الوالد ومـن الوالـدة ومـن هالكبار في السن في عائلتي، طبعا المصادر كثيرة ومتنوعة يعني دراسات الواحد بقى كتيبات يقعن بـين ايديـه يقراهن هالقصص الموجودة عن النكبة الفلسطينية وعن حرب ال 48 إلي سموها حرب وهي لعبة بقت كلياتها.

حاليا الاطفال او اولادنا يعني بهتموا للتلفزيون للامور المرئية بتجذب انتباهم اكثر، مثلا انـا تابعـت باهتمـام مسلسل التغريبة الفلسطينية وبعتقد انه ساهم في توضيح صورة القرية الفلسطينية اللي كانت عليها قبل النكبة في اذهان هذا الجيل وانا عندي انتقاد إلي هو يعني كسلطة فلسطينية حاليا موجودة ما شفت انهم فكـروا او سـاووا برنامج عن قرى فلسطينية تم تهجيرها في ال 48، السبب انا ما بعرف، ممكن التقصير الموجود يتم علاجه فـي يوم من الايام بس في النهاية هاظا تقصير، يعني انا لو في عندي امكانية وابقى صاحب قرار ممكـن اول حاجـة اسويها إلي هو برامج وثائقية عن القرى المهجرة من ال 48 وكل قرية بقريتها عشان كل طفل كل ولد كل بنـت كانوا اهاليهم عايشين في هذه القرية يكون عندهم معرفة عن قريتهم.

انا لما بقعد مع أولادي في الدار أو لما بدو ابني يكتب موضوع إنشائي عن قرية عن حياة معينة بحاول إنـي أوجهه انه يكتب عن قريته الأساسية يعني عن بيت جبرين، بزرع في أولادي حاليا انه أصلكم من بيـت جبـرين ولازم تظلكم مربوطين في بيت جبرين.

المقابلة رقم (12):

السيد بسام عبد الله الشوابكة، 32 سنة

بالنسبة لبيت جبرين هي قرية من قرى ال 48 وتعتبر من القرى الهمة وذلك لوجود يعني تجمع سـكاني كـان فيها، قرية كانت زراعية في الدرجة الاولى، تجمع فيها مجموعة كبيرة من العائلات على الرغم من قلة العـدد الا انه هناك كثرة في عدد العائلات فيها، تقع تقريبا في منطقة الجنوب وتم احتلالها في عام ال 48 لكن الاحتلال مـا احدث أي نوع من التغيير على بنية البلد وذلك لأنه اعتبرها بلد تاريخية وجدوا فيها كثير من الآثـارات لوجـود اقوام متتالية عليها من بيزنطيين ومن الرومانيين ومن الكنعانيين وجدوا الكثير من الآثارات، وهذا الامر دفعهـم لعدم البناء او انشاء منشآت فيها وهي قائمة حتى اليوم. ما سمعت انه الهم (اليهود) آثار فيها او وجـود لكـن الاثار الموجودة فيها هم استغلوها من ناحية مادية لأنه هذه الاثار جذبت سياح من داخل فلسطين وخارج فلسطين وكان الها مردود مادي كبير جدا، يعني انا زرت القرية تقريبا فيس عام 1990 وكا هناك في عملية بحث وتنقيب فيها ووجدوا فيها الكثير من القطع الاثرية من فخار وزجاج ومقابر قديمة واسواق قديمـة وعمـلات بيزنطيـة ورومانية وهم ببحثوا وبتحروا من اجل انهم يجدوا أي شيء يمت لليهود بصلة لكن ما سمعت لليوم انهم تمكنـوا من ايجاد شيء يمت لليهود بصلة.

المواقع الاثرية إلي انا شفتها تمكنوا من ايجاد مجموعة كبيرة من الآبار إلي ربما تعــود للعهــد الرومـــاني ومنها بئر ضخم يعني لو اكتشفوها أهل بيت جبرين وقاموا بتنظيفه لتمكنوا من الشرب من مياهه اذا امتلأ لفترة طويلة جدا من الزمان، ايضا في هناك كنيسة موجودة لكنها تعود إلى ازمان سابقة جــدا وربمــا تكــون كنيســة بيزنطية، ايضا هناك اسواق اما بيزنطية او رومانية موجودة تحت الارض، العملات كثيــرة جــدا مــن بيزنطــي وروماني وخلافه موجودة بشكل كبير جدا، ايضا القبور وهذه القبور تعود ربما للعهد الكنعاني، هذه تقريبا الاشياء الاثرية الموجودة فيها.

أهل البلد تقريبا قائمة العلاقة بينهم على البساطة يعني طبيعة النسيج الاجتماعي إلي كان موجود فــي بيــت جبرين نسيج بسيط لأنه العائلات طبيعتها كانت بسيطة، كانوا الناس بعتمدوا في حياتهم علــى الزراعــة وعلــى الرعي فما كان يعني في فكرهم وفي وجدانهم مسألة التصنيع او مسألة التطور الحضاري، بناء عليه يعني كـــانوا كلييتهم في مستوى تقريبا اجتماعي واحد، يعني الفوارق الاجتماعية ما كانت كبيرة جدا، الطبقات الاجتماعية مـــا كانت كبيرة جدا، يعني حتى المشايخ والكبارفيهم ما كان اختيارهم بسبب غنى مادي الا انه الاختيـــار كـــان لأنـــه الانسان هاظا بفهم.

لو نظرنا للمساحة الكلية لبيت جبرين فهي مساحة كبيرة جدا، والتواجد السكاني فيها كان في موقع معــين، هاظا ربما يعزى إلى اقتراب الناس من بعضهم البعض بسبب الخوف، خوف من اللصوص خوف مـــن الوحـــوش الضارية، خوف من هجمات من قرى اخرى او من اعداء، هذا التجمع اوجد بينهم نوع من الالفة يعني كلهم كانوا تقريبا كاسرة واحدة، هذا الامر بتجلّى في علاقاتهم التعاونية، اذكر انه الختيار والدي –الله يرحمه- كـــان ينبـــه للقضية هذه او يشير الها يوم ما يتحدث عنهم انه كانت الناس تتآزر في كل شيء في الافراح في الاتراح في أي مناسبة اجتماعية كانت تتآزر طبعا هاظا بنعكس او بنسحب على الطابع التعاوني بينهم.

مع القرى المجاورة كانت العلاقة طيبة لكن كانت نفس قرية بيت جبرين والقرى المجاورة بتحـــاول تظهـــر تفوقها، أي قرية بتحاول تظهر تفوقها ربما السبب انه يعني ايجاد نوع من الرادع للقرى الاخرى في حـــال انهـــا فكرت في الهجوم على قرية ثانية، علشان هيك كانت القرى في أي قضية تلاقيها كلها وقفت دفعة واحدة باتجـــاه القرية الاخرى إلى ان يتم حل المشكلة، يعني قطع مثلا الطريق على القرية الاخرى، سبي اغنامهم احيانا يعني اذا كانت القرية الاخرى معتدية يضطروا انهم يقطعوا الطريق عليهم لحتى ما تعترف القرية الثانية بخطأهـــا وتحـــل الاشكال، طبعا الهدف ما كان بحد ذاته هو المقاتلة لكن الهدف كان رادع للقرى الثانية.

مسألة الكِبرى في البلد هي مسألة مش قائمة على الناحية المادية لأنه الناس بطبيعتها ما كانت تنظـــر لهـــذه الظاهرة انه انا كبير عالاخرين او انه انا اتفوق عليهم، عدد العائلات بسيط كثرة عائلات وعدد بسيط يعني اكبـــر عائلة يمكن تعدلها عشرين ثلاثين رجل، القضية الاخرى هي مســـألة اعتمـــادهم فـــي حيـــاتهم علـــى الزراعـــة وانشغالهم، انشغالهم في الزراعة وانشغالهم في رعي الماشية وانشغالهم في حياتهم العملية منـــع تطـــور هـــذه الظاهرة او النعرة القبلية عندهم، لكن يعني كان في هناك كبير للبلد بشكل عام إلي هو بتردد على كل الالسنة إلي هو عبد الرحمن عبد اللطيف العزة يعني هاظا كبرته اجت من اتصاله ببريطانيا مش هو إلي سيد نفســـه عالبلـــد، بريطانيا ومنحها للقوة الو هي إلي سيدته على البلد، ومن ناحية وعي ايضا، يعني انا بذكر قصة مثلا انه في كـــل البلد ما كانش الا راديو واحد وهاظا الراديو كان موجود عنده عند عبد الرحمن عبد اللطيف او ربما عند ابوه او عيلته وكانوا المشايخ او الكبار في البلد يروحوا يقعدوا عنده وفي اليوم إلي هو ما بدو اياهم يتواجدوا عنده كان يقلهم فلان عن واحد من اولاده اخذ المفتاح تاع الراديو وراح يروحوا ببساطة فيعني الجهل إلي عند الناس جعلته يسيطر عليهم لأنه هو كان واعي اضف إلى ذلك إلي هو مسألة القوة فالسيطرة من قبل عبد الرحمن علـــى البلـــد

كانت مبنية على القوة ، القوة الداعمة مش بفضل عائلته لأنه لو تجمعت عائلات البلد او عائلات القريـــة لكانـــت اكبر بكثير من عائلة عبد الرحمن عبد اللطيف ولكن القوة الداعمة الو من بريطانيا ،الناس كانوا متقبلين الوضـــع من باب انه هذا الانسان كبير وإذا اجا أي وفد او أي شخصية كبيرة او حدوث أي عائق على البلد ربما هو يحلّه ، يعني الناس دائما بتحتاج لانسان كبير يكون مسؤول عنها ، فهو كان بمثابة العمدة او شيخ البلد او كبير البلـــد على الرغم انه موجود ناس من كل عائلة مسؤولة عنها لكن مسؤوليتها لا تتعدى حدود العيلة يعنـــي لـــو صـــار خلاف داخل العيلة بلجأوا لهاظا الانسان ما بلجأوش مثلا لعبد الرحمن عبد اللطيف يعني خلاف داخلـــي بتحلـــه العيلة فيما بينها .

المناسبات يعني بترتكز على الأعياد لانها للجميع إلي هي العيدين عيد الفطر وعيد الأضـــحى، بالنســـبة لعيـــد الفطر كانت الناس تنتظر وتراقب إلي هو خبر او من الشيخ من البلد انه هو يبلغهم كانت الناس علـــى البســـاطة ربما يصوموا ثلاثين او تسعة وعشرين يوم يعني اذا قال شيخ البلد انه بكرة العيد خلص كل الناس تعيد يحطوهـــا في رقبته ولو خلاهم يصوموا خمسة وثلاثين يوم كان بامكانه الامر، وطبعا العيد بطبيعته سواء الفطر او الأضحى يعني كان في الامور غير متغيرة ثابتة مثل زيارة القبور والاوليا والاضرحة في بيت جبرين او المحيطة وعمليـــة زيارة الرحم ويلفوا على بعض لأنه قرية صغيرة والي مارق من اولها لاخرها كان يسلم على الجميع.

الافراح والاتراح يعني كانت متشابهة في الكم الجماهيري إلي كان يقوم فيها وتأثيرها على البلد بشكل عـــام، فكانوا ربما حوالي ثلاثين لاربعين يوم وهم يغنوا وحوالي ثلاثين لاربعين يوم وهم حزنانين على شخص فقـــدوه، طبعا هاظا الامر برجع لمسألة عدم انشغالهم الناس اليوم متعاضدة لكن انشغالها بمنعها انها تستمر لهذه الفتـــرة، يعني اليوم الواحد بغني ثلاث ايام وما بصدق جاره وهو ما بصدق ويخلص ويفتك من هالقصـــة، نفـــس الشـــيء اليوم بفتح بيت أجر او ميتم بقعد ثلاث ايام وما بصدق وهو يفتك لأنه هو عنده مشاكل والناس الاخـــرين ايضـــا عندها مشاغل، لكن هم انشغالهم ومشاغلهم كانت قليلة، يعني هو بدو يحرث وبدو يـــزرع وبـــدو يطلـــع يرعـــي والمسا بدو يرجع ويقعد سواء في الفرح او في بيت الاجر فهو ما هو سائل عن قضـــايا اخـــرى ربمـــا يظلـــوا سهرانين لوجه الصبح.

رمضان ربما انه كانت العلاقة فيه مبنية على التآزر او التقارب بسبب التجمع علـــى فكـــرة واحـــدة الصـــوم والتجمع لحظة الافطار، يعني إلي طابخله خبيزة والي طابخله كشك والي طابخله فريكة او أي شيء كل واحد كان يجيبله صحن ويقعدوا يتجمعوا كليتهم مش الجميع يعني إلي الو رغبة كانوا يتجمعوا في بيت للجميع او المقعـــد او الديوان كانوا يقعدوا فيه ويتم الافطار فيه وكانوا يطلعوا في صدقات قدر الامكان وكانت صدقاتهم عينية لأنـــه الناحية المادية كانت قليلة يعني شو بتوفر عنده من قمح من ذرة يعني من مزروعاته او من المشتقات الحيوانية إلي كانت عنده.

الاضرحة والمقامات انا تقريبا بذكر اثنين إلي هو الشيخ تميم والشيخ او النبي جبرين وانا زرت الشيخ تمـــيم تقريبا في ال 91 وهو بقع في المنطقة الغربية من بيت جبرين يعني هو هالحين خارج محـــيط الكيبـــوتس إلـــي وضعوه اليهود يعني هو في العراء، ما في أي نوع من الاهتمام فيه لكنه قائم بحجاره لا زال قائم، هـــذول إلـــي تقريبا بذكر او إلي تواردوا على مسمعي وكانوا يروحوا عليهن. هم في الناسبات كانوا يـــزوروهم مـــع المقـــابر الخاصة فيهم لكن كانوا يشعروا انه فيهن شيء مقدس وحتى اليوم يعني للساعة هذه لو رجعت لأي شخص مـــن إلي عاشوا في البلد وقلتله اليهود بدهم يهدوا مقام الشيخ جبرين بقلك مستحيل الولي بطلع وبحـــرقهم وبـــدمرهم وكذا والى آخره، يعني هم كان وهم انه هذا القبر بضم رفات انسان عظيم وهذه روحه تعمل والو بركـــات لـــذلك كانوا يتوجهولوا في عدة امور إلي كان ينذر نذر ربما يروح ينذره عنده يذبحه، إلي بدو يدعي ومحتاج للاستجابة

كان يتوجه الو يعني يدعي بجوار هذا الضريح او المقام، فكان الها طابع ديني متعمق فيه التصوف ربما، يعني الها تأثير ديني كبير مش سهل عليهم.

عائلة المهدي كانوا في البلد دراويش لما تحرينا عن المسألة هذه بقلك كان منهم ناس ماشيين على الطريقة الصوفية إلي هي الدراويش وعندهم العدة من الصنجات والصاجات والطبول، هذول الناس كمان كانوا يحيوا احتفالات دينية ذكرى الملد النبوي، فترة الأعياد اذا استدعيتهم في طهور او خلافه كانوا يجووا يعملوا احتفال واناشيد دينية، هذول ايضا كانوا يهتموا بالاضرحة بالرغم انه الجميع كان يهتم وكان يمنع عنها أي ضرر ويقدموا أي شيء يعني لو طلب منهم يقدموا ذهبهم كانوا يقدموه لهالاضرحة لانهم كانوا يشعروا انه فيها شيء مقدس فهاظا الاهتمام من الجميع وتحديدا منهم من المشايخ هذول إلي كانوا موجودين في البلد.

المرأة كان إلها ادوار كثيرة ومتعددة وربما أكثر من الرجل لأنها كانت تنجب وتربي وتخدم الزوج وتقوم بالأمور والمهام البيتية وفوق هذه الامور يلحقها العمل في الحقل وفي الارض مثل الرجل في حين انه الرجل كان يعتمد عمله على الرعي او الحراثة او الزراعة، لكن هي الامور المنزلية والامور الحياتية من العناية بالاطفال والزوج اضف إلى ذلك إلي هو العمل في الارض او مساعدة الرجل في الارض، فمن هذا الباب كان عليها حمل ثقيل فدورها كان دور عظيم ما حدا بنكر هذا الامر، ولكن من حيث التأثير الاجتماعي ما كان الها تأثير اجتماعي لأنه يعني المجتمع إلي كان في بيت جبرين يعني يشابه إلى حد ما المجتمع القبلي، الاجتماعات للرجال والمقاعد والمجالس للرجال، النقاش وتقرير أي أمر بعود للرجال اللهم انه المرأة كان دورها التنفيذ. اذا قرر الرجل أي أمر يعني كان الرجل يتزوج مش كثير تناقش، مش مثل اليوم ربما تضج ربما الها رأي، في تقرير أي قضية اذا صار أي حدث او مشكلة سواء في داخل العائلة او خارج العائلة ما كان الها أي نوع من التأثير في القرارات. واحترامها نابع من جانبين او ثلاثة، الجانب الاول هو ناحية القرابة في غالبية الزيجات، لو بحثت في الزيجات إلي كانت موجودة في بيت جبرين او في المجتمعات المشابهة راح تلاقي انه اغلب هذه الزيجات كانت بين اقارب، اضف إلى ذلك انه عملية حصول الرجل على مرأة ما كانت بالامر البسيط لأنه بتحتاج إلى مهر وبتحتاج إلى بيت وبتحتاج إلى اعداد لهذا الامر فما كان الرجل انه يضحي بهذا الامر ببساطة، أضف إلى ذلك إلي هي مسألة الأسرة فالرجل من الصعوبة اذا طلق او انه انهى الحياة الزوجية تيجي امرأة اخرى وتربي ابنائه، فلذلك كان يتمسك بالمرأة من هذه النواحي اضف لذلك انه كان يحتاجها عضو او فرد جديد يساعده في عملية الانتاج، في الزراعة في الرعي، فمن هذا الباب كان نابع احترامه للمرأة.

لحظة الخروج يعني ما تمت بسهولة وكان الخروج يعني مثل الحلم، يعني لو رجعت لأي ختيار من بيت جبرين وتسأله كيف طلعتوا ؟ الجواب بعرفش، كيف بتعرفوش بقلك بنعرفش اطلعنا الا احنا برًّ البلد، صار احداث لكن العملية الانتقالية من داخل القرية إلى خارج القرية تمت مثل الحلم، الناس ما خرجت يعني حملت اغراضها وخرجت كل العائلات في ليلة ويوم لا، العائلات كانت تقاسي وتعاني من الهجمة الاسرائيلية المتوالية، ختيارنا يوم يخرف يقول الناس تلجأ في عندنا مغارة كبيرة يوم يصير قصف يوم يصير خوف تلجأ للمغر للطيران يتخبوا فيه، وفي النهار يعاودوا يرجعوا لساحة بيت جبرين وللعمل في الليل يعاودوا يرجعوا للطيران طبعا هاظا خوف، هذه القضية تكررت إلى ان جاء يوم يعني يوم التشريد هذا اليوم ارتكز على عدة امور، انتشار اخبار القرى المحيطة إلي دمرت او تمت الهجمة الصهيونية عليها، قضية اخرى إلي هو ارتكازهم الكبير على كبير البلد إلي هو عبد الرحمن عبد اللطيف يوم الناس شاهدته انه طالع برّ البلد ومحمل اغراضه شعروا بمدى المصيبة إلي ربما تحل بالبلد، يعني اذا كبيرنا حامل وطالع من البلد وهو اعرف بالسياسات وبالامور يعني الامور إلي ما كانوا يفهموها هو كان يفهمها، فاذا هاظا الانسان محمل اغراضه وطالع اذا في خطر كبير يحيق بالبلد عمّا قريب، اضف لذلك

إلي هي عملية القصف من الطائرات، الطائرات ما كانت تقصف على الناس بهدف القتل بقدر ما هـو تخـويفهم وترويعهم للاستيلاء على الارض لأنه اليهود كانوا معنيين في بعض المناطق باحداث مذبحة وكان الها هدف مثل دير ياسين، مثل ما قال مناحيم بيغن كان لا بد من مذبحة دير ياسين حتى تنشأ او تقوم دولة اسرائيل. طبعا هـي كان الها الاثر في التأثير على القرى المحيطة، أضف لذلك إلي هو الاعلام العربي كان له اثر سـيء جـدا علـى الناس، الاعلام العربي نشر اخبار إلي هي المجازر وهوّل المسألة، لو ظل الاعلام العربي متكتم على الامر لأنـه سبل الاتصال بين القرى كان ضعيف، فلربما ظل لدى الناس من القوة النفسية والاستعداد للمواجهة، فهـم كـانوا مهيئين نفسيا انه اليهود كانوا عبارة عن سفاحين ومدرين وبحرقوا كل شيء امامهم كل هذه الامـور مجتمعـة اضف لذلك الخلافات بين الجيوش العربية وتحديدا الجيوش إلي كانت متمركزة في بيت جبرين وفي محيطها إلـي هي الجيش المصري والجيش الاردني، وانا في نظري الشخصي بعتبر انه مسألة الدفاع عـن فلسـطين عامـة والدفاع عن بيت جبرين والقرى المحيطة فيها هي عبارة عن مسرحية لأنه كم الجيوش العربية إلي كانت مشاركة في هذه الحرب كان قادر على سحق اليهود سحق تام ولكن الامر كان عبارة عن مسرحية وتسليم منظم من الدول العربية لليهود لأنه لم يتم حرب فعلية بينهم وبين اليهود، كانوا أهل بيت جبرين واهل عراق المنشية واهل ديـر ياسين اكثر جرأة على اليهود واكثر قدرة على المحاربة والمقاتلة والصمود من نفس الجيوش العربية إلي كانـت مشاركة، فهذه الامور مجتمعة دفعت الناس للخروج ولكن الناس ما خرجت بدافع انه الخروج دائم والدليل علـى ذلك انهم استقروا في منطقة السنابرة خارج البلد بانتظار العودة لأنه هذه الاحداث لن تدوم يعني رايحـة تسـتمر يوم يومين اسبوع شهر لكن راح تهدأ الامور ورايحين نعود للبلد يعني ما حملوا اغراض ما حملوا الا ما يقوا فيه اجسادهم والقليل من الطعام، لكن في المقابل استمر الامر وانهزمت الجيوش العربية، هي هزمت انفسها وخرجت من بيت جبرين وسلموا اليهود بيت جبرين.

فيما بعد تم الاستقرار في منطقة إلي هي بجوار منطقة اذنا واسمها بير السفلى نصبولهم الخيام وبـدأت مـن هان عملية اللجوء، تم تقديم الخيام وبعض الاغذية والماء الصالح للشرب وبدأت هذه العملية ثم فيما بعد جهـزت المخيمات وبدأ نقل الناس بصورة تقريبا منظمة للمخيمات للاستقرار إلي هو يعني بعتقد مدروس مسبقا انه كـان استقرار دائم.

البلد كان قيها مقاومة عناصر من البلد وعناصر من خارج البلد لكن حجم او كم المقاومة لا يتعدى ربما واحد على ميّة والسبب بعود لقلة السلاح، وبالنسبة للجيوش العربية كانت هناك خلافات بين الجيش المصري والجيش الاردني وهذا بحد ذاته اثر سلبا على العرب وساعد اليهود بطريقة غير مباشرة فاول اشي كان الجيش الاردنـي وانسحب ومن ثم دخل الجيش المصري وبعد خروج الجيش المصري استطاع اليهود انهـم يـدخلوا البلـد لأنـه المقاومة لوحدها ما بتستطيع انها تحمي البلد، الناس في بيت جبرين او القرى المحيطة فيها كل حياتهم معتمـدة على الزراعة فما كان هناك أي أمر يدعو لاقتناء السلاح الا في الاونة الاخيرة لما شعروا بالخطر وشعر الثوار او بعض الناس المتطلعين على هذا الامر نبهوا بعض الناس واشاروا انه لا بد من اقتناء السلاح فكانت عملية اقتناء السلاح بحجم قليل جدا، أضف لذلك إلي هو عدد الرجال المشاركين يعني ربما تجد من عائلة بأكملها رجل واحـد، ما في تهيئة ما في تدريب يعني الناس لم تتلقى في الوقت إلي كانت فيه الناس نايمة او غافلة عن الامر في هـذا الوقت كانت بريطانيا تعد الجيش الاسرائلي وتجهزه في معسكراتها وتدربه على احدث الاسلحة وتـزوده باحـدث الاسلحة وبمقابل هذا الشيء ما كان بمقدور الناس صد أي هجوم ولو كان بسيط على قراهم لقلة العون والمـدد من السلاح، المقاومين كانوا موجودين لكن حجم المقاومة كان قليل تبعا لقلة السلاح وقلة عدد الرجـال. النـاس هابت وخافت والدليل على ذلك انهم خرجوا من بيوتهم الطينية والتجأوا للجبال خاصة في الليل دليل على خـوفهم

لكن في المقابل ما خرجوا من البلد، الامر إلي دفعهم للخروج من البلد هو القصف يعني العمل العسكري كان متمم للعملية النفسية إلي كانت سابقة للامر، يعني جهزوهم نفسيا للانهزام وللتراجع ثم جاء العمل العسكري هذا العمل إلي كان يعني الشعرة إلي قصمت ظهر البعير واخرجت أهل بيت جبرين واهل القرى المحيطة من بيت جبرين من اراضيهم.

انا بذكر انه ابوي بقى يقول انهم والحب في البيار يعني ما اخرجوا معهم من طعام ومن خلافه، يعني الانسان معاه فقط ثوبه إلي بقي جسده من الحر ومن القر، انتقلوا بعدين للسنابرة، بعض الناس كانت تحاول الرجوع يواجهوا الخطر والخوف وربما يرتدوا وربما منهم من يقتل، كانوا يحصلوا قدر المستطاع من البذار المخزن علشان يوكلوا فيما بعد انتقلوا لبير السفلى، بير السفلى الناس ضجت من قلة المعونة إلي كان يقدم من وكالة الغوث كان قليل جدا، علشان هيك الناس ضجت لما توجهوا للمحيط إلي توجه لمدينة الخليل إلي توجه لتفوح إلي توجه ليطا، عائلتنا احنا انتقلوا إلى تفوح عاشوا في تفوح فترة ثم انتقلوا بعدها إلى يطا كانوا يعيشوا في يطا ويروحوا على منطقة النقب يشتغلوا فيها، وبعد هذا انتقلوا إلى مخيم الفوار، كانت الرحلة رحلة مضنية استمرت ربما ثلاث او اربع سنوات المرحلة الانتقالية من بيت جبرين للوصول للفوار لانهم ساكنين في تفوح سنة ونص أو سنتين وفي يطا نفس الشيء يوم ما وصلوا اهلي للمخيم ابوي كان يخرف كان نصه فاضي خيام منصوبة لكن الناس الموجودة فيه قليل جدا الناس بعدها كانت تفكر ربما في امور اخرى من العودة او من السفر للخارج.

جزء من عائلتنا انتقل للاردن فيما بعد الاستقرار في المخيم يعني في الفترة الواقعة بين ال 48 او بداية الخمسينات للسبعة وستين إلي هي الحرب الثانية كان الجزء الاكبر من العائلة انتقل للاردن، سكنوا في الاردن في مخيمات، يعني حاليا موجودين عيلتنا في مخيم البقعة وفي مخيم عين الباشا سوف جرش وفي اربد موزعين في هذه المخيمات.

انا بذكر لما الختيار بقى يتحدث عن رحلة الانتقال الجوع الفقر يعني كانوا يصفوا انتشار القمل في روسهم انه يعني مش طبيعي يعني كانوا يولعوا نتشة ويقفوا عليها وينفظوا شعرهم واجسادهم علشان القمل يسقط عنهم يعني هاظا ناتج عن انعدام نظافة، قلة الطعام، قلة اللباس النظيف يعني فقر مدقع، بذكر ايضا كانت الحجة تخرفنا عن الطعام، أي شيء كان متوفر هو طعام يعني خبز الذرة الصفرا، الذرة الصفرا كانوا يطحنوها مثل القمح وكان خبزها اذا لحقو أي شيء من الهواء كان يجف بشكل كبيرجدا يعني لا تصلح للاغنام او الدواب وبالرغم من ذلك كانوا يوكلوه لانعدام غيره، واللباس يعني لتيجي تعد الرقع والقطب إلي في الثوب تلاقيها كونت ثوب جديد، يعني بقلك ما لبسنا ثوب الا لما اجينا على المخيم وكان الثوب عبارة عن الاقمشة إلي كانوا يوخذوها من الكياس المصنوعة من القماش إلي من وكالة الغوث يفصلوا منها بنطلونات ودشاديش فكانت مصيبة عظيمة على الناس وقد ما نتحدث لا يمكن انا نتحدث بالصورة او بالمشاعر او بالبشاعة إلي شاهدها الراحل او المهاجر او اللاجئ إلي خرج من بلده.

اغلب المعلومات استقيتها من الوالد والوالدة ومن خوالي، تقربي من اغلب كبار السن في المخيم إلي كانوا موجودين في بيت جبرين، ايضا من بعض الكتب يعني ما بتقع عيني على أي قضية خاصة ببيت جبرين حتى لو كانت اربع سطور كنت الا اقرأها، في كتاب قرأته إلي هو عن القرى إلي دمرها الاحتلال ومن بينها بيت جبرين كتاب موجود في جامعة الخليل بركز يعني على الناحية الاجتماعية وعلى العائلات وبذكر عائلات بالاسم وعددهم وبذكر المشايخ وبذكر امور كثيرة وكان معتمد في هذه الأشياء على روايات من الختيارية.

حتى لو لم ادرس في الفوار انا بحاول انقلها لكل جيل من بعدي انه فلسطين ليست اراضي ال 67 كما يروج اليوم، فلسطين حجمها الطبيعي يتمثل في ال 48 لأنه النسبة الكبرى من فلسطين ظاعت في ال 48، علشان هيك

انا دايما بشير للقضية هذه، وان هناك الكثير من القرى التي دمرت وليس القرى فقط المذكورة في بعض الكتب مثل كتب التربية الوطنية وكتب التاريخ، مش بس هاي القرى يعني انا ما بعرف هذا الرقم صحيح او لا انا بذكر انه 400 قرية دمرت، فلو جيت تبحث في الكتب الموجودة في المدارس اليوم بتلاقي انه ذاكرين على اكثر تعديل عشرة إلى خمسة عشر قرية من القرى الكبيرة إلي كان فيها تواجد سكاني كبير جدا ولربما القرى إلي اقيم عليها مستوطنات تحديدا إلي مذكورة لكن كثير من القرى التي دمرت ولم ينشأ عليها مستوطنات ما انذكرت.

انا بحث على الدراسة والتحري، الاشارة إلى بعض الكتب او المراجع، بحاول اشير لكل انسان انه اقرأ مش شرط بس عن بيت جبرين او عن عراق المنشية او عن الفالوجة او عن ذكرين، لا اقرأ عن ال 48، تعرف على كثير من الامور، لكن للاسف الشديد الامكانيات الموجودة عندنا امكانيات قليلة جدا، لنشر هذا الوعي ولنشر هذا الفكر ومن ناس اكثر منا وعيا الامكانيات قليلة جدا وتحتاج إلى حجم اكبر وتحتاج لآليات افضل على صعيد اكبر للتأثير في حجم اكبر.ان كنا معنيين بعدم نسيان الاراضي إلي نهبت وسلبت من الصهاينة في 1948 فهناك الكثير من الوسائل، القضية الاولى انه بتعتمد على السلطة القائمة او على الدولة، يعني لما بنلاقي الدولة تفاوض على حدود ال 67 هذا عبارة عن تنازل ونسيان ل 1948، يعني لما نحدد دولتنا في 1967 كل الاجيال القادمة ستعلم انه الارض بشكل او بآخر هي ارض ال 67 اما ارض ال 48 هي عبارة عن اسرائيل، وهذا شيء مرفوض، فالسلطة عليها اكبر قدر من المسؤولية في هذا الجانب، لو نفذت برامج حكومية او توعية ونعتمد في هذه القضية على الجانب التربوي وبدل ما نتحدث عن تاريخ الدول المحيطة وعن تاريخ الفراعنة وتاريخ الاشوريين احنا ما بنتجنى على تاريخ هؤلاء لكن احنا ايضا انا تاريخ ليش هاظا التاريخ ما ينذكر، فيتوجب على جهاز التربية من رأس الهرم حتى القاعدة انه يصب في هذا الاتجاه لأنه الامر اكبر حجما مما نتصور المسألة مش مسألة لفت نظر لقضية ال 48 المسألة مسألة ارض وضياع ارض، لأنه هذه الاجيال إلي عاشت في ال 48 ستتلاشى شيئا فشيئا، فيتوجب وضع في مناهج الدراسة مقررات خاصة باراضي ال 48 وتوعية اكبر واناس يكونوا مختصين اكثر.

أيضا هناك دور للمؤسسات سواء المؤسسات الخاصة او العامة الها كبير الاثر في نشر دوريات ونشرات او اصدار صحف حول هذه القضية، يعني دائما وابدا ان نطرق بشكل مستمر على الناقوس حتى لا ينسى الاخرين، ايضا هذا يعتمد على نفس اللاجئين، اللاجئين اليوم ليسوا بالعدد القليل يكونوا من داخلهم ويتناسوا خلافات التنظيمات السياسية ننسى كل هذه القضايا ونركز على انه قضيتنا اسمى او يجب ان نوظف التنظيمات في خدمة قضيتنا لا لزيادة التفريط وهجرة وترحال فيما بعد، يعني هذه مسؤولية قائمة على الجميع. وتبا لأي حل وسحقا لأي حل لا يعيدني إلى بيت جبرين، سحقا لأي حل لأي نظام لأي حكومة لأي جهة لا تعيدني إلى بيت جبرين.

المقابلة رقم (13):

السيدة عايدة محمود الحموز، 34 سنة

بتوقع كان عاداتهم وتقاليدهم بسيطة وطيبة، انا بتصور بالنسبة للهجة، اللهجة كانت يعني يمكن بتركز على أحرف معينة هالحين هذي الأحرف مع مخالطتنا مع المخيمات هذي الأحرف ظاعت ظل البسيط، يعني حرف الكاف، العلاقات انا بتصورش كان في تنافر التنافر اشي مش موجود هيك في خيالي، لأنه الناس كانت بسيطة فش هالفساد إلي بينا إلي زي ما بتصور هالحين انه التفرقة الاجتماعية انا بتوقع من الاحتلال إلي خلقها انه الدار هذي يبقى فيها حماس وفتح وجبهة، أوجدها مين؟ أوجدها الاحتلال فهذه الشغلات انخلقت جديد بتوقع انه مجتمعنا كان طيب ومتسامح وبسيط.

دور المرأة بتصور إنها مساندة للرجل لأنه إذا كانت شغلتهم بسيطة كان هو يعمل في الزراعة وكانــت هــي مساندة الو، سمعت كانت بس مش بالزبط في بيت جبرين يعني يوم دخل عليهم الاحتلال متصديين الــو فــالمرأة كانت مساندة للرجل في كل اشي بتوقع، كل وقت بلونه لأنه هالحين صح أطورت المرأة عن أول بس برضك أكيد مساندة الو كانت توديلو أكل على الحصاد وتروح تحصد معاه، في اتخاذ القرار بتصور انه كانت مهمشة، بتوقــع كانت معرفتها هي وثقافتها كانت توقف عند حد معين يعني هالحين البنت صار دماغها مليان عبارات وأشياء زي هيك تفتحت عن أول قبل كانوا كانت على جيل 15 على جيل 14 تكون تتجوز وهاظا الجيل مايل للطفولة أكثر.

بقوا يقولوا انهم كانوا يروحوا على مقام سيدنا موسى بعرفش بالزبط يعني كانوا يزوروه، يعني كل واحد عنده ظرف معين أو حالة مثلا مرض وبتمنى من الله انه يشفي فبتوقع انه كان يروح على أساس يساعده فــي هاظــا الاشي.

بذكر انا رحنا رحلة وزرت بيت العزة هاظا كان موجود ولما روحنا سألت أبوي يعني بقيت صغيرة سألته شــو اسم البيت هاظا قلي هاظا لدار العزة، وكان في سوق كمان سوق البلد زي شكل مغر وما مغــر وعليــه حــروف فرعونية ومش عارف، معرفة الحارات: لا والله.

انا بتوقع انه كان للمختار بمثابة الحاكم عليهم، يعطيهم الإرشادات يدخل في قضاياهم مثلا صار مشاكل بــين الجيران مع بضهم أو بين أسر يفض الخلافات، ومثلا كمان لصد الاحتلال كان فش عندهم اتصــالات زي الوقــت الحالي مع القيادات الكبيرة لا مثلا كان المختار أو رئيس الحمولة هو بتوقع إلي كان يدخل في الشغلات هذه مــع المناضلين والثوار، والي عم استشهد يعني عم إلي اسمه حسن الحموز استشهد مش الفترة هاي فترة مــا كــان يوخذ أسلحة للثوار وكان زغير هو اخو أبوي من ألام.

انا بتصور انه الكل كان يساعد يعني مثلا اشي كان بناهم بتوقع من التراب والقش، فاشي كان يجيب القــش، واشي يجيب التراب ويعملوا فزعات ويعملهم اكل اشي بسيط يعني مكانش هالاكل الي يعني ذبايح كان من جــاج هالدار من أشياء الدار.

جديد سمعت قبل فترة يعني كانوا كل واحد عنده أكلة معينة يجيبها ويجتمعوا عالمائدة مع بعضهم في رمضان ساعة الإفطار، كان اكلهم بسيط كان مثلا يجيبوا ملتوت بزيت وأشياء زي هيك. في الأعياد : كان الاب يروح على أولاده – من اولها انا معلوماتي بالمرة يعني– العرس: بتصور كان يلبسوها الثوب ويحطولها علــى راســها زي ليرات ويعملولها هودج عالجمل من بلد لبلد على ثاني بلد يروحوا يودوها .

هم صحيح كانوا يقاوموا بس أحداث دير ياسين بتصور هي إلها دخل الكل كان خايف مــن هــذيك الأحــداث خاصة أحداث الشرف لانه حكوا انهم داخلين عليهم اليهود وهي السبب الرئيسي لطلعتهم. انا بتصور انه اطلعــوا النساء والأولاد وظلوا هم موجودين الزلام والرجال مكانهم يقاوموا الاحتلال يعني إلي قدر من هذول ظــل والــي مقدرش وظعفاء الانفس طلعوا بتصور هيك ، صدق انه مسلسل التغريبة الفلسطينية بتردنا لأحداث النكبة وبتمنى انه يكون مسلسلات زي هيك . سمعت من جدتي وسيدي انه كان جيش مصري وجيش يعني هيك انا بعرفش بس بعتقد انه الاكثر مصر، كانوا يشاركوا معهم بس من قلة الرصاص الي معهم كانوا يموتوا من قلة الســلاح الــي معهم، افدوهم المصريين بارواحهم لكن بس بقلك قصة الاسلحة حسب ما بسمع انه ما كان معهم اسلحة ثقيلــة، والله انا احساسي من الكلمات الي بسمعها انهم دافعوا أهل بيت جبرين بكل الوسائل الي اتيحت الهم قاوموا بــس انا بتصور زي ما هو واقعنا هالحين الاسلحة مش متكافئة، يعني اسلحتهم اليهود كانت من بريطانيا واحنا مفش، كانوا ناس مسالمين بسيطين وعايشين عالبساطة بتصورش انه كان معهم هظاك السلاح. أقلك إنسان تربى انــه يكون مسالم مش حامل هالسلاح في كل وقته مش هالدولة العسكرية انا بتصورش فلسطين كانت في يــوم مــن

الايام دولة عسكرية، صح لازم الانسان يوخذ حذره واحتياطه بس برضك يعني مش..احنا بتعرف الوحدة العربية انا بتصور انها الشعوب العربية هي السبب. بتصور هيك سنة او سنتين(فترة المناوشات مع اليهود حتى لحظة الخروج من بيت جبرين لانه انا سمعت اشياء مثلا انه عمي كان يوخذ اسلحة للثوار وينقلها من بلد لبلد، طلعوا على مناطق كثيرة بتصور اشي عالعروب مثلا تنقلوا على جبال غير الجبال هذه مناطق كثير، انا بذكر ستي بقت تقلي على جبال هانا الجبال إلي عند العصافرة.

انا سمعت من ناس بس مش من بيت جبرين انه وحدة دشرت ابنها بس مش من بيت جبرين من مناطق ثانية جارة انا خرفتني إياها انه من كثر الأولاد إلي معاها بدها تطلع عالاردن سلافها سبقوها ومظلش غير هي وجوزها وعشان عدد الأطفال كان كثير ظحت بالطفل الزغير ودشرته في الطريق وراحوا مشوا عنو مسافة طويلة على أساس انه تلحق الثانيين لأنه كان القصف وراهم وبعد ما وصلت أولادها مسافة طويلة مقدرتش تبعد أكثر من هيك فرجعت للطفل فحملتو وعاودت لحقتهم.

في عندنا ختيارية كبار في العمر هذول كنز النا لازم احنا نستغلهم يعني مثلا انت هالحين حظرتك مشيت في هاظا الموضوع والله كثير كويس هالحين لو دخلت مثلا على بيت رجال كبير وحملت كاميرة فيديو وصورته فيها بالصوت والصورة هاظا بحد ذاته كنز، الصوت والصورة لانه الصوت ما بوصلش زي الصورة، لانه صدقني بتلقاهم السنة هذه بس السنة الجاية مش راح تلقاهم، بعد ما تصورهم بهذا الشكل توخذ منهم الاحداث هاي وتعملها على شكل مسلسلات تلفزيونية او افلام تلفزيونية، انا حاب اتعرف منك مجرد ما تحكي مع فلان عن بيت جبرين انا حاب اسمع منك بصراحة، ومجلات اخرى كمان، انا حاب بالاذاعة والتلفزيون لانه للجميع اما الكتاب لناس معينين مش الكل بمسك الكتاب والدفتر اما المجلة كويسة، بتصور لو مثلا يعملوا اجتماعات هالحين مثلا عيلة الحموز عندها ديوان صح لو هالديوان يستغلوه ويجيبوا هالختيارية الكبار – بس بتصور اشي في الخيال- هالختيار الكبير يحطوه ويجيبوا هالزغار الي حواليه يمسكهم ويخرفهم قصص عن بيت جبرين، عن طريقة نضالهم، عن كيف وصلوا هانا، عن طريقة كيف رضينا بامر المخيمات هذه وهي احنا عشنا فيها وقبلنا بالامر الواقع تبعها يعني بتعرف اشياء لازمة يعني.

بتصدق احنا كنا عند سيدي وجدتي نقعد ويخرفونا عن البلاد ولحتى الآن أولادي بيجوا بقولوا بشان الله خرفينا خرفية عن قصص الختيارية، والله انا المعلومات إلي عندي بقدر بكل وسيلة اوصلها لأولادي دايما بحكي معهم وبزرع في نفسهم انه انا ارض في بيت جبرين ويعني كنا أسياد عليها هالحين صرنا يعني الواحد يدوبك يملك قوت يومه بصراحة الحموز بقى الهم أراضي.

المقابلة رقم (14):

الانسة آمال ابراهيم الحموز، 19 سنة

انا بعرف انه كانت حياتهم بسيطة جدا، كان المرأة الها واجب في البيت انها تقوم باعمال التنظيف كانت الحياة غير عن ما في من تطور تكنولوجي زي ما هو موجود هالحين يعني ما كان في تلفزيون ولا تلفون ولا اشياء، كان في الهم عادات وتقاليد اكثر شيء في اللباس الثوب والرجال العقال زي موحد كان بين الناس، كانت حتى العلاقة بين الاهل اقوى بكثير يعني مثلا كانوا في الليل يعملوا جلسات يلتموا في الليل كل الجيران والاصحاب غير عن هالحين ،هالحين الكل بقعد عالتلفزيون ، اما كان زمان العلاقات اقوى بكثير ، كان هو الرجل هو الحاكم في البيت كان هو المسؤول اكثر من المرأة، اما هالحين اصبحت المرأة تتعلم صار الها دور اكبر غير عن زمان ،

الدخل كمان كان يعتمد اكثر اشي على الرجل المرأة كانت يعتمد عليها اكثر شي في صناعة الالبان والحليب يعني اشياء بسيطة بدائية.

كانت الاعراس بسيطة جدا الكل موجودين من الاصحاب واهل الحارة الكل يتواجدوا، كان مثلا اذا اصابهم أي حزن او اشي الكل مع بعض يكونوا مجتمعين، لانه كل الناس كانوا مع بعض يعني أي واحد عنده مصـــيبة الكـــل يشاركه لانهم كانوا قليلين وما عندهم اشغال مثل الحين، كان للبلد مختارهم يكون مسؤول عنهم او كان زي مـــا تقول هيك بيت للعشيرة كانوا الكل يجتمعوا فيه، زي ما بعرف انه سيدي كان مختار هو المسؤول عنهم وهو يحل مشاكلهم، لانه كان في أول حرب ال 48 كانوا الجيش يدخلوا على بيت جبرين، كانوا يـــدخلوها مـــا بـــين فتـــرة والثانية، كانوا يفكروا انه فيها ثوار هو بقى حامي للقرية وهو بقى يتكلم معاهم(الثوار) وهـــو المســـؤول عـــنهم يوفرلهم الاكل وحل المشاكل بين الناس وفي المناسبات هو الي ينظمهم يعني هو كبير البلد وهو يحكي عنهم.

العلاقات بين عائلات القرية كانت قوية يعني مش زي هالحين وكان ترابط كبير يعني كلهم يعرفوا بعـــض، أي واحد عنده أي اشي يعني فرحة كل البلد يفرحوا معه وفي الحزن الناس تحزن معه يعني اقوى بكثير من هالحين، وكانوا يعاونوا بعض ويعملوا جلسات ويظلهم يحكوا في الحارات ما كـــانش فـــي حيـــاتهم اشـــي يشـــغلهم زي هالحين.كان في البلد عائلات كثيرة بعرف عيلة الحموز وغطاشة والعزة والشوابكة والحليقاوي.

بعرف انه في الاعياد كثير كانوا يعني كان اشي مفرح كثير كانت فلسطين تعاني من حرب في ال 48 وهيـــك والاسرائيليين يعني كاناالعيد بالنسبة الهم الهم اشي كثير والكل يجهز حاله بس كـــان بســـيط مـــش زي الوقـــت الحاضر، كانوا يعملوا اكلات معينة مثل المعمول والمطبق والمنسف كانوا يعملوه كثير، الزغار يعني كان كل ولـــد لما يشتري اشي يشعر بسعادة اكثر من هالحين لانه الاشي كان وهو زغير يجيبوه يعني الاهل في بيت جبرين لما يجيبوا الاشي من لبس او اكل كان يفرح فيه لانه كان يشوفو اشي كثير.

وبعرف انه كانت بيت جبرين مشتهرة بالزيتون كثير يعني اشجار الزيتون متسألش، خضرة، بس كانت البيوت بسيطة جدا جدا حجار البيت كان يعني كل واحد الو هيك بيت زغير وفسحة قدامه.

في في البلد مقام النبي موسى .....بعرفش بس كانوا في المناسبة يروحوا كليتهم يجتمعوا ويوخـــذوا معهـــم اشياء حلو، كانوا يعتقدوا انهم هانا ناس صالحة او اولياء ويعتبروهم اشي كبير او يتقربوا الى الله عن طريقهم.
المرأة بعتقد انه كان دورها مهمش تقريبا، كتعليم بعرف انه جدتي تعلمت بس للصف الثالث.

انا متأكد انه إسرائيل أول ما بدأت الحرب مبدأ تش على مدينة على طول كان أول ما تبدأها في القرى، يعنـــي كل قرية يدخلوا عليها زي قرية دير ياسين يذبحوا فيها حوالي مثلا 200 واحد 300 واحد وأكثر بكثير القرية إلي جنبها تخاف يعني كانت بيت جبرين يسمعوا اليهود أجو عالمنطقة هذه عالقرية هذه ويذبحوا فيها، الناس كانـــت جاهلة كانوا يخافوا على حالهم وعلى أولادهم، أول اشي كانوا يهربوا بس مش بالعدد الكبير زي لما دخلت اليهود على قرية بيت جبرين وحاولت إنها تقصفها وتقتل الأطفال والنساء وتهدم البيوت وتحرق المزروعات، انا متأكـــد انه في ناس طلع قبل دخول اليهود، كانت إسرائيل تستعمل الدعاية، أكيد كان ثوار يعملوا عمليات أو انـــه نـــاس تعمل عمليات وتهرب مثلا تتخبى في بيت جبرين، اكيد أول اشي نتيجة الدعاية والخوف اكيد نصهم او معظمهـــم هربوا من الخوف والنص الثاني هرب لما شاف الضرب لما شاف انه تحت الامر الواقع لما شاف اليهود دخلـــوا وبكتلوا في الناس يعني اكيد هرب، في ناس ثاني مش بالسهولةانها تطلع حتى لو أجت اسرائيل اكيد كتلوهم، انـــا بعرف انهم دافعوا بس الاسرائيليين مخذوش وقت انهم سيطروا عليها يمكن يوم او اقل من نص يوم انهم قـــدروا يسيطروا عليها يعني ما اخذت منهم وقت. بعرف ان الدول العربية كانت تساند من معونات مادية معنوية اسلحة، مصر والاردن، يعني كانت تساند بس مش كثير يعني لو انها الدول العربية لو ميخذة القضية الفلسطينية بشـــكل

كبير كان ممكن انه راحتش فلسطين، اكيد لما انهم سمعوا عن القرية الي جنبهم والي جنبهم حكوا انه رايح يجيهم الدور يعني في ناس اكيد بتخاف فبالتدريج صاروا يطلعوا اكيد بالتدريج.

الناس تهجرت اهل بيت جبرين بالخصوص، بعرفش، بعرف انه اكثر اشي تجمعوا هون بالفوار، امي بتحكي كانوا عند دورا هناك ابعد شوي وانه واحد تبرع بارض الفوار وسكنوا فيها يعني ما كان محدد انهم يجوا هانا، واحد اسمه جبرين على ما اظن اشتراها واعطاهم اياها، منهم شرد على الدول العربية على مصر الاردن وسوريا، أنا بعرف انه سيدي طلع وتشردوا هون عالجبال وبعدين سكنوا في الفوار وبعدين كل الناس الي شردوا من بيت جبرين صاروا يتمركزوا هانا في الفوار.

انا تقريبا من المدرسة من الصف السابع وفي الجامعة كان أي استاذ كان يحكينا اعملوا بحث كنت على طول عن بيت جبرين باعتبارها قريتي يعني انا لاجئة أول ما بدي اكتب يعني أولى أولى اشي بلدي يعني عن قريتي اني اروح اكتب عنها بعدين عشان جدتي كانت تحكي عن بيت جبرين كنت حاب اعرف شو هي بيت جبرين ليش احنا تشردنا من بيت جبرين كل الناس عايشة في قراها ليش احنا تشردنا؟؟ كنت حابة اعرف ليه الناس تركت بيت جبرين؟ ليه صار هيك؟ بس يعني برضو بعذروهم. بنلومهم انهم طلعوا انهم شردونا احنا لو انهم دافعوا الي حصل غلطة ومش مبرر الهم الواحد يموت في ارضه احسن من انه يصير لاجئ، من كتب ومن كلام لانه مفش أيّ عقل بستوعب انك تطلع من ارضك، يعني كانوا مجرد ما يسمعوا انه في طخ يهربوا، كانوا يحكوا انا كنا مبسوطين وكان النا اراضي وكنا نحب بضنا، المصدر الاساسي لي هو الكتب، يعني مثلا انا بحب بيت جبرين اكثر يعني لو انا في بيت جبرين بطلعش منها، الرواية بتعبر أكثر بس انه الكتب بحس اني بوصل إلي بدي إياه، إنهم يعملوا زيارات لبيت جبرين، عالتلفزيون إنهم يعملولها مثلا صور، يعملوا رحلات لبيت جبرين، نشوف بس منظرها، برامج صور رحلات، لأنهم الختيارية بروحوا خلص أما الكتب بتظل موجودة.

المقابلة رقم (15):

السيد جعفر حسني الحليقاوي، 37 سنة

بعرف انه الحياة في بيت جبرين انه كانوا عايشين على البساطة، بسطاء الفلاحين يزرعوا ارضهم ويعتاشوا من غنمهم من ارضهم وكانت عندهم العلاقات الاسرية قوية جدا يتعاونوا مع بعضهم، كانت البلد بتقدر تقول اسرة وحدة وفي تكاتف بينهم، الاعراس بقوا يحيوها بالدبكات الشعبية وبقوا يذبحوا وبقوا يطعموا معظم أهل البلد، افراحهم بقت حلوة ومرتبة، دبكات شعبية فلسطينية والطابع العام للعلاقات بين الاسر كانت اطيب من الحين، طوشهم كانت سطحية يعني غنماتك طاحن في ارضي يعني سطحية جدا وتنحل، تتدخل الحمايل وتحلها فوري.

كان كبير العيلة طبعا الو كلمته بين جماعته في آراء فردية كلهم يرجعوا لكبير العيلة وهو يقرر شو بدو يصير في أي مناسبة وهم يتبعوه.الغطاشات الهم مختار كل عيلة الها مختار بس اساميهم بالزّبط ما بذكرش.

دوها المرأة كان في البلاد يضاهي دور الرجل، في الحصيدة في الرعية في كل حاجة كان الها دور كبير، النساء الكبار في السن في البلاد كان الهن دورهن يحطين ويتقبلوهن وينفذوا، الدنيا اطورت، التعليم والانفتاح يعني دور المرأة صار اكبر الآن دخلت في حكومات ودخلت في وزارات الحين يعني اطورت المرأة اكثر.

في موسم الزيتون على سبيل المثال كانوا كل العائلة كلهم كل أهل البلد تروح تفر في بيت جبرين ما تلاقيش في الا الاطفال وقليل من النسوان كانوا كلهم ينتشروا على اراضيهم يلاقيهم يغنوا ويهوهدوا ويقيموا ويحطوا ويجدوا زيتون هذي مواسم، ومواسم الحصيدة كمان الو دور كبير عندهم في حياتهم. فيم ناس في البلد يعاونوا

بعض الّي عندو ارض قليلة مثلا ويخلصها سريع يفزع للجماعة، كانوا يسموا فزعة. كان في اجـرة لكـن مـش اجرة مصاري، المصاري كانت شحيحة في هذاك الوقت يعني يحصد قمح او عدس معهم ويعطوه من المحصـول يعطوه من محصول الزيتون يعني يجد معهم زيتون يعطوه من محصول الزيتون امّا المصـاري كانـت شـحيحة، وكان في رعيان غنم يعني يرعو بالاجرة يعني يوخذ غنم يوخذ حليب يطعم اولاده بالطريقة هذي كانوا يتعـاملوا مع بعض.

مش كل القرى تعرضت لاعتداء مباشر من اليهود، مشش كل القرى بس سمعوا عن المجازر والاغتصـابات للنسوان والجاليات اليهودية بثت الرعب في قلوبهم هذول الجماعة وكانوا جماعة جهّال عالبساطة عايشين مـش هالوعي ومش هالتعليم، كان الشرف عندهم يعني الواحد يخسر ارضه يخسر دمّو بس ما يخسرش شرفه، تمنهم قالوا انه بتعرضن الحريم للاغتصاب وللخطف خافوا على شرفهم اكثر من خوفهم على ارضهم، القرى مثل بيـت جبرين اعتقد انهم من الدعاية الّي انبثقت من خلال الجاليات اليهودية خافوا.

معارك صار ومناوشات خارج البلد يعني صار برضو في عراق المنشية حاليا كريات جات صار معارك طاحنة وصمدوا أهل عراق المنشية ست شهور وهم يقاوموا في اليهود مع الجيش المصري، هذي عراق المنشية يعنـي سطرت اسطورة كبيرة.

في بيت جبرين صار معارك والي عم استشهد في بيت جبرين اسمو عبد المحسن اخو ابوي بعد مـا طلعـوا رجع يجيب من القمح والشعير اللي تركوه وراهم ومسكوه اليهود مع اولاد عم إبوي اثنين وقتلـوهم عالمحـل، معارك يعني صار داخل بيت جبرين بس يعني مناوشات خفيفة مش مجازر. الطلعة، هانا يناوموا وهانا يقومـوا مشي عالرجلين اول اشي على بير السفلي بيسموها هي عند ترقوميا على اساس انهم يرجعوا وما كانوا يعرفـوا انها مؤامرات دولية وعالمية تحاك ضد القضية الفلسطينية، فكروها مشمشية المسخمين جهل وقعدوا هناك حطوا خيام وقعدوا ناحية بير السفلي يعني قعدوا على بير السفلي من اجل انهم يشربوا ويعتاشوا في المنطقـة قعـدوا فترة من الزمن هناك بعدين طالت الخرفية وشافوها طالت صاروا ينزلوا على البلاد يتكتلوا ينزلوا علـى اسـاس مش لايقيين اشي يوكلوا ويشربوا يجيبوا من خيرهم إلي ظل وراهم، اشي سكر على جاجاته وقلك برجع يـومين ثلاث وحطلهن علف على اساس انه ما يطولش عليهن وميموتنش ما توقعوا هالختيارية المسخمين، فطالت فيهم على بير السفلي وهانا وهان مشتتين صاروا يقولوا هانا بتنفعش العيشة يعني نغير ونبدل اشي توجـه عالخليـل المدينة واشي عالظاهرية يعني عالقرى توزعوا بعدين الاردن جمعتهم في المخيمات عملتلهم مخيمات زى مخـيم الفوار ومخيم العروب وحطوهم وظلوا حتى اول ما اجوا عالمخيمات توقعهم انهم يرجعوا عالبلاد يعني في مـنهم كان قادر انه يشتري اراضي يقول لا انا شو بدي في الاراضي راجع انا يعني قريبة جدا مش مطولة الخرفية بكرة بتدخل مصر بتدخل الاردن وهالخراريف الفاضية وبرجعونا على بلادنا.

خرجوا في ال 48 بس بالتحديد وكتيش بعرفش، ابوي تطلع من البلاد كان عمره 30 سنة هو من حكيو النـا ومن خرافو عن البلاد يعني اذا مش يوم يوم بدي اقلك في اليوم مرتين بقى يحكينا عن الـبلاد، احيانـا نسـأله نشتاق لبلادنا الاصلية واحيانا هو لحاله يفتح الموضوع طبعا يصير يبكي ويحكينا عن البلاد عن بيـت جبـرين، يعني من ابياتنا إلي طلعوا كبار شباب وفي ناس استقت معلوماتها من جدودها ـ انا من ابوي بالذات طلع شـب 30 سنة، انا كنت اشتغل في منطقة قريبة على بيت جبرين يعني امرق من الشارع الرئيسي لأنـه دخـول بيـت جبرين مش سهل مش سهل يعني بدك رخصة تخش يعني في مناطق اثرية ومدن تحـت الارض كلهـا منـاطق سياحية وممنوع ايّ واحد يفر يعني ممكن تخش في منطقة غلط ويخالفوك ويبهدلوك ويسجنوك ،بيـت جبـرين بالذات الها تاريخ مميز يعني منطقة قديمة واثرية ، يعني إلي عم عمي حسان اخو ابوي طلع كبير بينـه وبـين

ابوي سنتين يعني 28 سنة طلع 25 سنة راح عالبلاد على بلده يزورها اخذوا منو 30 شيكل بس إلي يدخل وعلى مناطق محددة ومعينة على جبل بسموه تل صندا حنة اشتاقلو راح يتفرج عليه انّا ارض فيه هو ،اخذوا منـــو 30 شيكل وعلشان سنّو كبير يعني . يعني لو بسمحوا بزورها كل اسبوع مرة واكثر من مرة في الاسبوع بلـــدي يـــا زلمة انا حاليا بسألني واحد من وين انا انت بقلوش من الفوار انا بقلّو من بيت جبرين.

ممكن احنا نثق في كلام ابوي لأنه طلع من البلاد بعرفش اولادي اذا كانوا مثلا مثقفين او متعلمين يثقوا فـــي كلامي لاني انا ما طلعتش من بيت جبرين بعرفوا انه انا من مواليد الفوار، مش ممكن يعني يثقوا في كلامي مية بالميّة تأقلهم كان انّا وطلعنا ورحنا وجينا ورعينا وجدينا يعني راح كلامي يظل ظعيف بالتالي في كتب من ابياتنـــا وجدودنا انا بجيبلهم اياهن بوفرلهم اياهن يقروهن والي بعرفوا والي دخل راسي من ابياتنا بحاول اوصلهم ايـــاه بس يعني بحاولش يوم من الايام اني اخليهم ينسوها بيت جبرين، انا بظل اذكرهم في إلي بقـــدر عليـــه والبـــاقي يستقوه من الخارج يعني يقروا كتب عن بلادهم بصيرش مع الزمن تتآكل هذه الامور وتنتسى.

ملحق رقم(4) صور من بيت جبرين



بقايا بعض البيوت المدمرة في بيت جبرين



بيت الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف العزة



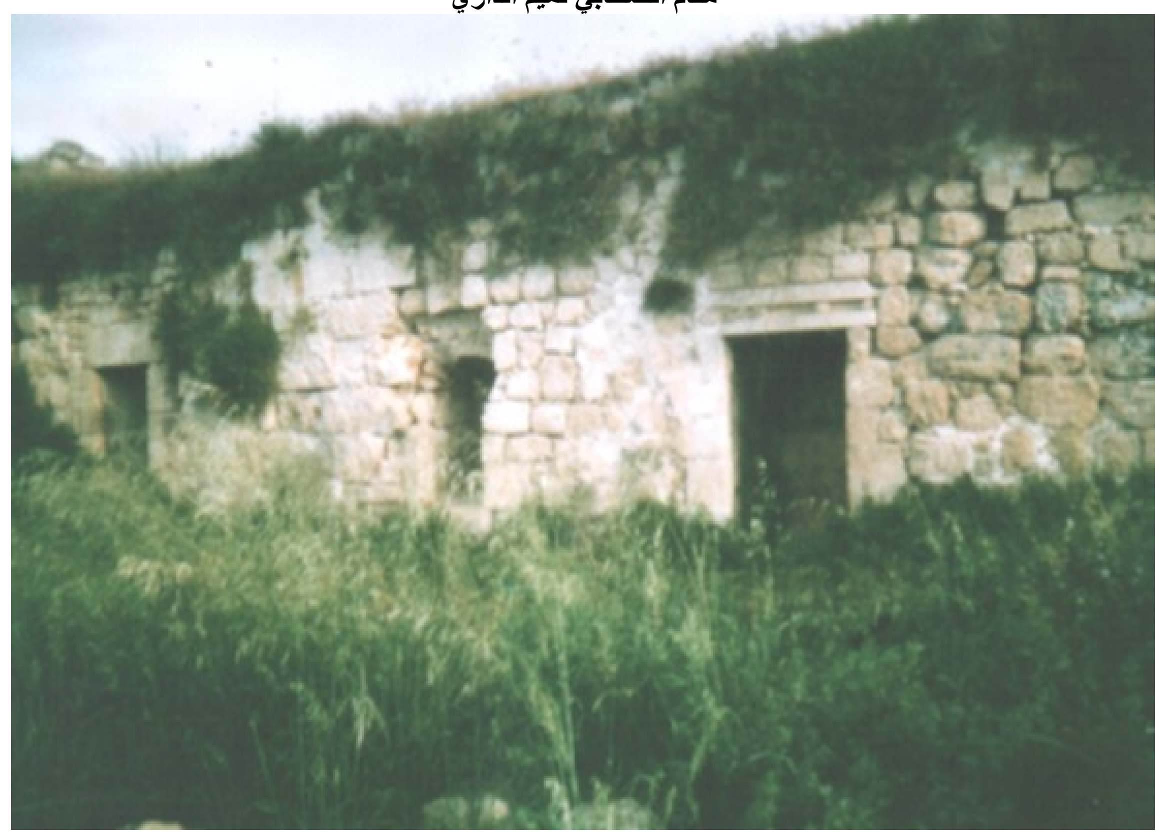
بناية المحكمة



مقام الشيخ جبرين النبهاني



مقام الصحابي تميم الداري



المسجد ألعمري في القرية



بيت احمد مسلم العزة



مدرسة الذكور

صورة عامة لمقبرة القرية



بقايا للكنيسة البيزنطية(الانتيكا)



صورة عامة لمقبرة القرية



احد المغاور المنتشرة بكثرة في القرية واطرافها



مجموعة من الصور الفوتوغرافية للقرية التي تحتفظ بها الحاجة خديجة خليل العزة في بيتها /مخيم بيت جبرين(العزة).

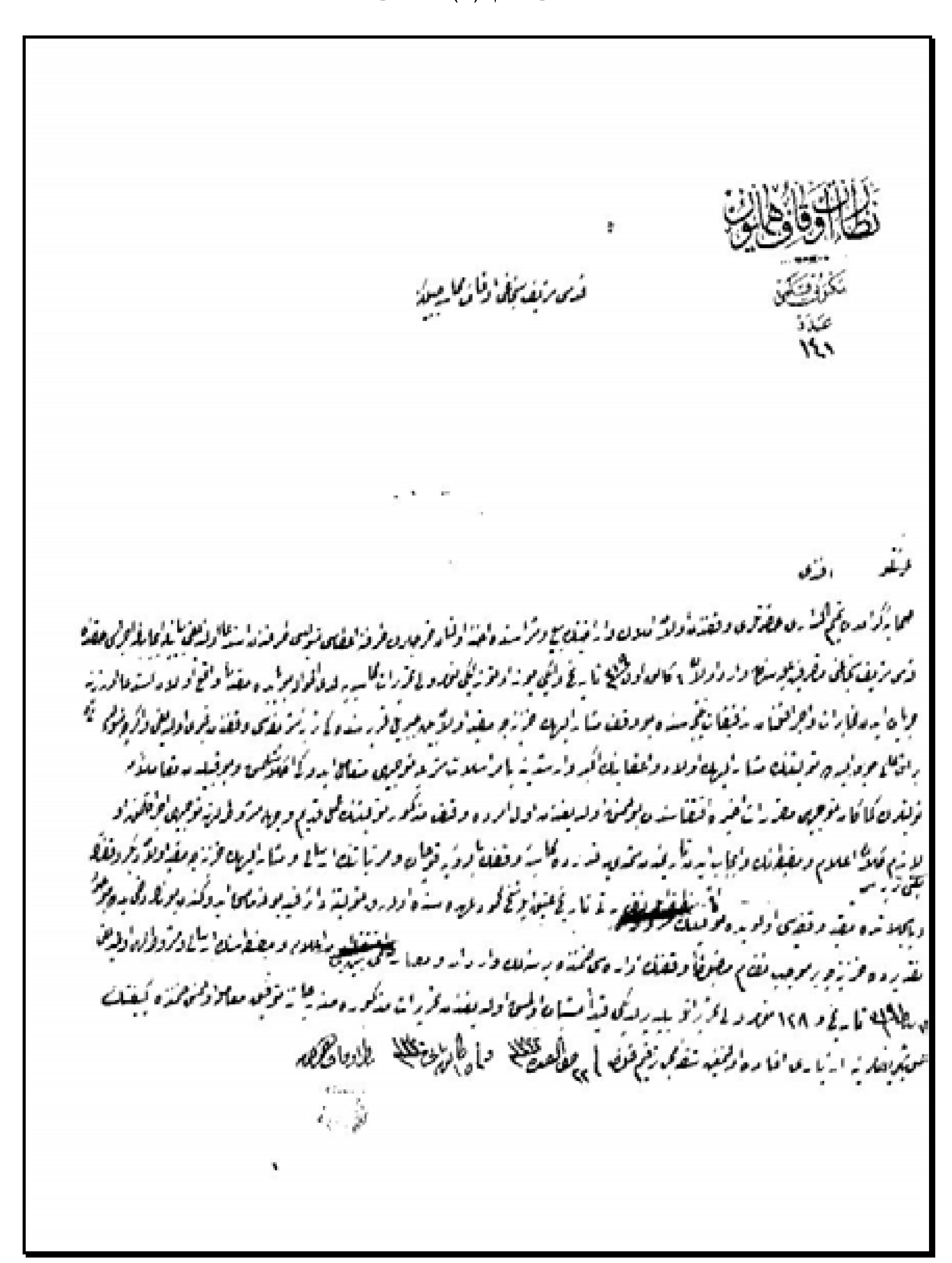


صورة عامة لمخيم الفوار- الخليل، حيث يشكل اكبر تجمع سكاني في فلسطين للاجئين المهجرين من قرية بيت جبرين



صورة عامة لمخيم بيت جبرين/ العزة- بيت لحم، حيث يشكل لاجئي قرية بيت جبرين غالبية سكانه

ملحق رقم (5):الوثائق



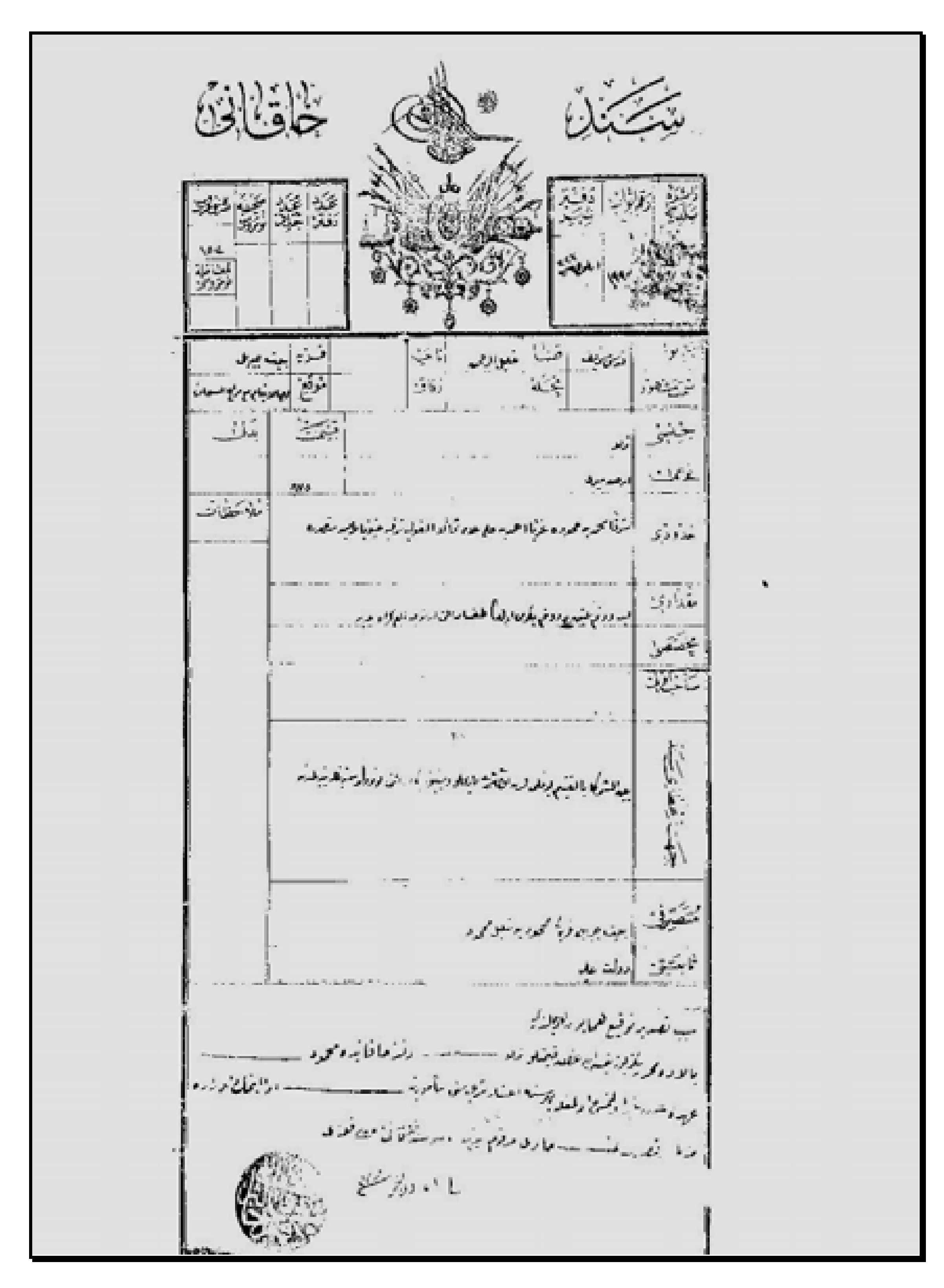
نظارت اوقاف همايون

مكتوبي قلمي

عدد

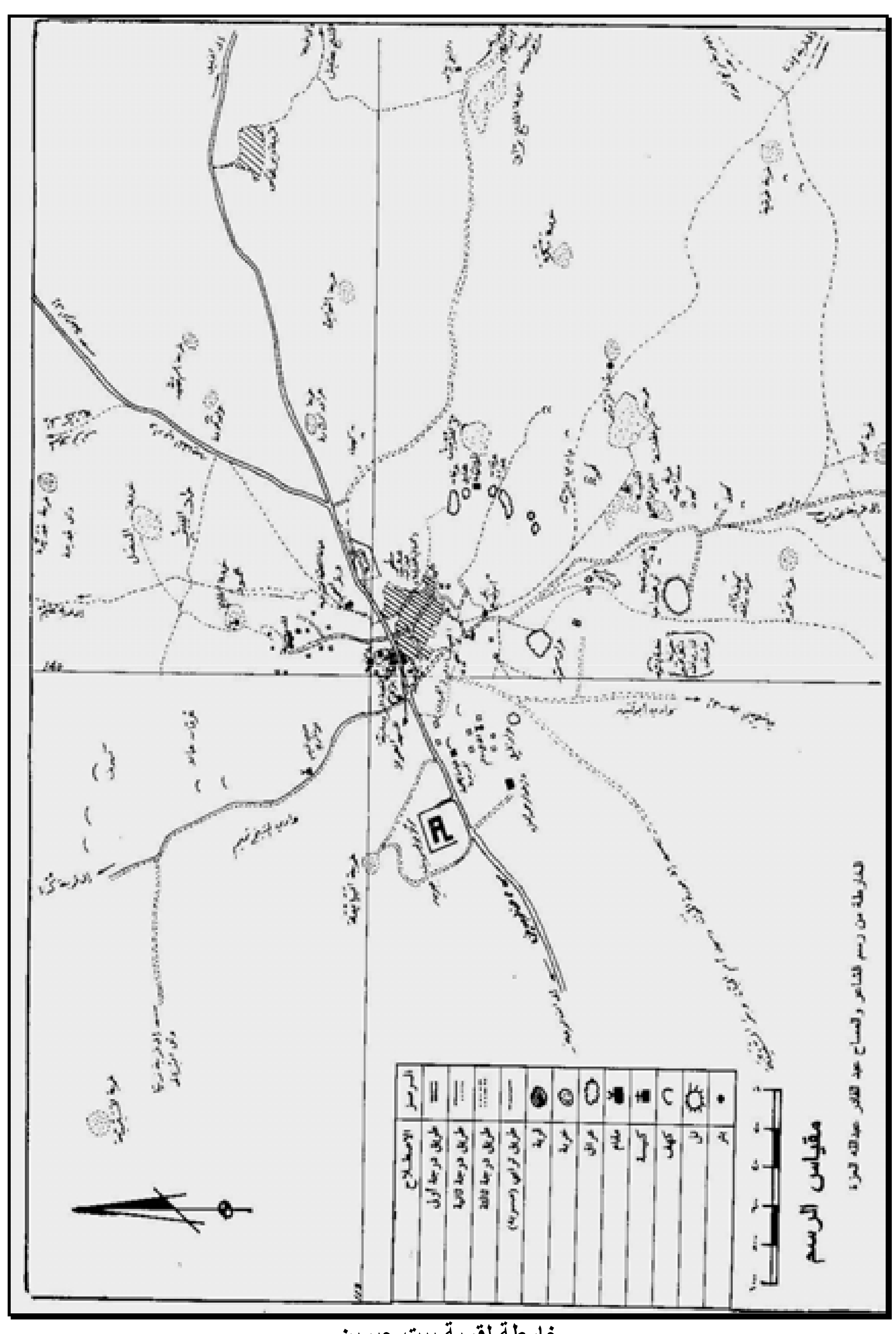
١٦١

وثيقة خاصة بوقف تميم الداري في بيت جبرين

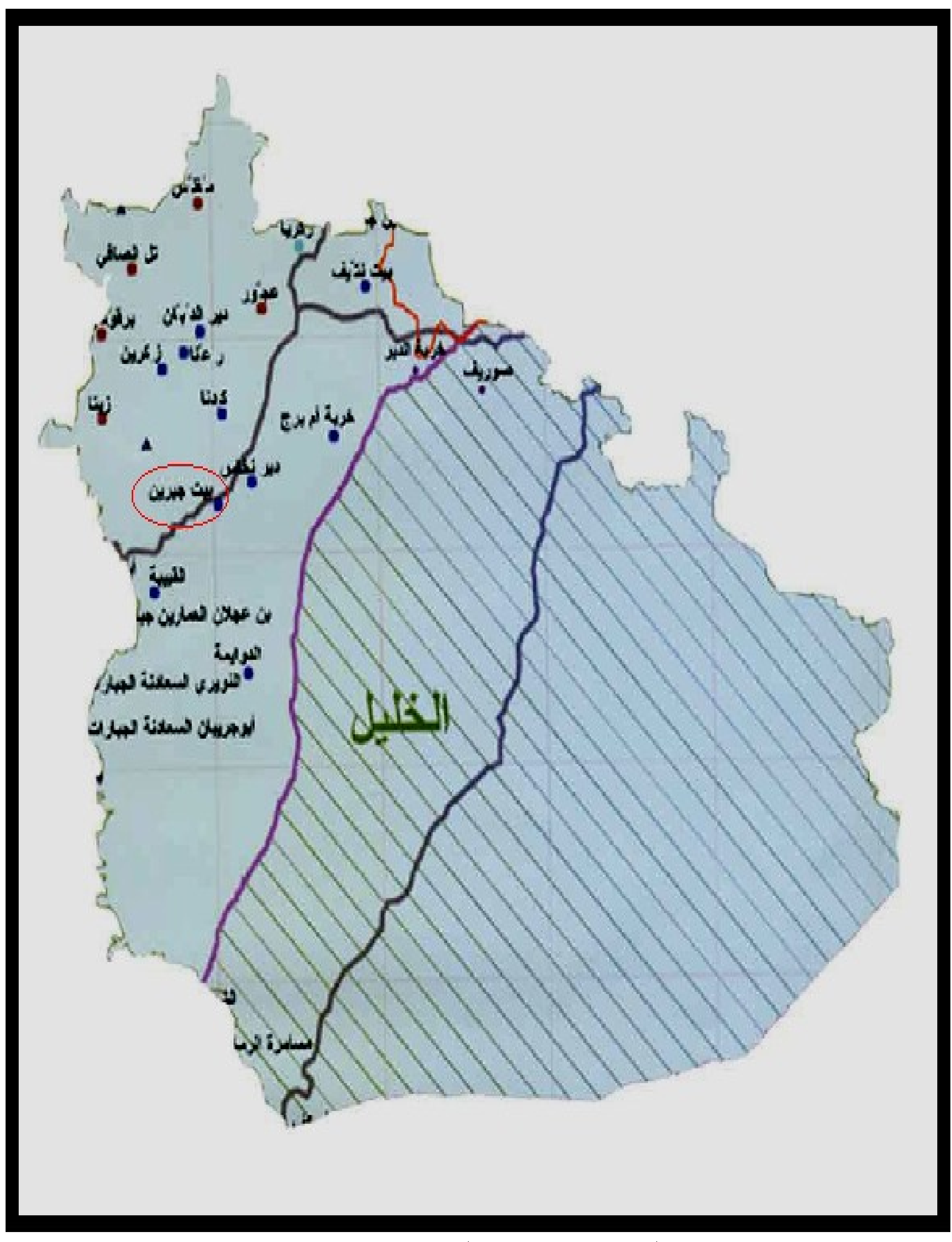

سند خاقانی

وثيقة إثبات ملكية لقطعة أرض في بيت جبرين

ملحق رقم(6): الخرائط



خارطة لقرية بيت جبرين



المصدر:عرار، عبد العزيز، (1995).

خارطة تظهر فيها قرية بيت جبرين وبعض القرى المجاورة لها التي جرى احتلالها وتدميرها عام 1948.

المصدر: http.www.ajjur.net-alkhalil.files-baytgibrin.jpg.files